التعاون والتغالب في المجتمع العراقي دراسة أنثروبولوجية في مدينة بغداد (حي الجزائر أنموذجا)

رسالة تقدمت بها

ذكرى عبد المنعم ابراهيم

الى مجلس كلية الاداب - بجامعة بغداد وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علم الاجتماع

بأشراف الاستاذ الدكتور

قيس النوري

١٤٢٧ هـ بغداد ٢٠٠٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)

صدق الله العظيم

(المائدة: من الآية٢)

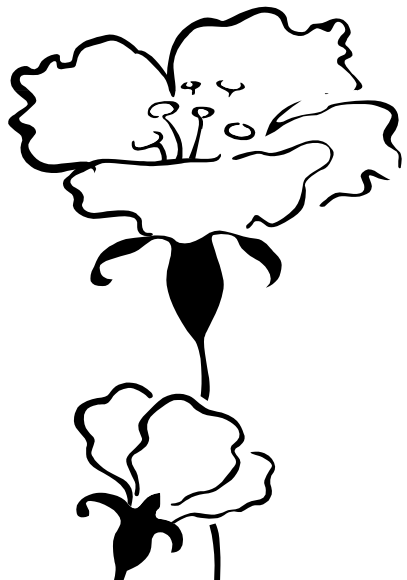

الإهـــــداء

الى: روح أمي الطاهرة

الى: جميع اخواني ... وأخواتي حباً

الى: زوجي الدكتور عبد الواحد مشعل

الى : أبنائي

علاء ،مصطفى، محمود ،وفاء

ذكرى

إقـرار مشرف

اشـــــــهد ان اعـــــــداد هـــــــذه الرســـــــالة الموســـــــومة (التعاون والتغالب في المجتمع العراقي دراسة انثروبولوجية في مدينة بغداد (حي الجزائر انموذجا)) المقدمة من (ذكرى عبد المنعم ابراهيم) وقد جرى تحت اشرافي في جامعة بغداد / كلية الاداب/ قسم الاجتماع، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علم الاجتماع.

التوقيع:

الاسم: الاستاذ الدكتور

د. قيس النوري

التاريخ: / / ٢٠٠٦

بناءً على التوصية المقدمة من المشرف نرشح هذه الاطروحة للمناقشة

التوقيع:

الاسم: أ. د. ناهدة عبد الكريم حافظ

رئيس قسم الاجتماع

كلية الاداب / جامعة بغداد

التاريخ: / / ٢٠٠٦

إقرار أعضاء لجنة المناقشة

نحن اعضاء لجنة المناقشة نشهد اننا قد اطلعنا على رسالة الماجستير الموسومة (التعاون والتغالب في المجتمع العراقي / دراسة انثروبولوجية في مدينة بغداد / حي الجزائر انموذجا) وناقشنا الطالبة في محتوياتها وفيما له علاقة بها فوجدنا أنها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في علم الاجتماع بتقدير (جيد جدا عالي)

عضو اللجنة

التوقيع:

الاسم: أ.م.د. طالب مهدي عبود

التاريخ: ٢٠٠٧/٢/١

عضو اللجنة

التوقيع:

الاسم: د. عياد حسين محمد علي

التاريخ: ٢٠٠٧/٢/١

المشرف

التوقيع:

الاسم: أ.د. قيس نعمة النوري

التاريخ: ٢٠٠٧/٢/١

رئيس اللجنة

التوقيع:

الاسم: أ.د. عبد اللطيف عبد الحميد العاني

التاريخ:

رئيس قسم الاجتماع

الاستاذ الدكتورة ناهدة عبد الكريم حافظ

صادق مجلس كلية الاداب / جامعة بغداد على قرار لجنة المناقشة

عميد كلية الاداب

الدكتور/ د. فليح كريم الركابي

المحتويات

الموضوع	الصفحة
شكر وتقدير	أ
فهرست المحتويات	ب – ح
فهرست الجداول	خ – ر
شكل رقم (١) يبين موقع الدراسة (حي الجزائر) بالنسبة لمدينة بغداد	ز
المقدمة	١-٢
الباب الأول **الدراسة النظرية**	٣-٥٤
الفصل الاول: الاطار العام للدراسة والمفاهيم الاساسية المستعملة فيه	٣-١٨
التمهيد	٣
المبحث الاول: الاطار العام للدراسة	٤-٦
اولا: مشكلة الدراسة	٤-٥
ثانيا: اهمية الدراسة	٥
ثالثا: هدف الدراسة	٦
المبحث الثاني: مفاهيم الدراسة	٧-١٧
اولا: التغالب	٧-٩
التغالب و التناقص	٩-١٠
التعريف الاجرائي	١٠
ثانيا: التعاون	١٠-١١
التعريف الاجرائي	١١
ثالثا: الثقافة	١١-١٣
التعريف الاجرائي	١٤
رابعا: التغير الاجتماعي	١٤-١٦

التعريف الاجرائي	١٧
خاتمة الفصل	١٨
الفصل الثاني: التراث النظري للدراسة	١٩-٤٤
التمهيد	١٩
المبحث الاول: الكتابات النظرية القديمة ذات الصلة بموضوع الدراسة	٢٠-٣٠
اولا: الكتابات الفلسفية	٢٠-٢٦
ثانيا: ابن خلدون (مرحلة جديدة)	٢٦-٣٠
المبحث الثاني: التعاون وفي المجتمعات المحلية	٣١-٤٣
اولا: المجتمع المحلي	٣١-٣٤
ثانيا: التعاون	٣٤-٣٦
ثالثا: الاخذ والعطاء	٣٦-٣٩
رابعاً: التبادل الاجتماعي	٣٩-٤٣
خاتمة الفصل	٤٤
الفصل الثالث: الاطار المنهجي للدراسة	٤٥-٥٠
التمهيد	٤٥
المبحث الاول: منهجية وعينة الدراسة	٤٦-٤٩
اولا: مناهج الدراسة	٤٦-٤٨
أ- المنهج الوصفي	٤٦
ب- المنهج البنائي الوظيفي	٤٧
ج- دراسة الحالة	٤٧-٤٨
ثانيا: عينة الدراسة	٤٨
ثالثا: مجالات الدراسة	
١- المجال البشري	٤٩
٢- المجال المكاني	٤٩
٣- المجال الزماني	٤٩

المبحث الثاني: ادوات جمع المعلومات او البيانات	٥٠-٥٣
اولا: المسح المكتبي	٥٠
ثانيا: الملاحظة بالمشاركة	٥٠-٥٢
ثالثا: المقابلة	٥٢
رابعا: استمارة البحث	٥٢-٥٣
خامسا: المخبرون	٥٣
سادسا: عملية التحليل الاحصائي	٥٣
خاتمة الفصل	٥٤
الباب الثاني **الدراسة الميدانية**	٥٥-١٥٢
الفصل الرابع: الخصائص الطبيعية والسكانية لمجتمع الدراسة	٥٥-٧٩
التمهيد	٥٥
المبحث الاول: صيرورة التحضر ومؤشراته	٥٦-٦٩
اولا: نمو التوجه التجاري والنفعي	٥٦-٥٩
ثانيا: التحلل القرابي والعشائري	٥٩-٦٤
ثالثا: ازدياد العولمة والعلمانية	٦٤-٦٧
رابعا: تصاعد النزعة الفردية	٦٨-٦٩
المبحث الثاني: الخصائص الطبيعية والسكانية لمجتمع الدراسة (حي الجزائر)	٧٠-٧٨
اولا: الخصائص الطبيعية والسكانية لمجتمع الدراسة	٧٠-٧٦
ثانيا: الخصائص السياسية والاقتصادية لمجتمع الدراسة	٧٦-٧٨
خاتمة الفصل	٧٩

الفصل الخامس: التعاون والتغالب في مجتمع الدراسة (حي الجزائر) للفترة ١٩٥٨-١٩٨٠	٨٠-١٠٠
التمهيد	٨٠
المبحث الاول: التعاون والتغالب في الاسرة لمجتمع الدراسة	٨١-٩٣
اولا: مرحلة جديدة في تاريخ العراق الحديث	٨١-٨٣
ثانيا: التعاون في الاسرة والمجموعة القرابية	٨٤-٩١
ثالثا: التغالب في الاسرة والمجموعة القرابية	٩١-٩٣
المبحث الثاني: مظاهر التعاون والتغالب في مجتمع الدراسة كمجتمع محلي حضري	٩٤-٩٩
خاتمة الفصل	١٠٠
الفصل السادس: تحليل بيانات الدراسة الميدانية	١٠١-١٠٨
التمهيد	١٠١
المبحث الاول: تحليل البيانات الشخصية	١٠٢-١٠٨
المبحث الثاني: تحليل البيانات الخاصة بالدراسة	١٠٩-١٣٧
اولا: تحليل البيانات الخاصة بالتعاون	١٠٩-١٢٢
أ- التعاون في الاسرة	١٠٩-١١٦
ب- التعاون على مستوى الجماعات	١١٧-١١٩
ج- التعاون في المجتمع المحلي	١١٩-١٢٢
ثانيا: تحليل البيانات الخاصة بالتغالب	١٢٢-١٣٧
أ- تغالب في الاسرة	١٢٣-١٢٦
ب- التغالب على مستوى الجماعات	١٢٧-١٣١
ج- التغالب في المجتمع المحلي	١٣١-١٣٧
خاتمة الفصل	١٣٨
الفصل السابع: الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات (مناقشة ختامية)	١٣٩-١٥٢
التمهيد	١٣٩

المبحث الاول: مناقشة عامة	١٤٠-١٤٣
المبحث الثاني: الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات	١٤٤-١٥٢
اولا: الاستنتاجات العامة للدراسة الميدانية	١٤٤-١٥٠
أ- الاستنتاجات الخاصة بالبيانات الشخصية	١٤٤-١٤٥
ب- الاستنتاجات الخاصة بالتعاون	١٤٥-١٤٧
التعاون في الاسرة	١٤٥-١٤٦
التعاون على مستوى الجماعات	١٤٧
التعاون في المجتمع المحلي	١٤٧
ج- الاستنتاجات الخاصة بالتغالب	١٤٨-١٥٠
التغالب في محيط الاسرة	١٤٨
التغالب على مستوى الجماعات	١٤٨-١٤٩
التغالب في المجتمع المحلي	١٤٩-١٥٠
ثانيا: التوصيات	١٥٠-١٥١
ثالثا: المقترحات	١٥٢
المصادر	١٥٣-١٦١
المصادر العربية	١٥٣-١٥٩
المصادر الاجنبية	١٦٠-١٦١
الملاحق	١-٦
الخلاصة باللغة الانكليزية	1

فهرست الجداول

ت	الموضوع	الصفحة
١	جدول رقم (١) يوضح توزيع المبحوثين حسب النوع	١٠٢
٢	جدول رقم (٢) يوضح اعمار المبحوثين	١٠٣
٣	جدول رقم (٣) يوضح المستوى التعليمي للمبحوثين	١٠٤
٤	جدول رقم (٤) يوضح الحالة الاجتماعية لافراد العينة	١٠٥
٥	جدول رقم (٥) يوضح مهن المبحوثين	١٠٦
٦	جدول رقم (٦) يوضح الدخل الشهري لافراد العينة	١٠٧
٧	جدول رقم (٧) يوضح الحالة السكنية لافراد العينة	١٠٨
٨	جدول رقم (٨) جدول مرتبي يوضح التعاون في محيط اسر المبحوثين	١١٠
٩	جدول رقم (٩) يوضح التغيرات التي طرأت على صور التعاون في الاسرة	١١١
١٠	جدول رقم (١٠) يوضح هل لازال التعاون يمثل الطريق الافضل نحو تحقيق طموحات الاسرة	١١٢
١١	جدول رقم (١١) يوضح اثر الظروف المعيشية الصعبة التي تمر بها الاسرة في اضعاف حالة التعاون	١١٣
١٢	جدول رقم (١٢) يوضح مدى تاثير وسائل الاتصال الحديثة مثل البث الفضائي والموبايل في اضعاف حالة التعاون في محيط اسرتك.	١١٤
١٣	جدول رقم (١٣) يوضح مدى تأثير انشغال افراد الاسرة بشؤون الحياة وسعيهم الى تحقيق اهدافهم الخاصة في اضعاف حالة التعاون	١١٥
١٤	جدول مرتبي رقم (١٤) يوضح الحالات التي تكون فيها صور التعاون اكثر وضوحا.	١١٦
١٥	جدول رقم (١٥) يوضح هل تجد ان هناك تعاون تلقائي بين الجماعات الاجتماعية في مجتمعك اليوم	١١٧

١٦	جدول رقم (١٦) يوضح التغير الذي حصل في حالة التعاون للجماعة التي تنتمي اليها اليوم عما كان في الماضي	١١٧
١٧	جدول رقم (١٧) يوضح مدى تاثير الظروف الطارئة في مجتمع الدراسة اليوم بعد غياب القانون على اضعاف التعاون	١١٨
١٨	جدول رقم (١٨) يبين مدى رضى الجماعة عن مستوى التعاون بين افرادها تحت الظروف الطارئة التي يمر بها مجتمع الدراسة اليوم	١١٩
١٩	جدول رقم (١٩) هل ان التعاون في الماضي اوسع ظهورا في مجتمعك من الوقت الحاضر	١٢٠
٢٠	جدول رقم (٢٠) يوضح هل ان التعاون يظهر اليوم على شكل اعمال خيرية للمحتاجين و الوقوف الى جابنهم في شتى المواقف	١٢٠
٢١	جدول رقم (٢١) يوضح اجابة المبحوثين عن مدى فعالية صور التعاون في كل الظروف ام انها تظهر في الازمات فقط	١٢١
٢٢	جدول رقم (٢٢) يوضح مدى ظهور صور التغالب في محيط الاسرة	١٢٤
٢٣	جدول رقم (٢٣) يبين مدى وضوح صور التغالب تحت الظروف الطارئة وغياب القانون بين افراد الاسرتك	١٢٥
٢٤	جدول رقم (٢٤) يوضح مدى تأثير العوامل الاقتصادية والمعيشة الصعبة في اظهار عامل الغلبة على الاخرين من اجل الحصول على الحاجات	١٢٦
٢٥	جدول رقم (٢٥) يبين مدى وضوح صور التغالب بين جماعات الاصدقاء او الجماعات القرابية اليوم اكثر من الماضي	١٢٧
٢٦	جدول رقم (٢٦) يوضح اثر تربية الازقة في جعل الفرد في نظر المجتمع محترما عندما يكون غالبا لا مغلوبا	١٢٧
٢٧	جدول يبين رقم (٢٧) يوضح مدى اعتبار التغالب سلوك يعبر عن الشطارة او القوة بين الجماعة التي ينتمي اليها الافراد	ر
٢٨	جدول رقم (٢٨) يوضح مدى اعتبار غلبة الغير عند الجماعة يظهر دون	١٣٠

	اعتبار لعلاقة الصداقة او الجيرة او القيم الجامعة وتقاليدها	
٢٩	جدول رقم (٢٩) يوضح قدرة التغالب على تحقيق اهداف الجماعة في تحقيق حاجاتها من خلال شطارة الغالب او ان يكون الفرد غالب لا مغلوبا حتى يشار له بالبنان	١٣١
٣٠	جدول رقم (٣٠) يبين هل ان التغالب هو سلوك جاء من اصل الثقافة الريفية التي تريد من ابن العشيرة او ابن المحلة ان يكون غالب لا مغلوبا	١٣٢
٣١	جدول رقم (٣١) يوضح مدى تشجيع الثقافة الشعبية على ان يكون الافراد غالبين لا مغلوبين والا وصفوا بالجبناء	١٣٢
٣٢	جدول رقم (٣٢) يبين مدى ظهور التغالب في المجتمع بصورة اكثر وضوحا في ظل الظروف الطارئة من صوره في الماضي	١٣٣
٣٣	جدول رقم (٣٣) يبين هل ان سلوك التغالب وجد له مجالا ارحب عندما حلت القبيلة او الثقافة الشعبية محل سلطة القانون بعد عام ٢٠٠٣	١٣٥
٣٤	جدول رقم (٣٤) يوضح عدم متابعة الوالدين لاطفالهم وهم يلعبون في الشارع لكونهم غالبين لا مغلوبين	١٣٥
٣٥	جدول رقم (٣٥) يوضح مدى وجود افراد في مجتمع الدراسة من يلتزم منهم بسلوك الوقار والمثل العليا، وفي موقف اخر ينزع الى التغالب بدافع مصلحته الخاصة او تعصبه الى اقربائه	١٣٦
٣٦	جدول رقم (٣٦) يوضح مدى شعور افراد العينة في تعاملهم اليومي بوجود اشخاص يحاولون انتزاع فرصهم المتاحة لهم بالقوة او المراوغة	١٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد والشكر لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين..
اما بعد

فأتقدم بخالص الشكر والتقدير الى الاستاذ الفاضل الدكتور (قيس النوري) على ما قدمه وبذله من مساعدات وتوجيهات ونصائح وآراء علمية سديدة، وعلى ما تحلى به من صفات واخلاق العالم المتواضع، أسأل الله تعالى ان يحفظه واسرته الكريمة من كل مكروه، كما اتقدم بالشكر والجزيل الى الاستاذ الدكتور (خالد الجابري) والاستاذ الدكتور (متعب مناف) والاستاذ الدكتور (علاء الدين البياتي) والاستاذ الدكتور (مازن بشير) والاستاذ الدكتور (كريم حمزة) والاستاذ الدكتور (ضياء الجصاني) والاستاذ الدكتور (طالب مهدي السوداني) والاستاذة الدكتورة (ثناء محمد صالح) والاستاذة الدكتورة (فهيمة المشهداني) لما ابدوه لي من مساعدة وتوجيه وآراء سديدة افادتني كثيرا في مرحلة كتابة الرسالة، كما اتقدم بالشكر الجزيل للاستاذة الدكتورة (ناهدة عبد الكريم) رئيسة القسم والاستاذ الدكتور (سلام العبادي) مقررالقسم على التسهيلات الادارية والرعاية التي احاطوني بها، كما اتقدم لاساتذة قسم الاجتماع كافة الذين لم اذكر اسمائهم، ولسكرتارية القسم (زينب وزينة) والى زميلتي (حمدية)، والعاملين في مكتبة القسم ومكتبة الدراسات العليا في كلية الاداب والمكتبة المركزية واخص بالذكر السيد (ابو عبد عبد الرزاق) والست (سعاد يوسف) والعاملين في المكتبة المركزية الجامعة المستنصرية، كما اتقدم بالشكر الجزيل الى المخبريين وسكان مجتمع الدراسة الذين تعاونوا معي اثناء العمل الميداني، اشكر مديرية بلدية الشعب على تعاونها كما اشكر السيد (عامر) والسيد (باقر) و (هاشم) في مكتب الشندي للطباعة وكل من ابدى لي مساعدة هنا وهناك، واخص بالشكر والعرفان زوجي الدكتور (عبد الواحد مشعل) وابنائي (علاء، مصطفى، محمود، وفاء) الذين كان لتشجيعهم الاثر الكبير لاتمام هذه الدراسة.

جزا الله كل هؤلاء عني خير الجزاء والله ولي التوفيق

الباحثة

المقدمة

ان المتتبع لتاريخ المجتمع العراقي المعاصر يمكن ان يميز مرحلتين اساسيتين، تتحدد الاولى منذ عام ١٩٥٨م حتى عام ١٩٨٠. اما المرحلة الثانية فتمدد من عام ١٩٨٠ الى ما بعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣. فالمرحلة الاولى تبدأ مع ظهور الجمهورية لتمثل مرحلة جديدة في المجتمع، حيث بدأت عملية التنمية بشكل محدود، وقد كان المجتمع يعيش تداخلا بين القيم الريفية والحضرية، وقد انعكس ذلك في صور الحياة التي سادها التعاون وكانت حاجات الناس بسيطة، وعملية اشباعها لم تأخذ عناءا كبيرا، وكانت بساطة المجتمع ومتانة منظومة القيم الاجتماعية قد جعلت المجتمع يعيش توازنا اجتماعيا لا يخلو من طموح نحو المستقبل. اما المرحلة الثانية فقد اتسمت بمظاهر جديدة لم تكن مألوفة، اذ فقد التعاون كثيرا من مضامينه الاساسية لياخذ طابعا شكليا اكثر منه طابعا ملموسا وحقيقيا، لذا فان دراسة ثنائية التعاون والتغالب في الثقافة العراقية في الوقت الحاضر تمثل موضوعا في غاية الاهمية نظرا لقدرة الانثروبولوجيا المعاصرة بمنهجيتها المتجددة في أن تلقي الضوء على ظواهر اجتماعية افرزتها ظروف صعبة مر بها المجتمع العراقي منذ عام ١٩٨٠ . حينما دخلت البلاد في صراعات خارجية تركت اثارا عميقة على ذلك البناء البسيط. وعاش الانسان العراقي حرماناً ونقصا شديدين في حاجاته الاساسية وفي الوقت نفسه بدأ يتحسس وجود تمايز طبقي افرزته ظروف الحرب والحصار، فبدأ يظهر على السطح سلوك التغالب من اجل الحصول على حاجات مختلفة حتى تعدى الامر بسعي هذا الانسان نحو حاجات خارج استحقاقاته. وقد ترك الحصار الاقتصادي آثاراً اشد وطأة على المجتمع فبلغت حاجات الانسان فيه مبلغا شديد الخطورة ليكون سقوط النظام عام ٢٠٠٣م اشد حقب تاريخ العراق المعاصر قلقا، حيث وصل التغالب مرحلة خطيرة واضحى سلوكا متكررا وظاهرة اجتماعية فرضت نفسها على الواقع وتراءت للعيان حتى اصبح امر دراستها وكشف اسبابها مطلبا علميا ملحا. والرسالة تتكون من بابين، الباب الاول يمثل (الدراسة النظرية) ويتكون من ثلاثة فصول، الفصل الاول تناول الاطار العام للدراسة والمفاهيم الاساسية المستعملة فيه، وقد تضمن مبحثين، عرض المبحث الاول الاطار العام للدراسة ودرس المبحث الثاني اهم المفاهيم الاساسية. اما الفصل الثاني فقد درست فيه التراث النظري للدراسة وقد تكون من مبحثين، تناول المبحث الاول الكتابات الفلسفية ذات

الصلة بموضوع الدراسة اما المبحث الثاني فتطرق الى التعاون في المجتمعات المحلية. اما الفصل الثالث فاختص بالاطار المنهجي للدراسة، وقد انقسم الى مبحثين اساسيين، المبحث الاول تطرق الى منهجية وعينة الدراسة، اما المبحث الثاني فتناول ادوات جمع المعلومات او البيانات.

اما الباب الثاني فهو (الدراسة الميدانية) ويتكون من اربعة فصول، تناول الفصل الرابع الخصائص الطبيعية والسكانية لمجتمع الدراسة و ضم مبحثين، تطرق المبحث الاول الى التحضر ومؤشراته، اما المبحث الثاني فتناول الخصائص الطبيعية والسكانية لمجتمع الدراسة (حي الجزائر) وتطرق الفصل الخامس الى التعاون والتغالب في المجتمع العراقي (حي الجزائر انموذجا) للمدة من (١٩٥٨-١٩٨٠)، ويقع في مبحثين، درس المبحث الاول التعاون والتغالب في الاسرة، اما المبحث الثاني فتناول التعاون والتغالب في مجتمع حي الجزائر كمجتمع محلي حضري. واختص الفصل السادس بتحليل بيانات الدراسة الميدانية، وتكون من مبحثين اساسيين، المبحث الاول حلل البيانات الشخصية لافراد العينة، اما المبحث الثاني فاختص بتحليل بيانات الدراسة الخاصة بالتعاون والتغالب في مجتمع الدراسة. اما الفصل السابع فتطرق الى الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات (مناقشة ختامية) وقد ضم مبحثين، قدم المبحث الاول (مناقشة عامة) بموضوع الدراسة، اما المبحث الثاني فعرض اهم استنتاجات الدراسة مع تقديم بعض التوصيات والمقترحات

ملخص الدراسة

ان المتتبع لتاريخ المجتمع العراقي المعاصر يمكن ان يميز مرحلتين اساسيتين، تتحدد الاولى منذ عام ١٩٥٨م حتى عام ١٩٨٠. اما المرحلة الثانية فتمدد من عام ١٩٨٠ الى ما بعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣. فالمرحلة الاولى تبدأ مع ظهور الجمهورية لتمثل مرحلة جديدة في المجتمع، حيث بدأت عملية التنمية بشكل محدود، وقد كان المجتمع يعيش تداخلا بين القيم الريفية والحضرية، وقد انعكس ذلك في صور الحياة التي سادها التعاون وكانت حاجات الناس بسيطة، وعملية اشباعها لم تأخذ عناءا كبيرا، وكانت بساطة المجتمع ومتانة منظومة القيم الاجتماعية قد جعلت المجتمع يعيش توازنا اجتماعيا لا يخلو من طموح نحو المستقبل. اما المرحلة الثانية فقد اتسمت بمظاهر جديدة لم تكن مألوفة، اذ فقد التعاون كثيرا من مضامينه الاساسية لياخذ طابعا شكليا اكثر منه طابعا ملموسا وحقيقيا، لذا فان دراسة ثنائية التعاون والتغالب في الثقافة العراقية في الوقت الحاضر تمثل موضوعا في غاية الاهمية نظرا لقدرة الانثروبولوجيا المعاصرة بمنهجيتها المتجددة في أن تلقي الضوء على ظواهر اجتماعية افرزتها ظروف صعبة مر بها المجتمع العراقي منذ عام ١٩٨٠ . حينما دخلت البلاد في صراعات خارجية تركت اثارا عميقة على ذلك البناء البسيط. وعاش الانسان العراقي حرماناً ونقصا شديدين في حاجاته الاساسية وفي الوقت نفسه بدأ يتحسس وجود تمايز طبقي افرزته ظروف الحرب والحصار، فبدأ يظهر على السطح سلوك التغالب من اجل الحصول على حاجات مختلفة حتى تعدى الامر بسعي هذا الانسان نحو حاجات خارج استحقاقاته. وقد ترك الحصار الاقتصادي آثاراً اشد وطأة على المجتمع فبلغت حاجات الانسان فيه مبلغا شديد الخطورة ليكون سقوط النظام عام ٢٠٠٣م اشد حقب تاريخ العراق المعاصر قلقا، حيث وصل التغالب مرحلة خطيرة واضحى سلوكا متكررا وظاهرة اجتماعية فرضت نفسها على الواقع وتراءت للعيان حتى اصبح امر دراستها وكشف اسبابها مطلبا علميا ملحا.

تناولت الدراسة موضوع التعاون والتغالب في المجتمع العراقي، دراسة انثروبولوجية في مدينة بغداد، حي الجزائر انموذجا، وقد عالجت ذلك من خلال تسليط الضوء على المرحلتين آنفة الذكر.

وقد تم جمع البيانات بوساطة الاخباريين والاستفادة من بعض الدراسات المتصلة بالموضوع فيما يتعلق بالمرحلة الاولى اما المرحلة الثانية فدرست باستعمال المنهج الوصفي ومنهج البناء الوظيفي ودراسة الحالة وبادوات بحثية ابرزها الملاحظة بالمشاركة والمقابلة واستمارة البحث، بعد ان تم سحب عينة عمدية بلغ حجمها (١٠٠) فرد موزعة حسب النوع (٦٠) ذكرا و (٤٠) أنثى.

ان ثنائية التعاون والتغالب قد ميزت المجتمعات الاقل تطورا، ولهذا تم تعريف مفهوم التعاون من الواسع لتنحصر دلالالته في سياق ثقافي يعبر عن المجتمع التقليدي الذي لايزال يتميز بعلاقات قرابية واضحة وعلاقات جيرة متفاعلة، ليكون التعاون وسيلة المجتمع المحلي في اشباع حاجاته، فلا يزال السكان يعتمدون على بعضهم البعض ويتضامنون في سبيل ذلك وقد ساعد استمرار هذا الشكل، افتقار مثل هذا المجتمع البسيط الى ادوات انتاج قادرة على خلق اتجاهات فردية تنتفي فيها نسبيا حاجة الناس لبعضهم البعض، وقد تميزت المرحلة الاولى بهذه الخصائص، وما ان دخلت المرحلة الثانية حتى تغيرت تدريجيا دلالات هذا التعاون بفعل تفاقم مشكلات الانسان وما افرزته الحروب المستمرة والحصار الاقتصادي من آثار ابرزها تفكك منظومة القيم الاجتماعية، وتثقب اوعية المجتمع حتى ضعف التعاون عما كان عليه في الماضي ليفقد مضامينه الاجتماعية ويصبح شكليا يعبر عن مجاملات او واجبات –في كثير من الاحيان– تعد ثقيلة، ويبرز في حالات اخرى كتعبير عن حاجة مجتمعية كما حصل بعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣ وما حل في المجتمع من فوضى حتى اجتمع الناس لنصرة بعضهم البعض وحماية ممتلكاتهم ضد أي تغالب قد يحصل، وفي ذلك برز سلوك التغالب وكأنه قد تحين الفرص الى الظهور ليكون في اصله قد جاء معبرا عن نمط الشخصية في المجتمع العراقي ومنه المجتمع الدراسة ليعبر بصيغته الظاهرة عن امتدادات قد ورثها من الثقافة البدوية رغم تبدل الأزمنة والأدوات، وكانها أي الثقافة البدوية –وكما عبر عنها الدكتور علي

الوردي– سوف تبقى تؤثر في بنية الثقافة العراقية فترة طويلة وهي تبقى كامنة او متخفية لتظهر في ايام الازمات او غياب القانون وهو ما اكدته الدراسة الحالية حينما غابت السلطة ولجأ الناس الى مرجعياتهم الاجتماعية كالعشيرة، وقد ظهر سلوك التغالب عندما ابدى الافراد شجاعة في مشاجرة غيرهم مستمدين القوة من عصبية عشيرتهم كما ظهر التغالب في حالة النهب والسلب الذي تعرضت له الممتلكات العامة وكذلك الخطف ومخادعة الاخرين وانتهاز الفرص لتحقيق المصالح الفردية بدون وجه حق.

والرسالة تتكون من بابين، الباب الاول يمثل (الدراسة النظرية) ويتكون من ثلاثة فصول، الفصل الاول تناول الاطار العام للدراسة والمفاهيم الاساسية المستعملة فيه، وقد تضمن مبحثين، عرض المبحث الاول الاطار العام للدراسة ودرس المبحث الثاني اهم المفاهيم الاساسية. اما الفصل الثاني فقد درس التراث النظري للدراسة وقد تكون من مبحثين، تناول المبحث الاول الكتابات الفلسفية ذات الصلة بموضوع الدراسة اما المبحث الثاني فتطرق الى التعاون في المجتمعات المحلية. اما الفصل الثالث فاختص بالاطار المنهجي للدراسة، وقد انقسم الى مبحثين اساسيين، المبحث الاول تطرق الى منهجية وعينة الدراسة، اما المبحث الثاني فتناول ادوات جمع المعلومات او البيانات.

اما الباب الثاني فهو (الدراسة الميدانية) ويتكون من اربعة فصول، تناول الفصل الرابع الخصائص الطبيعية والسكانية لمجتمع الدراسة و ضم مبحثين، تطرق المبحث الاول الى التحضر ومؤشراته، اما المبحث الثاني فتناول الخصائص الطبيعية والسكانية لمجتمع الدراسة (حي الجزائر) وتطرق الفصل الخامس الى التعاون والتغالب في المجتمع العراقي (حي الجزائر انموذجا) للمدة من (١٩٥٨–١٩٨٠)، ويقع في مبحثين، درس المبحث الاول التعاون والتغالب في الاسرة، اما المبحث الثاني فتناول التعاون والتغالب في مجتمع حي الجزائر كمجتمع محلي حضري. واختص الفصل السادس بتحليل بيانات الدراسة الميدانية، وتكون من مبحثين اساسيين، المبحث الاول حلل البيانات الشخصية لافراد العينة، اما المبحث الثاني فاختص بتحليل بيانات الدراسة الخاصة بالتعاون والتغالب في مجتمع الدراسة.

اما الفصل السابع فتطرق الى الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات (مناقشة ختامية) وقد ضم مبحثين، قدم المبحث الاول (مناقشة عامة) بموضوع الدراسة، اما المبحث الثاني فعرض اهم استنتاجات الدراسة مع تقديم بعض التوصيات والمقترحات

لقد تمكنت الدراسة من وصف حالة التعاون والتغالب في المرحلتين وبينت التغيرات التي حصلت في ثناياها، كما تمكنت من الاجابة على التساؤلات التي اثيرت في مشكلة الدراسة، واستطاعت ان تحقق اهدافها بموضوعية علمية، وتوصلت الى نتائج بهذا الصدد، لتكون اضافة جديدة في حقل الانثروبولوجيا عن احد المجتمعات المحلية الحضرية في المجتمع العراقي. وقد توصلت الدراسة الى نتائج عامة نذكر منها ما ياتي:

١- اتضح من الدراسة الميدانية ان التعاون سلوك اجتماعي تميز المجتمعات البسيطة، وطالما ان مجتمع الدراسة مجتمع بسيط، فقد ظهر التعاون فيه على نطاق واسع وقد انحصر مفهوم التعاون لدى افراد العينة على انه يعني مساعدة الغير والوقوف الى جانب الجيران في المناسبات المختلفة، والتعاون في حماية المنطقة وتبادل الحاجات بين الناس، فضلا عن حالات اخرى يسعى الناس من خلالها الى اشباع حاجاتهم المختلفة بطريقة تعاونية، سواء في مجال الخدمات او حل بعض المشكلات التي تحصل في المنطقة.

٢- اتضح من الدراسة الميدانية ان اكثر صور التعاون وضوحا كما في محيط الاسرة، ولاسيما في المشاركة في حمايتها ضد الخطر الخارجي، اذ بلغت نسبة من يرى ذلك (٨٥%) وتلتها نسبة الذين يرون التعاون يظهر في المشاركة بالمناسبات المختلفة، وقد بلغت (٨١%)، بينما بلغت نسبة التعاون عند الذين يرونه يظهر في مساعدة الوالدين (٥٧%). اما الذين يرونه يظهر في المشاركة بميزانية الاسرة فبلغت (٥١%).

٣- اتضح من الدراسة الميدانية ان حالة التعاون لم تعد كما كانت عليه في الماضي، انما اصابها الكثير من التغير، وقد ظهر ذلك من خلال آراء الاخباريين وهو الشيء الذي ايده (٤٧%) من افراد العينة ورآه الى حدما (٣٨%)، وعارضه (١٥%).

٤- اتضح من نتائج الدراسة الميدانية ان كثير من افراد العينة لايزال يؤمن بان التعاون هو الطريق الافضل نحو تحقيق طموحات الاسرة، اذ بلغت نسبة ذلك (٦١%)، في حين بلغت نسبة الذين يرون ذلك الى حد ما (٣٢%)، اما الذين لا يرون ذلك ضروريا (٧%)، اما عن تأثير الظروف المعيشة الصعبة التي مرت بها الاسرة في اضعاف حالة التعاون عما كانت عليه في الماضي فبلغت نسبتها (٤٠%)، والذين يرونه الى حد ما (٣٩%)، اما المعارضين لهذا الرأي فبلغت (٢١%).

٥- اتضح من الدراسة الميدانية ان اغلب افراد العينة يرون ان التعاون يحصل بين افراد المجتمع بشكل تلقائي، أي انه جزء من طبيعة العلاقات السائدة، اذ بلغت نسبة المؤيدين لذلك (٥٥%)، والذي يرونه الى حد ما (٣٤%)، والمعارضين لذلك (١١%). كما اتضح ان صور التعاون تلك لم تعد كما هي في الماضي وهذا ما يراه (٦٢%) من افراد العينة، والذين يرون ذلك الى حد ما (٢٨%)، ونسبة الذين لا يتفقون مع هذا الرأي (١٠%).

٦- اتضح من الدراسة الميدانية ان معظم افراد العينة يرون ان سلوك التغالب يعود في اصولها الى جذور الثقافة البدوية التي انتقلت الى المدينة بصيغ جديدة، وظهرت في سلوك ابناء المدينة التقليدية وانضمام هؤلاء الافراد الى جماعات قرابية او جماعة اوسع تمثل تلك المنطقة الشعبية لتمارس قهرها ضد جماعات اخرى، كما ان التغالب ظهر في سلوك الافراد عن طريق المخادعة للحصول على منافع دون الالتفات الى شرعيتها.

٧- اتضح من الدراسة الميدانية ان صور التغالب في الوقت الراهن اكثر وضوحا من الماضي، ولاسيما بعد غياب القانون حتى بات التغالب سلوك يمارسه الفرد او الجماعة القرابية للحصول على منافع على حساب الاخرين، وبلغت نسبة من ايد ذلك (٥٣%)، ومن يراه أي حد ما (٣٧%)، وبلغت نسبة من لا يؤيد هذا الرأي (١٠%).

٨- اتضح من الدراسة الميدانية ان تربية الازقة تعمل على زيادة نزعة التغالب بين الاطفال، اذ بلغت نسبة من يرى ذلك (٧١%)، ونسبة من يؤيد ذلك الى حد ما

(١٨%) وبلغت نسبة من لا يجد لذلك اثرا (١١%) وهذه النتيجة تتفق مع ما ذهب اليه الدكتور علي الوردي في دراسته عن طبيعة المجتمع العراقي.

٩- اتضح من الدراسة الميدانية، ان التغالب في مجتمع الدراسة يعود الى الثقافة الشعبية التي تقدر وتحترم الغالب، وتريد من الافراد ان يكونوا غالبين لا مغلوبين، وقد ايد هذا الرأي نسبة (٨٢%)، وايده الى حد ما بنسبة (١٥%)، في حين رفضه (٣%).

١٠- اتضح من الدراسة الميدانية ان صور التغالب قد زادت في منطقة الدراسة حينما رجع السكان الى مرجعياتهم العشائرية تحت الظروف الطارئة التي يمر بها المجتمع اكثر مما كان عليه في الماضي، اذ بلغت نسبة من يرون ذلك (٥٣%)، ونسبة من يراه الى حد ما (٣٠%)، ونسبة (١٧%) من يرفض هذا الرأي.

الباب الأول

الدراسة النظرية

الفصل الأول

الاطار العام للدراسة والمفاهيم الأساسية المستعملة فيه

المبحث الأول: الإطار العام للدراسة

المبحث الثاني: مفاهيم الدراسة

الفصل الثاني

التراث النظري للدراسة

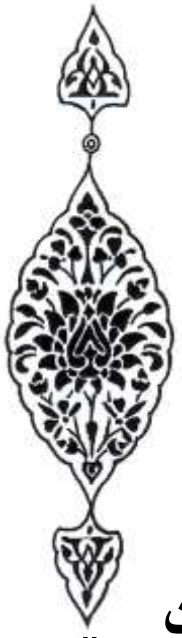

المبحث الأول: الكتابات النظرية القديمة ذات الصلة بموضوع الدراسة

المبحث الثاني: التعاون في المجتمعات المحلية

الفصل الثالث

الإطار المنهجي للدراسة

المبحث الأول: منهجية وعينة الدراسة

المبحث الثاني: أدوات جمع المعلومات او البيانات

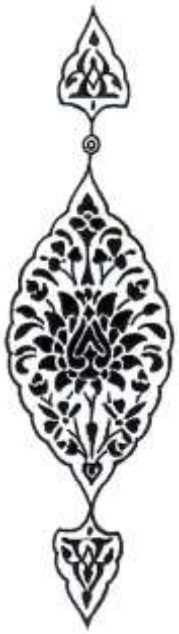

الباب الثاني

الدراسة الميدانية

الفصل الرابع

الخصائص الطبيعية والسكانية لمجتمع الدراسة

المبحث الأول: التحضر ومؤشراته

المبحث الثاني: الخصائص الطبيعية والسكانية لمجتمع الدراسة

الفصل الخامس

التعاون التغالب في مجتمع الدراسة للمدة ١٩٥٨-١٩٨٠

المبحث الأول: التعاون والتغالب في الاسرة و المجموعة القرابية

المبحث الثاني: مظاهر التعاون والتغالب في مجتمع الدراسة كمجتمع محلي حضري

الفصل السادس

تحليل بيانات الدراسة الميدانية

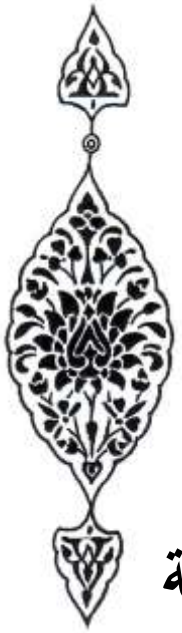

المبحث الأول: تحليل البيانات الشخصية

المبحث الثاني: تحليل البيانات الخاصة بالدراسة

الفصل السابع

الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات

(مناقشة ختامية)

المبحث الأول: مناقشة عامة

المبحث الثاني: الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات

المصادر

الملاحق

الفصل الأول

الإطار العام للدراسة والمفاهيم الأساسية المستعملة فيه

تمهيد

يُعد إحساس الباحث بالظاهرة الاجتماعية خطوة اساسية وجوهرية ودافعاً محركا لدراستها وكشف اسبابها وعواملها بغية التوصل الى نتائج علمية وموضوعية، ومن ثم وضع توصيات اجرائية تكون بمثابة اسهام في معالجة ما يمكن ان ينتج عنها من مشكلات، لذا فان محاولة فهم التغيرات التي طرأت على سمات الثقافة العراقية، ولاسيما في ما يتصل بسلوك التعاون والتغالب امر يستحق الوقوف عليه، بعد ان افرغ التعاون من بعض مضامينه الاساسية جراء التغيرات التي طرأت على المجتمع العراقي بعد حربي الخليج، والحصار الاقتصادي، ومن ثم بعد التغير الكبير الذي حصل بعد سقوط النظام ٢٠٠٣، ليظهر التغالب كسلوك له دلالاته البارزة في الحياة الاجتماعية في الوقت الراهن، ويتكون هذا الفصل من مبحثين اساسين، يتناول الاول تحديد مشكلة واهمية واهداف الدراسة، اما الثاني فسعى الى تحديد اهم المفاهيم الاساسية الواردة فيها.

المبحث الأول

الإطار العام للدراسة

اولا: مشكلة الدراسة

تتمحور مشكلة الدراسة بشكل رئيس حول فهم سلوك التعاون والتغالب في الثقافة العراقية الراهنة، وما له من تأثير اجتماعي وثقافي ونفسي في بنية المجتمع العراقي والشخصية العراقية في ظروفها المتغيرة، ويمكن للمتتبع لتاريخ العراق المعاصر ان يميز مرحلتين، الاولى ما قبل حرب الخليج الاولى للمدة ١٩٥٨-١٩٨٠ والمرحلة الثانية من سنة ١٩٨٠- الى ما بعد سقوط النظام ٢٠٠٣، ونظرة سريعة الى حقائق هاتين المرحلتين يمكن ان يظهر لنا ان هناك تغيرات كبيرة قد حصلت في الثقافة العراقية، فبعد ان كانت هذه الثقافة خلال المرحلة الاولى تخطو خطواتها نحو التكامل والانطلاق لانتاج حضارة متفاعلة مع حضارة العصر وهي تنفض عنها بعض السلبيات التي تراكمت خلال التاريخ الطويل، انتكست وتراجعت تلك الخطى خلال المرحلة الثانية بعدان كانت بالامس تحمل بشائر الافلات من دائرة العالم النامي، اذ تعرضت تلك الثقافة الى تصدع وتفكك جراء الحروب المستمرة والحصار الاقتصادي، لتاتي نقطة التحول بعد عام ٢٠٠٣، والتي انصبت وتنصب فيها كل آثار المرحلة الثانية. وما شهدته الساحة من ظواهر جديدة جعلت الانسان في هذه المرحلة ينزع الى التسابق والتغالب للحصول على حاجاته المختلفة دون الالتفات الى اهمية القيم الجماعية التي كانت تعزز التبادل الاجتماعي وتدعم روح التعاون، وما نتج عن ذلك من ازمة في العلاقات القرابية والاجتماعية، وهكذا افرغ التعاون من مضامينه الجوهرية ليتحول الى سلوك شكلي لا يتعدى اشارات الناس العابرة الى مواقف اجتماعية معبرة في اكثر الاحيان عن مجاملات تحركها كوامن الثقافة التقليدية.

ويظهر التغالب في دلالالته الجوهرية، وما يمثل ذلك من تقاطع في العلاقة بين الموروث الثقافي للشخصية العراقية، وبين التغيرات في بنية المجتمع العراقي في الوقت الراهن، نتيجة عوامل اقتصادية وسياسية وثقافية عززت قيم الفردية ومن ثم اظهرت التغالب كسمة بارزة في العلاقات الاجتماعية وعلى حساب الاخرين.

ان محاولة فهم هذه الاشكالية لا يتضمن فقط وصف ما حدث من تغيرات واثار ولكن ايضا محاولة تحليل ذلك بما ينطوي عليه من دلالات، وفي هذا المجال يمكن اثارة الكثير من التساؤلات منها ما اشكال التعاون والتغالب في مجتمع الدراسة اليوم؟ ما العوامل التي اثرت في سمتي التعاون والتغالب في المجتمع العراقي في الوقت الراهن؟ وما الادوار والمواقف الجديدة المترتبة على وضع سمتي التعاون والتغالب في ظل الظروف المتغيرة؟

ثانيا: أهمية الدراسة

تبرز اهمية الدراسة في تسليط الضوء على التعاون والتغالب كسلوكين يستحقان الدراسة العلمية للكشف عن اسبابهما وعوامل التغير التي طرأت عليهما، وما تمثله هذه المحاولة من اسهام في زيادة المعرفة العلمية عن الخصائص المهمة في الثقافة الواقعية المتغيرة، كذلك تبرز هنا الاهمية السلوكية للمجتمع، كون المجتمع العراقي يمر بمرحلة تغير سريع يجعل من مسألة فهم الخصائص بشكل يتلاءم مع طبيعة سلوك الافراد في السياقات الديناميكية الجديدة. وتزداد اهمية الدراسة ايضا في محاولتها لتقديم مادة علمية على مستوى الوصف عن احد المجتمعات المحلية الحضرية العراقية من خلال التركيز على سلوك التعاون والتغالب في نسق الثقافة العراقية المعاصرة، ويتفق هذا الهدف مع الرغبة في زيادة المعرفة الميدانية والنظرية عن المجتمع العراقي في ظروفه الراهنة من طريق تحليل البيانات الميدانية بالرجوع الى التراث النظري للدراسة، واختبار صحة بعض ما جاء به من آراء حول موضوع الدراسة. (انظر الفصل الثاني الخاص بالتراث النظري).

ثالثا: هدف الدراسة

تسعى هذه الدراسة الى الكشف عن ماهية التعاون والتغالب في المجتمع العراقي، وما طرأ عليهما من تغير، وما تركاه من آثار على الشخصية العراقية. ويتفرع عن هذا الهدف العام هدفان فرعيان هما:-

أ- فهم سلوك التعاون والتغالب في الثقافة العراقية خلال الحقبة ١٩٥٨-١٩٨٠م.

ب- فهم سلوك التعاون والتغالب بعد التغيرات التي طرأت على المجتمع بعد سنة ١٩٨٠م الى ما بعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣م.

المبحث الثاني

المفاهيم الأساسية في الدراسة

اولا: التغالب

التغالب سلوك تعود اصوله الى البداوة، اذ يرى (ابن خلدون) ان المغالبة انما تكون بالعصبية لما فيها من النعرة والتذامر واستماتة كل واحد منهم دون صاحبه من اجل التغلب على الاخر واخضاعه لسلطانه[١]، كذلك فان التغالب سلوك اجتماعي برز في مجتمعات على درجة معينة من التأخر، وقد ظهر حينما كانت هناك صعوبة في الحصول على بعض الحاجات، فانبرى الانسان يتسابق مع اخيه الانسان من اجل الحصول على حاجاته، فالحاجات تؤخذ بالتغالب في سياقات الثقافة البدوية وبيئتها القاسية، فيقوم الملك والبقاء عندما تحل الغلبة، والغلبة انما تكون بالعصبية[٢]. ومن اجل فهم ذلك في الثقافة البدوية ينبغي الاشارة الى رد الدكتور (علي الوردي) على آراء (اولبري) الذي وصف اهل البدو بالتناقض في خصائصهم ويذكر الوردي على الرغم من كثر تجوال (اولبري) بين البدو لم يستطع ان يفهمهم فهما عميقا، إذ لايزال متأثراً في نظرته اليهم بمعاييره الحضرية، فهو يرى انهم كرماء وبخلاء في الوقت نفسه، فهم يقدمون اعز ما يملكون في سبيل ضيفهم من جهة، ومن جهة اخرى يتخاصمون ويتقاتلون على دراهم معدودة، ويشير الوردي في هذا الصدد على انهم في حقيقة الامر غير متناقضين حسب ما ذهب اليه (اولبري)، فهم يتخاصمون على المبلغ القليل حينما يشعرون بانه يؤخذ منهم من طريق المغالبة او المغابنة، وهم لا يحبوا ان يكونوا مغلوبين

---

[١] عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، منشورات مكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٦، ص١٠٧

[٢] المصدر نفسه، ص١٠٩.

في أي شيء مهما كان تافها[١]. بهذا المعنى تظهر دلالات المغالبة فعندما يشعر الفرد بان الاخرين قد سلبوا منه حقا حتى وان كان صغيراً دون وجه حق، سواء من طريق استخدام القوة او اساليب الخداع وغيرها. كذلك يشير الوردي في هذا الصدد الى ضعف التربية البيتية ومن ثم ضعف المعاشرة بين افراد الاسرة في المدن العراقية، فالمرأة تدفع بزوجها الى المقهى وبطفلها الى الشارع لكي تبقى حرة بين الجدران، والمرأة في اكثر الاحيان لا تبالي بما يفعل طفلها في الطرقات مادام غالبا غير مغلوب، فاذا رجع باكيا من اعتداء احد عليه هتفت صارخة، وقد ينقلب الزقاق عندئذ الى معركة عنيفة بين النساء، وربما يشترك فيها الرجال، لذا فان تربية الازقة تربي الطفل على ان يكون بطلا مغوارا يعتدي على غيره ولا يستطيع احد النيل منه، وامه تريده ان يكون مثل ابيه (اذا مشى يهز الارض باقدامه)[٢]. وفي هذا الوصف اهمية في تشكيل سلوك الاطفال على ان يكونوا غالبين لا مغلوبين، فالام عندما يكون ابنها هو الغالب لا يهمها بعد ذلك ان يكون على حق ام لا، وهذا يعود الى ثقافة لها امتداداتها في البادية او الريف، الذي على اساسه ينبغي ان يكون ابن العشيرة غالبا لا مغلوباً، كما ان التنشئة في المناطق الشعبية في المدن قد اخذت من ذلك كثيرا حتى اصبح الفرد الذي يحصل على فرصة او حاجة بالغلبة يشار اليه بالبنان، وفي هذا الصدد يشير الوردي ايضا الى انه وتحت تاثير تلك التنشئة في المدن يستفحل العداء دائما بين اطفال المحلات المتجاورة وهم يقومون ما يمكن استخدامه من ادوات جارحة او استخدام الحجارة في الاعتداء على ابناء المحلة المجاورة، كما انهم لا يكتفوا بذلك بل يتجهوا الى التحرش بالمارة واصحاب الدكاكين ولاسيما اذا كانوا من المستضعفين او العميان، كما انهم يغيروا على البساتين المجاورة لسرقة بعض الفاكهة، وهم يجدون في ذلك نشوة النصر والشجاعة، فهم

---

[١] د. علي الوردي: طبيعة المجتمع العراقي، محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الكبير في ضوء علم الاجتماع الحديث، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٥، ص٢٩٥.

[٢] المصدر نفسه، ص٢٩٦.

يقومون بالسرقة رغم انهم غير محتاجين لتلك الفاكهة وربما كانت متوفرة في بيوتهم ولكنهم يفضلون نهبها او اغتصابها من غيرهم، كما انهم يتصورون من لايشترك معهم في هذا السلوك هو في نظرهم (جبان) وفي هذا يشير الوردي الى ان نزعه التغالب التي ورثها اهل المدن من البادية قد امتدت الى اطفال الازقة دون ان يفطنوا الى اصلها او امتداداتها[١].

التغالب والتنافس

ينبغي التأكيد هنا، على ان مفهوم التغالب هو غير التنافس الاجتماعي، فاذا كان التعاون هو احد سمات الثقافة في المجتمعات البدائية او البسيطة لما ينطوي عليه من وظائف في تحقيق حاجات الجماعات البشرية التي تبنى على اساس رابطة القرابة فيكون التعاون احدى السمات الاساسية التي تؤدي الى اشباع حاجاتهم، وفي هذه المجتمعات ايضا نزعة اخرى وهي نزعة التغالب القائمة على اساس الحصول على الحاجات خارج تلك المجموعة القرابية للمغالبة، فنظرا لظروف ايكولوجية المناطق الصحراوية الصعبة وقلة المراعي والمياه وغيرها نجد الغزو اضحى سلوكاً تمارسه القبائل باتجاه بعضها البعض، لذا تكون الغلبة للاقوى، وقد ساعد ذلك بافراز سلوك التغالب بين الافراد والجماعات، واستنادا لذلك ينبغي ان يكون ابن القبيلة غالبا لا مغلوباً، وقد امتد هذا السلوك الى الريف ثم الى المدن، فاصبح الفرد يشار لهُ بالبنان اذا كان غالبا في الحصول على حاجته او تغلبه على غيره حتى وان كان ذلك يقع خارج حاجاته فهو يجد متعة ونشوة في الحصول على اشياء من غيره بالغلبة والشطارة فهو سعيد لانه حصل على ذلك بقوته وشطارته، لذا فالتغالب على مستوى القبائل او المجموعة القرابية يظهر حينما تكون الغلبة على المجموعات الاخرى ياخذ طابعا له دلالة في الفخر والعزة بغض النظر عن دلالات الاعتداء جراء ذلك، كما انسحب ذلك على سلوك الافراد في المدن حينما يتسابقون مع غيرهم من اجل الحصول على حاجاتهم او تحقيق ارباح بغض النظر عن مشروعية ذلك فهم يشعرون بالغلبة والفخر دون الاكتراث بدلالته حينما يكون هناك مظلوم. اما

---

[١] المصدر نفسه، ص٢٩٨.

التنافس الاجتماعي فهو يميز المجتمعات الحديثة ويدفعها نحو التطور والتقدم فهو يعد من الدوافع والحوافز الاساسية للتطور الاجتماعي، كما انه يظهر من اجل تحقيق فوز او انتصار على الخصم كما في مباريات كرة القدم، يظهر التنافس ايضا بين الافراد او الجماعات فبينما يسعى هؤلاء لتحقيق اهداف وغايات يسعون اليها.

التعريف الإجرائي

التغالب هو من الغلبة ولا يقوم الا بالعصبية من اجل استلاب حقوق الاخرين، فهو منبعث من اصل الثقافة القبلية البدوية ليمتد ويصل الى المجتمعات الريفية والحضرية البسيطة، ليتخذ قالبا سلوكيا يظهر في منافسة غير شرعية سواء بين الجماعة القرابية الصغيرة ام الافراد، ليكون صاحب الغلبة يتميز في نظر الثقافة السائدة بالقدرة او القوة في الحصول على حاجة او فرصة على حساب الاخرين او يتميز بالشطارة والمراوغة في الحصول عليها.

ثانيا: التعاون

الانسان مثلما وصفه (ارسطو) كائن اجتماعي بالطبع، لذا فهو يجد نفسه مرتبطاً بعلاقات كثيرة ومتشابكة مع الاخرين، انه يخلق الثقافة التي تؤثر بدورها في حياته الاجتماعية، ويتم ذلك كله من خلال عملية التفاعل الاجتماعي تلك العملية المحورية في حياة الانسان، وتظهر اهمية التفاعل حين ندرك ان يكون وراء كل تنظيم للانساق السلوكية من (الذات) الى المجتمع ويتم هذا التفاعل من طرق كثيرة ووسائل مختلفة ابرزها عملية التنشئة الاجتماعية او عملية التطبيع الاجتماعي[١]. لترسم اشكال كثيرة من السلوك الاجتماعي ومن خلال عمليات التفاعل المختلفة والتي ابرزها التعاون التي نحن بصددها، فالتعاون صفة اجتماعية من خلالها يشترك الناس في النشاطات المختلفة للوصول الى اهدافهم وغاياتهم المشتركة، لذا عندما يعملون معا للوصول الى تلك الاهداف المشتركة نصف سلوكهم في هذه الحالة بانه

---

[١] د. غيث، محمد عاطف: علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ص٢٠٤-٢٠٥.

(تعاوني) وعندما يعارض بعضهم الآخر. نقول ان سلوكهم (صراعي او تنافسي) لذا فان التعاون والصراع عمليتان اساسيتان في الحياة الاجتماعية[١]. وبهذا المعنى يُفهم السلوك الاجتماعي ما هو الا ناتج عملية تفاعل اجتماعي تظهر على شكل تنافس وصراع وتعاون وتوافق وتمثيل، الا ان الشيء الاساسي في هذا المجال هو ما يطلق عليه الجوانب الايجابية من ذلك التفاعل والذي يكون على راسها التعاون باعتباره الصفة التي من خلالها تحقق اهداف وغايات المجتمع ومن طريقها يتحقق التماسك الاجتماعي، لذا فالتعاون هو ابرز العمليات الاجتماعية التي ميزت المجتمعات البسيطة والتي بها وجدوا انفسهم متعاونين متماسكين باتجاه الاخطار الخارجية الكثيرة التي تحدق بهم، وكذلك في إشباع حاجاتهم الأساسية، فضلا عن ظهوره في المناسبات المختلفة او في اوقات الازمات اذ يجد ابناء ذلك المجتمع انفسهم متعاونين مع بعضهم البعض تلقائيا، لذا فان التعاون في هذا المجال هو أحد صفات المجتمعات البسيطة، بينما يظهر الصراع على انه صفة المجتمعات الاكثر تعقيدا

التعريف الإجرائي

التعاون سلوك يقوى في المجتمعات البسيطة مثل الجماعة القرابية و المجتمع المحلي، ويعد التعاون ضرورة اساسية يميز هذه المجتمعات في سبيل الحصول على حاجاتها الاساسية وحماية ابنائها من الاخطار المختلفة، كما يظهر واضحا في الازمات والمناسبات المختلفة التي تمر بها تلك المجتمعات، ويأخذ في اكثر الاحيان طابعا جماعياً.

ثالثا:- الثقافة

وضعت العشرات من التعاريف للثقافة، ولا يمكن حصرها جميعها، لذا نستعرض بالتحليل نقاط الاختلاف والاتفاق في وجهات النظر حولها، فالتعاريف تختلف في الفاظها وسياقاتها الا انها تتفق في نهاية المطاف مع التعريف الكلاسيكي الذي وضعه (ادورد تايلور) في مطلع كتابه (الثقافة البدائية) اذ يقول (الثقافة او

---

[١] المصدر نفسه: ص٢٠٧-٢٠٨.

الحضارة بمعناها الاثنوجرافي) الواسع هي ذلك الكل المركب الذي يمثل المعرفة والعقائد والفن والاخلاق والقانون والعرف وكل المقدرات والعادات الاخرى التي يكتسبها الانسان من حيث هو عضو في مجتمع)[١].

نلمس من هذا التعريف مجمل العناصر الاساسية التي تحظى باجماع علماء الاجتماع والانثروبولوجيا حول النظر الى الثقافة بخصائصها الكثيرة وينبغي الإشارة في هذا الصدد الى ان هذه العناصر تكتسب وتتعلم خلال عملية التنشئة الاجتماعية وعلى ما هو سائد في حياة المجتمع الانساني والتي تعني في محصلة الامر نقل التراث الثقافي للمجتمع الى الاجيال المتعاقبة، وبهذا المعنى يُظهر لنا التعريف على ان متضمنا العناصر الرئيسة المكونة في جانبيها المادي واللامادي، فهو يشير في سياقه العام الى كل نشاطات وتفاعلات ومهارات الانسان وعاداته وقيمته وهو ينتمي الى جماعة اجتماعية، كما ان ذلك يدخل ضمن سياق الاختراع والابتكار[٢].

كذلك فأن للثقافة قدرة غير محدودة على مضاعفة بقائها العضوي والاجتماعي، فهي على هذا الاساس نظام يتصف بالاكتفاء الذاتي لانها تحتوي طاقات اساسية لادامة وجودها وهذا ينطبق على المجتمعات ذات الثقافات البسيطة غير المعقدة التي استطاعت فرض وجودها في ظروف طبيعية واقتصادية بالغة الصعوبة ومن امثلة ذلك الاستراليون الاصليون الذين استمروا في معيشتهم والتكيف لها في صحراء استراليا، والسبب في هذا الاستمرار اكتفاء انظمتها الثقافية وهذا ينطلق ايضا على قبائل الاسكيمو، وينبغي التأكيد هنا ان هذا التكامل الثقافي لا يعني انه متساوٍ في كل المجتمعات بل يتفاوت من ناحية تماسك مكوناته كالنظام الديني والاقتصادي والقرابي وغيرها[٣]. فضلا عن ذلك فان دراسات كل من (كروبر

---

[١] د. ابو زيد، احمد: محاضرات في الانثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨، ص٤١-٤٢.

[٢] المصدر نفسه: ص٤١.

[٣] عبد الرزاق، سعدي فيضي: المدخل الى علم الانسان، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، ١٩٨٩، ص٦٢-٦٤.

وكلاكهون) في عام ١٩٥١ لمفهوم الثقافة، جاء فيها ما يزيد عن المائة والخمسين تعريفا للثقافة، حيث قاما بجمع عدد كبير من التعريفات من الكتابات الانثروبولوجية والانتولوجية والسيسولوجية التي ظهرت في الربع الاخير من القرن التاسع عشر، يضاف اليه التعريفات الاخرى التي لم يتعرضا لها، والتعريفات الكثيرة التي ظهرت بعد نشر دراساتهما، وبعض هذه التعريفات تعريفات وصفية تهتم بالمحتوى والمكونات، والبعض الاخر سيكولوجي يهتم بالجانب الرمزي وبتعلم الرموز، والبعض الثالث بنائي يهتم بالصيغ العامة وانماط الفعل والسلوك[١].

اما الدكتور (شاكر مصطفى سليم) فانه ينظر الى الثقافة على انها (كل ما يرث المجتمع من اجياله السابقة باستثناء الصفات الحياتية الطبيعية، من نظم، وقيم، ومعتقدات اجتماعية وفكرية ودينية، وانماط سلوكية، ومهارات فنية، يسيطر بها على بيئته، ويكيف نفسه لها، ويستطيع بوساطتها اشباع احتياجاته الحياتية والاجتماعية وغيرها، من جيل الى الجيل الذي يليه)[٢].

---

[١] د. ابو زيد، احمد: محاضرات في الانثروبولوجيا الثقافية، مصدر سابق، ص٤١.

[٢] د. سليم، شاكر مصطفى: قاموس الانثروبولوجيا، ط١، جامعة الكويت، ١٩٨١، ص٢٠٣.

التعريف الإجرائي

الثقافة هي المحتوى الذي يضم العادات والتقاليد والقيم والاعراف والمعتقدات فضلا عن الادوات والتكنولوجيا بشكلها البسيط المحلي او المعقد الذي يصل الى المجتمع كسلع جاهزة من الخارج. وتتميز الثقافة السائدة في مجتمع الدراسة اليوم بتداخل الموروثات الثقافية الريفية مع طابع المدنية الحاضرة، وعلى هذا الاساس يمكن وصف هذه الثقافة بالثقافة الشعبية.

رابعا- التغير الاجتماعي

تتميز الحياة الاجتماعية بانها متغيرة ومتبدلة خلال التاريخ، فالتغير الاجتماعي بهذا المعنى عملية طبيعية تمر بها كل المجتمعات البشرية، الا ان سرعة هذا التغير تختلف من مجتمع لاخر تبعا الى طبيعة النسق الثقافي السائد في كل مجتمع، كما ان التغير الاجتماعي يكون على اشكال كثيرة منها التغير الطبيعي وهو الذي يوصف بانه جزء من مكونات الحياة الانسانية وطبيعتها، وهو ما دأب عليه المجتمع الانساني خلال التاريخ وهناك التغير المقصود او المخطط، وهو الذي يتم من طريق وضع خطة متكاملة ومدروسة وبهذا فانه تغير موجه ومرتبط بالتنمية التي تعني بمجملها عملية مخططة تستهدف النهوض بالمجتمع من خلال تسخير كل الامكانيات الاقتصادية والبشرية والعلمية المتاحة في المجتمع مع التاكيد على مشاركة ابناء المجتمع فيها من بدايتها الى نهايتها[١]. وعليه فان المجتمع حينما يتغير من شكل الى آخر انما في جانبيه هما المادي واللامادي، أي يمس الجانب الايكولوجي والطبيعي والاقتصادي والمهني والعمل ووسائل الإنتاج وطبيعة الموارد البشرية التي تزج في عمليات الانتاج، والمجتمع ايضا يتغير بجانبه اللامادي أي في القيم والمعتقدات والتقاليد والقوانين والضبط الاجتماعية وغيرها[٢]. الا ان ما يظهر

---

(1) Social progrss through community development united nations publicions 1955, P.6.

(٢) د. الحسن، احسان محمد: التصنيع وتغير المجتمع، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١، ص٢٤.

في المجتمعات الحديثة من صراع بين القيم الثقافية القديمة والقيم الجديدة التي تعكس صور الحياة الجديدة، فالقيم الاجتماعية المعوقة ما هي الا رواسب ما تزال تعمل في نفوس الافراد وتوجه سلوكهم من طريق تاثير العادات والتقاليد الراسخة[١]

وفي هذا الصدد ينبغي التوضيح بان التغير الذي يشمل الجانب المادي واللامادي يطلق عليه التغير الثقافي، بينما التغير الذي يطال الجانب الاجتماعي يطلق عليه التغير الاجتماعي، وبهذا المعنى يكون التغير الثقافي اوسع نطاقا ويحتوي التغير الاجتماعي. كما يذهب الدكتور (مصطفى الخشاب) الى تعريف التغير الاجتماعي بانه ((كل تحول يحدث في النظم والانساق والاجهزة الاجتماعية سواء كان ذلك في البناء او الوظيفة خلال مدة زمنية محدودة، ولما كانت النظم في المجتمع مترابطة ومتداخلة ومتكاملة بنائيا ووظيفيا فان أي تغير يحدث في الظاهرة لابد ان يؤدي الى سلسلة من التغيرات الفرعية التي تصب في معظم جوانب الحياة بدرجات متفاوتة، ويتطلب التغير في ميدان الحياة الاجتماعية عاملاً اساسيا، وهو ضرورة تكيف الافراد ومرونتهم وحراكهم الاجتماعي وفقا لما تتطلبه التغيرات من مستحدثات))[٢].

ويستند هذا التعريف الى المفهوم الوظيفي الذي يؤكد على ترابط انساق المجتمع وظيفيا فاي تبدل يحصل في أي نسق سوف يصيب الانساق الاخرى، فاذا حصل تغير في النسق الاسري على سبيل المثال لابد ان يصيب الانساق الاخرى.

كما يُعرف (ويلبرت مور) التغير الاجتماعي بقوله ((انه ليس هناك مجال في الحياة يمكن ان يستثنى منه توقع الوجود المادي للتغير الاجتماعي الا انه يرّجع التغيرات المعاصرة سواء كانت مخططة ام وجدت نتيجة ثانوية للاختراع، وفي كل

---

[١] د. الهيتي، هادي نعمان : الاتصال والتغير الثقافي، الموسوعة الصغيرة، ٢٣، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، سلسلة دراسات (٣١٤)، بغداد، ١٩٨٢، ص١١٦.

[٢] د. الخشاب، مصطفى: دراسة المجتمع، مكتبة الانجلو المصري، القاهرة، ١٩٧٧، ص١٨٨.

الاحوال تكون التغيرات افضل لكثير من تلك التي حدثت في المراحل السابقة))[١]. كما ان (نلسون) يرى التغير عبارة عن (تحوير او تعديل يصيب البناء الاجتماعي ليحافظ على بقاءه واستمراره)[٢]. كما يعرفه الدكتور (محمد عاطف غيث) على (ان اوضاعاً جديدةً طرأت على البناء الاجتماعي والنظم والعادات الاجتماعية وادوات المجتمع فيه كتشريع جديد لضبط السلوك او كناتج للتغيير)[٣]. كما فُسرت عملية التغير الاجتماعي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر من قبل عالم الاجتماع الانكليزي (هربرت سبنسر) الذي يرى ان المجتمع يتطور ويتحول من الشكل البسيط في تركيبه ووظائفه الى مجتمع معقد ومركب وقد اعتمد سبنسر في تفسيراته التطورية على آراء (جارلس دارون) التي عرضها في كتابه (اصل الانواع)[٤]. كما ان التغير يختلف في الوقت الذي يستغرقه اعتمادا على الجانب الذي يحصل فيه وبناءً على الظروف التي تستدعيه[٥]

---

(1) Moors, Wilbert, social change, New Jersey, Prentice Hell INC. Englewood Cliffs, 1963, P.2.

(2) Nelson, Iowry, and others, community Struature and change, the Mauillance, New Yourk, 1960.

[٣] د. غيث، محمد عاطف: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ١٩٨٩، ص٤١.

[٤] د. ميشل وينكشن: معجم العلوم الاجتماعية، ترجمة د. احسان محمد الحسن، دار الطليعة بيروت، ط١، ١٩٨١، ص١٩٠-١٩١.

[٥] د. النوري، قيس: محاضرات في علم الاجتماع والتغير الاجتماعي، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ١٩٦٨-١٩٦٩، ص٣.

التعريف الاجرائي

التغير الاجتماعي هو ذلك التغير الذي يطال البناء الاجتماعي فيعمل على احداث تغيرات وتحولات في انساقه المختلفة بفعل عوامل اجتماعية واقتصادية وثقافية تحدث في المجتمع نتيجة احداث او هزات كبيرة.

وقد شهد مجتمع الدراسة تغيرات اجتماعية كبيرة خلال الحقب الاربع الماضية اذ تحولت وتغيرت كثير من مفاهيم ابنائه الريفيه الى مفاهيم جديدة متأثرة بما يحصل في المدينة من تغير ثقافي، ولعل ابرزها التحلل القرابي والعشائري نسبيا وتوجه ابناءه نحو العمل التجاري والنفعي فضلا عن تصاعد النزعة الفردية.

خاتمة الفصل

تم في هذا الفصل مناقشة مشكلة التغالب التي اضحت بارزة في السلوك الاجتماعي وتأثيراتها في التعاون الذي صار في اغلب الاحيان شعارا يتردد في مجاملات الافراد، وهكذا استشرى التغالب في واقع الحياة الاجتماعية بعد الهزات التي تعرض لها المجتمع العراقي نتيجة حربي الخليج وما رافقها من كوارث أفضت الى سقوط النظام عام ٢٠٠٣. كما تضمن الفصل اهم المفاهيم وثيقة الصلة بالدراسة الحالية كمحاولة لوضع اطار لمفاهيم الدراسة الحالية.

الفصل الثاني
التراث النظري للدراسة

تمهيد

يقع هذا الفصل في مبحثين اساسين، يتناول المبحث الاول اهم الافكار والاراء التي وردت في الكتابات النظرية ذات الصلة بموضوع الدراسة، كما سيتم خلال المبحث الثاني التطرق الى التعاون في المجتمعات المحلية متضمنة المجتمع المحلي و التعاون والاخذ والعطاء والتبادل الاجتماعي، ومحاولة كهذه سوف تعطينا صورة واضحة عن طبيعة الاطر النظرية العامة المتصلة بموضوع الدراسة. ونظرا لان المعرفة العلمية التراكمية تعتمد على ما أبداه العلماء من نظريات تكملها نظريات جديدة وهكذا ...، وهذا يختلف عن طبيعة المعرفة الفلسفية التي تكون افقية تعتمد على آراء الفلاسفة، فلايبدأ فيلسوف من حيث انتهى آخر، انما يبدأ كل فيلسوف بدايته الخاصة[١] وسوفَ يتم تناول تلك الكتابات وفقا لهذا التصور من اجل الوقوف على طبيعة تفكير الانسان خلال تاريخه الاجتماعي.

---

[١] د. زكريا، فؤاد: التفكير العلمي، ط٦، منشورات جامعة دمشق، مطبعة الداودي، دمشق، ٢٠٠٠، ص٢-٣.

المبحث الأول

الكتابات النظرية القديمة ذات الصلة بموضوع الدراسة

اولا: الكتابات الفلسفية

عند النظر الى الكتابات الفلسفية سواء كانت اليونانية منها ام الإسلامية، نجدها تقترب مع بعضها البعض في النظر الى حياة الإنسان الاجتماعية خلال التاريخ، فهي تنحى منحى مثاليا وتنطلق من تصورات الفيلسوف نفسه مستندة الى طبيعة الثقافة السائدة في مجتمعه او على تصورات تمثل رد فعل لما يجري في الواقع الاجتماعي من تدهور وتدني في مستوى العلاقات الإنسانية، ونجد هذا واضحا حينما تبدلت كثير من المفاهيم والافكار التي كانت سائدة في المجتمع اليوناني نتيجة للحروب والأزمات التي مر بها هذا المجتمع، حتى اخذ الإنسان اليوناني يشكك في كل شيء آمن به من قيم الخير والحق والجمال، وادرك قصر عمره في هذه الحياة مما يستوجب عليه العمل على تغير الأفكار المثالية التي كانت تسيطر على نمط حياته، واعتناق افكار جديدة تتناسب والظروف الجديدة، لقد قام بتلبية هذه الحاجات جماعة من المعلمين عرفت بالسوفسطائيين وقد كانت مهنتهم تثقيف الناس عن طريق التدريس باجور، ونشر افكارهم عن طريق التشكيك بالمعتقدات الدينية والاوضاع الاجتماعية وعدوها مسؤولة عن الجمود في المجتمع اليوناني، وعمل هؤلاء في التشكيك بثبات القيم الاجتماعية والحقائق العلمية وقالوا عنها بانها نسبية وليست مطلقة، وان الحق ليس مطلقا وانما نسبي، فانت ترى هذا حق بينما غيرك يراه بمنظار آخر، الا ان هذا الطرح عارضه سقراط واثبت ان هناك خصائص ثابتة في كل شيء تجعل من السهل وصفه وتعريفه، وبذلك يمكن نقل العلم من شخص الى آخر استنادا الى الاعتقاد بانه في كل انسان عقلا وهي خاصية تميزه من سائر المخلوقات، وعن طريق العقل يتبادل الانسان المعرفة مع الاخرين وعن طريقه يتم التميز بين الخير والشر، فيميل الى الخير لانه الحق وكره

الشر لانه باطل[١]. لذا كان الفارابي يقترب مع أفلاطون في تصوراته المثالية اتجاه المدينة الفاضلة التي بقيت هذه التصورات بعيدا عن الواقع المعاشي، فأفلاطون الذي جاء بجمهوريته والتي هي عبارة عن مجتمع مثالي مفترض ليس له اصل في الواقع الاجتماعي اليوناني، وقد زاد عن ذلك دعوته الى بناء تنظيم اجتماعي قائم على العدالة والمثالية كما يجب ان يكون وليس وصفه كما هو كائن، حيث انه لم يكن راضيا عما يدور في أي نظام موجود ولاسيما الديمقراطية الاثينية[٢]، ونجد هذا المنحى يظهر بجلاء بكتابات الفيلسوف المسلم الفارابي عن المدينة الفاضلة، الا انه انطلق في تصوراته المثالية اضافة الى تأثره في الفلسفة اليونانية من مبادئ الدين الإسلامي في فهم العلاقة التي تربط اهل المدينة حاكمين ومحكومين، فهو يقسم تلك المدينة على قسمين، الاول يتحدث عن الاساس الفلسفي المثالي والديني للمدينة الفاضلة، والثاني يركز على موضوع الحاجة للاجتماع البشري[٣]، بهدف إشباع الحاجات الأساسية الاجتماعية منها والروحية علما بان اشباع هذه الحاجات يعتمد على توافر القوام المادي والكمال المعنوي في المجتمع الانساني الذي يفترضه الفارابي[٤]. وقد كان أفلاطون عد التعاون البشري وسيلة مهمة لاشباع الحاجات الانسانية المختلفة، وهي الشيء نفسه الذي يراه الفارابي، فافلاطون يعد العدالة هي الخير الاسمى وان بعض الناس قد يخطئون في الوصول الى تحقيق ذلك او يفضلون ايذاء الآخرين، لذا اتفق معظم الناس على منع الظلم حتى تسود العدالة ويتفرغ الناس للعمل والانتاج والاعمار، فالانسان لا يستطيع ان ينتج لنفسه كل ما يحتاج اليه، وقد وضع الناس قانون لمنع الشر لينصرف الانسان لاشباع حاجاته

---

[١] د. بيومي، محمد احمد: تاريخ الفكر الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٨، ص٣١-٣٢.

[٢] المصدر نفسه، ص٦٠.

[٣] د. الحسن، احسان محمد: رواد الفكر الاجتماعي، دراسة تحليلية في تاريخ الفكر الاجتماعي، وزالرة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، ١٩٩١، ص١٩.

[٤] د. الخشاب، مصطفى: علم الاجتماع ومدارسه، الكتاب الثاني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧،ص٤٤٩.

وانتاج ما يمكن انتاجه في سبيل ذلك، فنشأت طائفة التجار والوسطاء، الامر الذي استدعى قيام الاسواق وصك العملة وضمان الثقة فيها، وان عملية كهذه تحتاج الى تنظيم وتعاون حتى يتمكن الانسان في اشباع حاجاته الاساسية كالغذاء والشراب، او حاجات كمالية مثل الفنون والطب، وتظهر الاخيرة حين يتسع المجتمع ويرى أفلاطون ان جمهوريته ينبغي ان تقوم على تكافئ الفرص، وان يربى المجتمع تربية واحدة يتمكن من اختيار من بين افراده من هم اكثر ذكاءاً واكثر صحة، جسمانيا ونفسيا، ويتم تدريبهم على القيم الأخلاقية، ثم يعزل من يرسب منهم ويصبح من ينجح حراسا على الدولة[١]. وحينما يضع أفلاطون شروطه لقيام جمهوريته، كذلك نجد الفارابي يبين تصوره على الطريق نفسه، فالفارابي يرى في الاجتماع البشري ضرورة في بناء المجتمع ثم تلبية حاجاته الأساسية، فهو يرى ان الانسان مفطور على الاجتماع والتعاون ولايمكن تحقيق احتياجاته المختلفة لوحده وانما يكون ذلك بالاجتماع الى قوم آخرين، وكل واحد منهم يلبي ما يحتاجه الاخر، لذلك وحسب تصوره ان الانسان لا يمكن ان ينال الكمال الذي لاجله جُعلت له الفطرة الطبيعية بالاجتماع مع الآخرين متعاونا معهم ومتعاونين معه[٢]. كما ان هذا التصور يتفق ايضا مع ما ذهب اليه ارسطو – الذي يوصف بانه اكثر واقعية من افلاطون فهو اقر بدور المعرفة الحسية والتجربة، فالإنسان عنده كائن اجتماعي بالطبع، أي ان الناس بطبعهم يميلون الى الاجتماع البشري على الرغم من وجود نزعات المصلحة الشخصية او الفردية التي تدفع كل فرد الى اشباع حاجاته وتحقيق طموحاته، الا انهم يجتمعون من اجل سعادة العيش، وهذا ما اكده الفارابي ايضا، فارسطو يرى حياة الاجتماع هذه احد الكمالات الإنسانية، فالإنسان ككائن سياسي يتميز عن الحيوانات جميعا بانتمائه الى حاضرة (المدنية) التي هي ثمرة تطور اجتماعي وثقافي وسياسي مرت بها المجتمعات البشرية خلال عملية ارتقائية ابتداءا من العائلة القبلية، القرية، الحاضرة. والذي يميز المدينة عن التجمعات الاخرى هو الدستور الذي ينشأ

---

[١] د. البيومي، محمد احمد: مصدر سابق، ص٣٢-٣٣.

[٢] د. فيصل، عباس: الشخصية في ضوء التحليل النفسي، ط١، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٢، ص١٣.

الدولة، حتى يكون بقاء الدولة نفسها مرهون باستمرار هذا الدستور، اذ يرى ارسطو ان افضل طبقة يمكن ان تعمل على استقرار الدولة واستمرارها وتبقى مخلصة للقوانين هي الطبقة الوسطى، فهي طبقة تتوسط طبقة الاغنياء النازعين للانانية والطموح الفردي، وطبقة المعدمين الذين هم عبء وخطر على الدولة[١]. وفي الوقت الذي عد الفارابي الفرد هو الوحدة الاساسية في المجتمع يرى ارسطو الاسرة هي نواة المجتمع، وهي قادرة على كفاية نفسها مؤقتا في تامين حاجاتها اليومية، فاذا ارادت ان تحقق حاجات فوق اليومية ارتبطت باسر اخرى كي تتبادل معها المنافع والمصالح، فنشأت الدولة، وفي هذا التصور يقترب ارسطو كثيرا من الفارابي والغزالي والماوردي بابراز اهمية الاجتماع البشري، فهو يرى ان الانسان غير قادر على انشاء تنظيم اوسع يلبي حاجاته إلا من خلال الاجتماع البشري، فهو يرى حتى اذا ما ظهرت المدينة اصبحت بحاجة الى قوانين لتنظيم حياتها الاجتماعية من خلال تساند عضوي اكثر تطور من الأشكال التعاونية التي تظهر في محيط الاسرة والمجموعات القرابية، وهو ما ذهب اليه الغزالي ايضا في تفسيره لحقيقة الاجتماع الانساني يدفعه لذلك التركيز على مسألتين اساسيتين الاولى هي طبيعة الانسان اما الثانية فهي القوى المحركة لهُ، ودراسة النظم والمؤسسات من ناحية اصولها ووظائفها وطريقة تحولها من نمط الى آخر. ويعتقد ان فهم الجماعة والمجتمع يتوقف على طريقة فهمنا للفرد الذي يمثل الوحدة الاساسية لبناء الجماعة والمجتمع، وبهذا نجد الغزالي يبذل قصارى جهده لدراسة الانسان وفهم كوامنه وتحديد الدوافع الاساسية كحركته ونشاطه الذاتي والمجتمعي، وهي مهمة تستدعي معرفة النفس البشرية التي يقسمها على قسمين عاملة واخرى عالمة، ففي الاولى تكمن غرائز الانسان وفي الثانية يتعلم ويكتسب الخبرة عن طريق العقل والجهد والذكاء، مركزا على اهمية التنشئة الاجتماعية في ذلك[٢]. ونجد ذلك ايضا عند الماوردي الذي يشير في كتابه

---

[١] د. العيسى، جهينة سلطان: وآخرون موجز تاريخ الفكر الاجتماعي، سلسلة علم الاجتماع (الكتاب الثاني)، مطبعة الاهلي للنشر والتوزيع، دمشق ٢٠٠١، ص٦٦-٦٨.

[٢] د. الحسن، احسان محمد: رواد الفكر الاجتماعي، ص٤٩-٥٠.

(ادب الدين والدنيا) حول الاجتماع البشري الى قضيتين اساسيتين الاولى نزوع الانسان الطبيعي لغيره والثاني تعدد حاجاته المختلفة التي لايمكن اشباعها منعزلة عن غيرها، ويخصص الماوردي باباً خاصا في كتابه المذكور حول النواة الاولى للاجتماع البشري حيث يقول (ان صلاح الدنيا يعد من وجهتين اولهما ما ينتظم به امور جملتها، والثاني ما يصلح به حال كل واحد اهلها، وهما شيئان لايتم الاصلاح لاحدهما الا بصاحبه)[١]. ويعني ذلك ان الماوردي يؤكد على مسألة حيوية وهي ان الإنسان بطبيعته مدني واجتماعي لايستطيع العيش منعزلا عن الاخرين، وهذا يتفق مع ما ذهب اليه ارسطو. كما ان الماوردي في تحليله لطبيعة الانسان الاجتماعية وعدم قدرته عن الاستغناء عن غيره لحاجته اليه وميله الى التعاون والتضامن يقترب من فكرة التعاون الميكانيكي والعضوي الذي تحدث عنهما اميل دوركايم في القرن التاسع عشر[٢]. والى جانب أهمية التعاون والاجتماع البشري الذي تحدث عنها الفلاسفة نجد ان كل من افلاطون والفارابي يذهبان الى تسمية احدى المدن التي تحدث عنها بمدينة التغالب، فافلاطون اطلق على تلك المدينة اسم مدينة التغلب Timecard وهي حكومة سيطرت عليها الحماسة والقوة الغضبية على العقل والمنطق، وتهتم بالمجتمع الحربي، فيخفق شأن الفلاسفة ويتحول الحكام الى طلاب منفعة يسعون الى الذات ويتعاونون على استغلال الشعب[٣]. وهذا الوصف يظهر عند الفارابي ايضا والذي يسمي احد مدنه بمدينة التغالب او مدينة الغلبة، وهي التي يكون اهلها قاهرين لغيرهم وهدفهم من الانتصار هو اللذة التي يحصلون عليها من الاخرين وعلى حسابهم، واذا اردنا التطرق في ثنايا ذلك الى الفلسفة الرومانية نجدها ما هي الا عبارة عن محاولات لتطبيق الفلسفة الاجتماعية اليونانية للنهوض في التنظيم السياسي والدراسات التشريعية في المجتمع الروماني، ذلك ان الرومان كما

---

[١] سلمان، محمود محمد: الماوردي والاجتماع السياسي، اطروحة دكتوراه في علم الاجتماع المقدمة الى مجلس كلية الادب، جامعة بغداد، ١٩٩٧، ص١٨٧.

[٢] المصدر نفسه، ص١٨٧.

[٣] د. العمر، معن خليل: تاريخ الفكر الاجتماعي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٥، ص٥٩.

يوصفون بانهم قوم عمليون ولم تكن لديهم روح النظر الخالص المجرد، اذ كانت جهودهم تنصب في الغالب على دراسة الفلسفة اليونانية دون ان يضيفوا اليها الا الشيء القليل، وعند النظر الى فلسفة المسيحين نجد اغلبها لا يخرج عن كونه يعكس الصراع بين المبادئ المسيحية والفلسفة اليونانية في حقبة من زمن معين[١] واذ كان الفيلسوف القديس اوغسطين من الذين عبروا عن الفلسفة الاجتماعية المسيحية، اذ يرى ان المدينة تنقسم على نوعين هما المدينة الارضية والمدينة السماوية، اما الاولى فتقوم على رغبات البشر وتعزيز مفهموم الذات (الانانية) ويسعى الانسان فيها الى تحقيق حاجاته الخاصة دون النظر الى اهمية حقوق الجماعة بقدر تحقيق الاهداف الفردية. اما المدينة السماوية فهي تسعى الى محاربة الذات واقامة العدالة، والشيء الاساسي في هذا الجانب ان اوغسطين لايرى ان المدينة السماوية تخلف الحياة الدنيوية بل ان المدينتين تعيشان جنبا الى جنب منذ نشأة الزمان[٢]، كما انه لا يرى احدهما خيرة بالطبع والأخرى شريرة بالطبع، انما يكون الانتماء اليها بمحض ارادة الانسان، وبينهما منذ البداية حرب مستمرة تجاهد فيها المدينة السماوية من اجل العدالة وتعمل الاخرى على نصرة الظلم، ولم تزل هذه الحرب مستمرة الى النهاية حتى يفصل بينهما المسيح في اخر الزمان فتنعم المدينة السماوية بالسعادة الابدية وتلقى الاخرى جزائه الذي تستحقه. الا انه يرى هاتين المدينتين موجودتان في الحياة الراهنة، فيشارك اهل المدينة السماوية في مزايا الحياة الارضية واعبائها، ولكن الاختلاف ظاهري على الرغم من هذه المشاركة، اذ ان الغايات المادية غايات يتنازع عليها اهل المدينة الأرضية في حين يتخذها اهل المدينة السماوية وسائل يستخدمونها لصيانة حاجاتهم وتحقيق غايات اخلاقية متصلة بالفضيلة والكمال الروحي[٣]. ويظهر بجلاء تأثر الفلاسفة المسيحيين في مبادئ الدين المسيحي، وكذلك الفلاسفة المسلمين كما مر بنا بمبادئ الدين الاسلامي،

---

[١] د. الحسن، احسان محمد: رواد الفكر الاجتماعي، ص٣٢-٣٣.

[٢] العمر، معن خليل: تاريخ الفكر الاجتماعي، مصدر سابق، ص٦٩.

[٣] د. العمر، معن خليل: علم اجتماع المعرفة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٩١، ص٧٥-٧٦.

فضلا عن تأثرهم في الفلسفة اليونانية وبحقائق المجتمع العربي الاسلامي، ومهما يكن من امر فان الكتابات الفلسفية بشكل عام تنحى منحى مثاليا بعيدا عن الواقع، تعكس آراء الفيلسوف حول قضية معينة متأثراً في عوامل دينية واجتماعية وثقافية وغيرها، لذا كانت الفلسفة تعالج المسائل الاجتماعية وهي في برجها العالي، أي ان الدراسات الفلسفية ليست دراسات منهجية تلامس الواقع، انما بقيت مجرد تصورات عن مجتمع يجب ان يكون وليس كما هو كائن، ويمكن القول ان دراسات ابن خلدون التي جاءت فيما بعد تعد بحق من اولى الدراسات المنهجية الملامسة للواقع الاجتماعي، فهو بحق من اوائل الانثروبولوجين والاجتماعيين الذين نزلوا الى الواقع الاجتماعي ودرسوه دراسة علمية منهجية تحليلية.

ثانيا: ابن خلدون... مرحلة جديدة

يمثل ابن خلدون مرحلة جديدة في تاريخ الفكر الاجتماعي والانثروبولجي اذ انطوت كتاباته القيمة عن مضامين ثقافية واجتماعية ونفسية وسياسية استخلصها من دراسة الواقع الاجتماعي دراسة منهجية علمية، لذا يعد (ابن خلدون مفكر انثروبولوجي من الطراز الاول، لانه عد ثقافة الشعوب النابعة من بيئاتها الحياتية اهم القوى المتحكمة في تفكيرها وميولها السلوكية. من هنا تأتي نظريته المهمة عن العصبية القبلية بكونها حقيقية موضوعية تشكلت في سياقات حياة القبائل البدوية في ظروف الواقع الايكولوجي والاقتصادي الصحراوي وامتدادت هذا الواقع الفكرية والنفسية عبر التاريخ الاجتماعي لهذه القبائل. لكن ابن خلدون لم يخلد لنزعة وصف عناصر الواقع البدوي التي غلت على كتاب عصره الذين اهتموا بدراساتها، بل حاول استخلاص بعض العموميات الاجتماعية التي تعبر عن حركة التغير الاجتماعي في صورها النظرية غير المقيدة في حدود الزمان والمكان)[١] ومن هنا تأتي عالمية نظرية ابن خلدون التي تعد اضافة كبيرة للخزين النظري والفكري الذي يستند اليه علم الاجتماع.

---

[١] د. النوري، قيس: مدارس الانثروبوبوجيا، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩١، ص١٦.

فأبن خلدون يضع يده على كثير من المسائل المتصلة بالتفاعل الاجتماعي، واهميتها في حياة الانسان، معتمدا في ذلك على المنهج العلمي الذي سار عليه في فهم الواقع الاجتماعي، لذا كان شديد الانتقاد للتصورات المثالية المجردة، التي دائما كانت تنظر الى عملية التفاعل الانساني نظرة مجردة (فابن خلدون) يعتقد ان الاجتماع البشري هو امر طبيعي وضروري، وان الانسان مدني بالطبع. وهو يشير في هذا الصدد الى شعور الانسان بالحياة، انما هو شعور فطري يدفعه الى محاولة الاستئناس باخيه، كما ان النزعة الاجتماعية تعد نزعة ارادية الى جانب انها عاطفة فطرية. فالضرورة الاجتماعية تبرز في حاجة الانسان الفعلية الى التعاون سدا لاحتياجاته الاقتصادية وتحقيق الرفاهية، فالافراد لابد ان يتعاونوا من اجل الحصول على قوتهم، وحماية انفسهم من شرور الحيوانات المفترسة، واذا لم يتحقق هذا التعاون فانه في النهاية – أي الانسان – سيكون عاجزا من الحصول على الغذاء الضروري، وعاجزا من الوقوف بوجه اخطار الحيوانات الكاسرة، أي انه سوف يتعرض للموت خلال مدة قصيرة اذا لم ينضم الى جماعته ويتعاون معهم. ان شعور الانسان بمصالحه وحاجاته جعلته دائما ينضم الى الجماعة ويتعاون معها، فالتعاون في نظر (ابن خلدون) يؤدي الى التضامن الداخلي الذي يحقق له مزيدا من الامن الغذائي، والامن الشخصي ضد الاعداء. ويمكن القول في هذا الجانب ان المجتمع في نظر (ابن خلدون) هو ظاهرة طبيعية، ومن اول الاسباب التي تدعو الناس الى الاجتماع هو التكامل الاقتصادي الذي يدعم مبدأ تقسيم العمل، فهو يرى ان قدرة الانسان منفردة قاصرة على تحصيل حاجاته من الغذاء او غيرها، فلابد من اجتماع العدد الكبير من ابناء جنسه ليحصل على القوت لهُ ولهم، فيحصل التعاون قدر الكفاية من الحاجة لاكثر منهم باضعاف، اما السبب الثاني فهو الاخر الذي يجعل الافراد يجتمعون في قبائل او مدن ليتمكنوا من الدفاع عن انفسهم ضد العدوان، كما ان الناس بحاجة الى سلطة لتنظيم احوالهم واوضاعهم، وان صاحب السلطة يكون عليهم الغلبة والسلطان[١]. فمفهوم التعاون في هذا الصدد يمثل ضرورة اجتماعية في

---

[١] د. الحسن، محمد احسان: رواد الفكر الاجتماعي، مصدر سابق، ص٧٤-٩٤.

حياة الانسان على الارض، وان التضامن الداخلي يولد صراعا خارجيا، كما ان (ابن خلدون) يشير الى اختلاف الاجيال في احوالهم انما هو لاختلاف نحلتهم في المعاش، وان اجتماعهم انما هو تأمين الغذاء اللازم له[١]، وما يتصل باراء ابن خلدون عن دور التضامن الداخلي في مواجهة الخطر الخارجي، نجده قد سبق كثير من الانثروبولوجيون والاجتماعيين المحدثين ومنهم جورج بالانديه، الذي يرى ان السلطة تخضع لتسميات داخلية تظهر كضرورة يخضع لها كل مجتمع، فهي تبدو ايضا كنتيجة لضرورة خارجية، اذ ان كل مجتمع كلي على صلة بالخارج، وهو مرتبط مباشرة او عن بعد لمجتمعات اخرى يعدها اجنبية او معادية خطيرة على امنه وسيادته، استنادا لهذا التهديد الخارجي يتجه المجتمع ليس فقط الى تنظيم دفاعه وتحالفاته فحسب بل الى تمجيد وحدته وتماسكه وسماته المميزة[٢].

ويفهم من ذلك ان العامل الاقتصادي عاملا مؤثرا في تغير المجتمع من حال الى حال، وكلما كان المجتمع بسيطا متعاونا، مال الى التوازن والاستقرار، وكلما تعقدت الحضارة والنظام الاقتصادي، مال الناس الى التنافس، ويعتقد (ابن خلدون) ان تطور الدولة ونموها انما يكون بالعامل الاقتصادي وليس بالعصبية، فقيام الدولة اولا بالعصبية والشوكة ثم تتغير البنية الاجتماعية بعد الجيل الثاني ان يتحول ابناء المجتمع من البدو الى الحضر[٣].

وفي جانب آخر يرى (ابن خلدون) ان السلطة تؤخذ بالغلبة، وان العصبية تجتمع في النسب الخاص اكثر من النسب العام، لانها في النسب الخاص اشد لقرب اللحمة والرئاسة فيهم، انما تكون في نصاب واحد منهم ولا تكون في الكل، ولما كانت الرئاسة انما تكون بالغلب وجب ان تكون عصبية ذلك النصاب اقوى من سائر العصبيات ليقع الغلب وتتم الرئاسة لاهلها[٤]. كذلك يشير (ابن خلدون) الى مسالة

---

[١] د. فهيم، حسين: مصدر سابق، ص٦٨.

[٢] د. بالانديه، جورج: الانثروبولوجيا السياسية، ترجمة جورج ابي صالح، منشورات مركز الانماء القومي، ط١، بيروت، ١٩٨٦، ص٣٨.

[٣] ابن خلدون، عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون، مصدر سابق، ص٩.

[٤] المصدر نفسه، ص٩١.

اساسية وهي اذا كانت الجماعة البشرية او الامة وحشية كان ملكها واسعا، وذلك لانهم اقدر على التغلب والاستبداد والسيطرة على الطوائف لقدرتهم على محاربة غيرهم، ويعتقد (ابن خلدون) ان السمات الوحشية في أي جماعة تقودهم الى التغلب على غيرهم، والمغالبة انما تكون بالعصبية لما فيها من النعرة والتذامر واستماتت كل واحد منهم دون صاحبه، لان الملك منصب شريف ملذوذ، ويشتمل على الخيرات الدنيوية والشهوات البدنية والملاذ النفسانية فيقع فيه التنافس غالبا، وقلما ان يسلمه صاحبه الا اذا غلب عليه فتقع المنازعة وتضفي الى الحرب والمغالبة وشيء من كل ذلك لايقع الا بالعصبية[١]، وينبغي الاشارة في هذا الصدد ان (نظرية الصراع) عند ابن خلدون انطلقت من تفسيره للظاهرة الاجتماعية ومفهومه للتضامن الاجتماعي (العصبية حسب رأييه) بكونه خاصية جوهرية للمجتمع، وقد اشار ابن خلدون لا يستطيع الحياة بمفرده، ولا بد ان يحدث تعاون مع افراد آخرين في سبيل اشباع حاجاته المختلفة الا ان التضامن لا يلبث ان يقل تدريجيا ازاء طبيعة تنامي رغبات الفرد التي يسعى لتحقيقها مما يثير دوافع العداء والاضطهاد المفضي للصراع[٢].

وفي ذلك اشار الى ان الصراع على السلطة يحصل لما فيها من مغريات ومصالح ومنافع، وان الغلبة ستكون للاشد عصبية. وبهذا يمكن القول ان التغالب سمة تعود في اصلها الى البداوة والعصبية التي تشد اللحمة بعضها الى بعض ضد جماعة اخرى، فان كانت اشد شوكة وقوة فانها تاخذ السلطة او المنافع تغالبا، وفي ذلك اشارة واضحة الى ان المجتمعات او الجماعات البدوية التي لاتخضع لصيرورة التطور وهي في بداية تكوينها، انما يكون التغالب قيمة يعتزون ويفتخرون بها، بينما في المجتمع الحضري المنتج يظهر التنافس كاساس لتنامي الثروة او للحصول على مراكز رفيعة كل حسب جهده وقدراته، ويمكن ان يبنى على اراء (ابن خلدون) ان المجتمعات التي فيها بقايا بداوة وتسكن بعض المدن يرتسم سلوكها بتغالب واضح

---

[١] المصدر نفسه، ص١٠٧.

[٢] د. علام، اعتماد محمد: دراسات في الامن الاجتماعي التنظيمي، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، ١٩٩٤، ص١٩٢.

للاستئثار على منافع دون الاخذ بنظر الاعتبار احقية الاخرين فيها، انما يعتمدون على وسائلهم، تارة يستخدمون القوة من خلال عصبيتهم عندما يغيب القانون، وتارة اخرى يمارسونها بكونها شطارة او قدرة يتميزون بها ويفتخرون بالفوز بتلك المنافع والحاجات حتى وان كانت على حساب الاخرين.

المبحث الثاني

التعاون في المجتمعات المحلية

تتميز الحياة في المجتمعات المحلية بالحياة المشتركة القائمة على اساس الروابط الاولية داخل الاسرة والقرابة والجوار، ويظهر التعاون في هذه المجتمعات بدرجة كبيرة من الوضوح، ولاسيما في المناسبات المختلفة او في تبادل الحاجات بين الجيران والتساند الاجتماعي في المواقف المختلفة، ومن اجل تسليط الضوء على هذا الموضوع ينبغي التطرق اليه من خلال العناوين الاساسية التي تعكس حالة التعاون في هذه المجتمعات.

اولا: المجتمع المحلي

يوصف المجتمع المحلي بانه مجتمع له تاريخ اجتماعي وثقافي تجسدت خلاله قيم مشتركة للسكان المحليين، فهو يقوم على اساس المكانة الاجتماعية والتي تعتمد على القرابة الدم للعائله الابويه، اذ ان لكبير العائله من الذكور السلطه المطلقه، كما ان الملكية ولاسيما في المجتمع الريفي المحلي تكون جماعية للاراضي، والمجتمع المحلي في هذا الاطار عبارة عن مجموعة من العوامل وهذا الشكل يظهر جليا في مجتمع القرية، كما ان حياة المجتمع المحلي توصف بالحياة المشتركة القائمة على اساس العلاقات الاولية، كالعلاقات داخل الاسرة وجماعة القرابة والجوار وجماعة الاصدقاء، كما انه يعتمد على الرابط الشعوري المشترك بين الافراد.

ويمكن القول ان هذا المجتمع يمثل وحدة محدودة النطاق وهو يخضع لسلطان الدين والعادات الاجتماعية وتقسيم عمل بسيط، نظرا لمحدودية او غياب الانتاج الصناعي او الانتاج المؤسسي، فالافراد فيه متضامنون لانهم متشابهون اذ لايجد تخصص في العمل الا في حدوده الضيقة، وقد اطلق دوركايم على طبيعة

العلاقات فيه بالتضامن الميكانيكي وهو غير التضامن العضوي الذي يظهر في المجتمع العريض او الحديث والذي يصف علاقاته بالتضامن العضوي[١].

وفي هدا السياق يمكن القول ان التبادل الاجتماعي الذي يظهر في المجتمع المحلي سواء الريفي ام المجتمع المحلي الشعبي في المدينة القديمة هو التبادل القصير المدى، والذي يمثل النطاق الفردي ويغلب عليه حب الامتلاك والمنافع الفردية اكثر من المنافع المجتمعية[٢]، وان هذا النوع يظهر في مجتمع لايزال يخضع لمعايير المكانة الاجتماعية القائمة على اساس الحسب والنسب، والذي توصف المكانة الاجتماعية فيه بالموروثة. كذلك يكون القانون السائد فيه قانون ملزم تاديبي انتقامي والعقوبة تفوض من المجتمع بشكل جماعي، ومايتصل بالحياة المجتمع المحلي الحضري نجدها تخضع الى نمطين من الثقافية، ثقافة ريفية جاءت مع المهاجرين وثقافة حضرية وافدة تقوم على اساس الانجاز الفردي والنزعة الفردية، وبهذا المعنى اضحت كثير من المدن العراقية تعيش صراعا بين هذبن النمطين كما يظهر جليا في مجتمع الدراسة.

اذ شهدت المدينة العراقية ومنذ بداية القرن الماضي(القرن العشرين) تحولات وتغيرات ايكولوجية واقتصادية واجتماعية بفضل اتصالها بقنوات الحضارة الغربية٠ وقد شهدت الاسرة فيها تفككا نسبيا ولكن ليس بدرجة التفكك الذي حصل بالمجتمعات الغربية بعد الثورة الصناعية، ومع هذا اضحى هناك تغيرات بنائية ووظيفية اصابت الاسرة الحضرية في المجتمع العراقي الحديث من حيث الحجم والوظائف والحقوق والواجبات، ويرجع ذلك الى طبيعة العمل الحضري، فالعمل فيه يميل الى التخصص بفصل طبيعة عمل المؤسسات الانتاجية الاخذ بالتطور.

---

[١] د. اشكارة، عادل: المدخل الى علم الاجتماع، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، دار الكتب للطباعة، بلا تاريخ، ص٧٣-٧٥.

[٢] د. النوري، قيس: الهوية العراقية والتبادل الاجتماعي، مجلة دراسات اجتماعية، العدد١٧، السنة الخامسة، ٢٠٠٥، مجلة تصدرها بيت الحكمة، بغداد، ص٥.

ففي الوقت الذي ظهر فيه هذا النوع من التطور في المجتمع الحضري بقي الريف يعيش في دائرة الانتماء العشائري الضيق،اذ تمارس الاسر الريفية نشاطها بشكل تلقائي او ميكانيكي(كوحدة انتاج بدون تقسيم العمل)[١]

واستنادا الى ما جري في حياة المجتمع العراقي يمكن ان نميز محوريين اولهما يتمحور حول المحددات الاخلاقية للتبادل الاجتماعي والثاني ينشق من المشهد الاقتصادي الجديد الذي تسيطر عليه المنافع الفردية اكثر من المنافع المجتمعية والاخيرة عادة تظهر في المجتمعات الحدية القائمة على التضامن العضوي حيث ترتبط مصالح الافراد واهدافهم بنتائج المشاريع طويلة للامد والتي ترجع بالفائدة على الجميع٠ ولعل هذا التقسيم ينطلق اساسا من حالة الانتقال التي شهدها المجتمع العراقي خلال العقود الماضية، فحينما كان المجتمع بحالتة التقليدية المحلية المنعزلة يعتمد على العلاقات المحلية والتضامن الداخلي سواء في الاسرة المحتدة او العشيرة، كانت عملية الاخذ والعطاء على اساس المنفعة المباشرة لتلك الاسرة او العشيرة دون النظر الى مصلحة المجتمع الاكبر، وحينما بدا ينفتح المجتمع المحلي على محيطة الخارجي وتنامي دور المجتمع المدني او الدولة ظهر تبادل اجتماعي على نطاق المجتمع، وقد اخرج ذلك كثير من العلاقات المحلية المتعصبة للعشيرة الى علاقات تصب في مصلحة المجتمع وتعزز االانتماء الوطني او المجتمعي للافراد.

وبهذا شهد المجتمع المحلي العراقي تغيرات اجتماعية وثقافية واقتصادية نقلت تفكير الانسان فيه من نطاق قوقعته المحلية الى نطاق اوسع حيث التفاعل الاجتماعي وحيث الطموح الاقتصادي مما عزز دوافع الكسب المادي للافراد وتوسع النظام المهني بدرجة اصبح من الصعب حصر المهن التي يزاولها افراد المجتمع المحلي المتغير، فلم تعد الاسرة او الوحدة القرابية هي التي تدور فيها علاقات الافراد

---

[١] د. شكارة، عادل: المصدر السابق، ص٧٤-٩١.

انما تنوعت الجماعات تبعا لمظاهر النشاط الاجتماعي مثل السياسية والاقتصادية والترفيهية وغيرها[١].

ثانيا: التعاون

اشار علماء الانثروبولوجيا والاجتماع الى اهمية التعاون في المجتمعات المحلية لكونها من الخصائص المميزة لحياتها الاجتماعية، فالتعاون هو العملية الاجتماعية التي بموجبها يقوم شخصان او اكثر او جماعات بصورة مشتركة بعمل لتحقيق هدف مشترك. فهي تنطوي على عامل المعايشة ومبدا تخصص وتقسيم العمل وتمثل السعي المستمر والكفاح المشترك للوصول الى هدف مشترك. والتعاون يمثل قوة موحدة ضرورية لتماسك النظام الاجتماعي وحياة الجماعة، ونجدة يسود في المجتمعات البسيطة ويظهر بين افراد الاسرة الواحدة وبين الجماعات الاجتماعية وبين الجيران وابناء المجتمع المحلي في المناسبات المختلفة٠ ويتميز التعاون كونه علاقة متبادلة متقابلة بين الافراد فلا يمكن ان يكون عملية من جانب واحد، كما انه لايعني المساواة التامة في الجهود المبذولة من طرف من_الاطراف[٢].

كما ان التعاون ميز حياة المجتمع البشري عن غيره فهو عملية استدعتها طبيعة الاجتماع البشري، كما انها اخذت اشكالا اكثر تطورا خلال عملية الارتقاء البشري خلال التاريخ لتلبي حاجات الانسان المتطورة مع ازدياد حاله تعقيد الحياة الاجتماعية والذي انتظم الانسان جرائها في تشكيلات اجتماعية اكثر تعقيدا لتكوين المدينة ثم الدولة ليظهر التعاون في نطاق واسع يشمل مؤسسات المجتمع المختلفة ولياخذ طابع التبادل الاجتماعي بعيد المدى. وقد لمسنا اهمية التعاون خلال النظريات التي صاغها علماء الانثروبولوجية وارتقاء الانسان بخط تطوري ارتقائي في تنظيمه الاجتماعي والسياسي والتقني، كما ذهب الى ذلك اصحاب النظرية الانثروبولوجية

---

[١] د. الخشاب، مصطفى: مصدر سابق، بلا تاريخ، ص١٤٥.

[٢] د. العاني، عبد اللطيف وآخرون: المدخل الى علم الاجتماع، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، بلا تاريخ، ص٩٣-٩٤.

التطورية القديمة امثال(لويس مورجان وماكلينان وباخوفن وغيرهم)[١]، فضلا عن ذلك فان التعاون من ابرز مايميز المجتمعات المحلية البسيطة والذي يظهر جليا في تنظيمها الداخلي ومايرافق ذلك من تماسك اجتماعي ياخذ بعده من خلال التبادل الاجتماعي قصير المدى، كما يظهر في حياة القبيلة او المجتمع البسيط الاقل تفاعلا وانفتاحا وفي هذا الاطار فان المجتمعات الانسانية تتطور من اشكالها البسيطة الى الاشكال المعقدة كما يرى ذلك سبنسر وان هذه المجتمعات قائمة على الحرب والصراع الى مجتمعات قائمة على الصناعة،وان الظواهر الاجتماعية تتطور من البساطة الى التعقيد ومن التجانس الى التنافر الامر الذي يسبب التغير او التقدم الاجتماعي[٢]. وبناءا على ذلك فان المجتمعات البسيطة والمتعاونة داخليا سرعان ماتتحول الى مجتمعات تعاقدية او علمانية عندما تصل الى مرحلة الانتاج الصناعي الواسع لياخذ سلوك الانسان تحت هذه الظروف اوجه من التنافس والصراع حيث تغدو الفردية اكثر المظاهر بروزا من مظاهر القيم الجمعية التي كانت سائدة في مجتمع محلي متعاون تلقائيا الا ان دوركايم يشير الى مفهوم التمثلات الجماعية كرموز مشتركة ناشئه عن تفاعل العقول واحتكاكها لانها نشات وتطورت اجتماعيا ويلاحظ ان هذه التمثلات تعوق نمو التخصص وتقسيم العمل وتقلل من فرص الصراع وتمارس ضغط يستمر في الوجود حتى بعد ان تفقد قيمتها فهي تمثل مرحلة حيوية من التعاون، فالتمثلات الجماعية هي اصل الموضوعات او عوامل القيم الاجتماعية، وان نظرية التمثلات الجماعية هي بالضرورة نظرية القيم الاجتماعية وقد ميز دوركايم بين معنيين من القيمة الاول موضوعية والثانية ذاتية، حيث تتداخل استجابات الفرد ومشاعره والمثل التي خلقها المجتمع والتي لها صفة الالزام والاجبار[٣]. كما اشارت الى ذلك من قبل المدرسة البنائية الوظيفية الى اهمية

---

[١] د. غامري، محمد حسن: مقدمة في الانثروبولوجيا العامة، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية، ١٩٨٩، ص٩٠-٩١.

[٢] د. فهيم، حسين: قصة الانثروبولوجيا، مصدر سابق، ص١٦٥.

[٣] د. ابو علي، محمد عبد الله: مدارس اجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الاسكندرية، ط١، ١٩٧٨، ص١٢.

التعاون والتساند بين انساق المجتمع المختلفة كعملية تفاعلية ضرورية من اجل صيرورة الحياة الاجتماعية، وعلى هذا الاساس فان عملية التعاون من بين العمليات الاساسية التي تشكل ملامح التفاعل الاجتماعي في البناء الاجتماعي. وقد اكد(راد كليف براون) في سياق ذلك ان هناك حاجات انسانية مثل التضامن والتعاون والاتفاق، وهي تبدو كحاجات نابعة من البناء الاجتماعي لاي مجتمع[١]. لذا يبرز التنظيم في كل نسق من انساق البناءالاجتماعي كل اشكالية من هذه الاشكاليات التي قد تبرز في المجتمع، اما ايفانز برتشارد فقد تعرض لطبيعة الحياة الاجتماعية وكذلك اهمية المجتمعات القرابية في مجتمع النوير جنوب السودان ولاسيما عن اشكال التعاون بين افراد المجموعة القرابية، فضلا عن حالة التنافس التي تظهر في تفاصيل الحياة الداخلية للقبيلة

ثالثا: الأخذ والعطاء

يستبعد ان يكون سكان المجتمعات المحلية قد فكروا في ظروفهم السابقة بدلالات التبادل التجاري بعيد المدى لغياب فرص الطموح الحقيقي التي تحكم فقرهم الشامل واميتهم الواسعة. وقد شغلوا بهموم الحياة ولقمة العيش التي اخذت فهم الشى الكثير واستنفرت وقتهم وجهدهم، وهكذا كانت المعيشة الهاجس المسيطر الذي ابقى انشطة التبادل الاجتماعي في اضيق حدودها ونائية عن نموذج التبادل الاجتماعي بعيد المدى لكن من المؤكد ان سكان المناطق الريفية والشعبية في المدن ولاسيما في المناطق المهمشة والفقيرة شددوا على ضرورة ثنائية المصالح(الاخذ والعطاء) بين الاسر وعدوا اهمال هذا المبدا خروجا عن نظامهم الاخلاقي[٢]. وفي هذا المجال يؤكد(مالينفسكي) رائد الدراسات الميدانية، ان ثقافة أي مجتمع تنشأ وتتطور في اطار اشباع الحاجات البيولوجية للافراد، وقد حصرها في الغذاء والانجاب والراحة البدنية والامان والاسترخاء والحركة والنمو، ولكن تستمر الثقافة في اداء وظائفها وادوارها في اشباع الحاجات الانسانية، فانه يرى ضرورة توافر اللوازم المادية ولابد من تحديد

---

(1) Radeliffe – Brown, A.R Structue and function in primitive society, London, 1952, P.35.

(٢) د. النوري، قيس: الهوية العراقية والتبادل الاجتماعي، مصدر سابق، ص٩.

قواعد واجبة الاحترام والطاعة والتطبيق باحكام الضبط الاجتماعي وتحديد الادوار والمكانات بين الافراد مما يؤدي الى نشوء تنظيم اجتماعي متماسك له صفة الاستقرار والاستمرار[١].وفي هذا السياق ينبغي ان يكون هناك قدراً كبيراً من التعاون والانساق في الحياة الاجتماعية، وان هذا التعاون ينبغي ان يقوم على الاخذ والعطاء لاشباع الحاجات المختلفة للسكان المحليين، ويرى(مالينفسكي) انه لكي يضمن المجتمع حياة اكثر تنظيما واستقرارا لابد من وجود قوانين تحد من تدافع البشر نحو حاجات اكثر، ويظهر ذلك حينما ينتقلون الى مجتمع اكثر تطورا وانفتاحا، ويرى هذا العالم ان روح التعاون تسهم في ضمان استقرار المجتمع، وتماسك الثقافة في كل انساقها مثلما تترابط اعضاء الكائن الحي[٢]. وفي الوقت الذي يؤكد(مالينفسكي) بان الظواهر الثقافية مشتقات عن الحاجات الفردية التي ينبغي اشباعها عن طريق التبادل الاجتماعي في المجتمع المحلي، فهو بدأ بنظرته الثقافية من الفرد في حين نجد(روث بندكت) تراها من منظور الانماط الثقافية وعدت سلوك الفرد مجرد اتفاق وتواؤم مع التعاليم والمثل والقيم والاتجاهات الثقافية الموجودة بالفعل [٣]. كما تؤكد(روث بندكت) ايضا على اهمية التكامل الثقافي وعد الثقافة كيانا كليا عريضا يستمد قوتة ووحدته من خضوع اجزائه او عناصره كافة لمبدأ ثقافي عريض يوجهها وينظم علاقاتها بشكل يتسم بالانسجام والاعتماد المتبادل، ففي كل ثقافة يوجد نمط مركزي مسيطر يمثل نقطة جاذبية كبرى هي تدور كل العناصر الثقافية حولها،وقد اطلقت بندكت مصطلح النمط الثقافي في دراستها(نماذج من الثقافة) حيث انشأت اسلوبا يتضمن اجراء مسح اثنوغرافي للنظام الثقافي الكلي السائد في المجتمع، وتحديد الاساليب وتشخيص القيمة الاهم التي تسيطر على السلوك وتؤلف المركز

---

(1) Molinowski, Bron is law. The Dynamics of chithre chang: Anlanguiry into race relatioins in Africa – new hawen: yale university, Press, (145, PP, 165-167.

(2) Fridle & John P. Feiffer, Anthropology: harper & row publishers New York 1977, PP. 403

(٣) د. ابو زيد، احمد: البناء لاجتماعي مدخل لدراسة المجتمع، ج١، بلا تاريخ ، ٧١.

الذهني والعاطفي التي تدور حوله مواقف الفرد في تفاعله وتعاونه مع الاخرين. وتطلق النمط الثقافي على هذه القيمة المسيطرة[١].

وحينما تكون النزعة العشائرية تسيطر على المجتمع المحلي الريفي وتصبح هي الموجه لسلوكه الاجتماعي ولاسيما في مجال التبادل الاجتماعي على المدى القصير حينما يسعى الفرد الى تحقيق اهدافه ومصالحه، ويفهم من ذلك ان الثقافة هي التي ترسم ملامح التبادل والاخذ والعطاء في المجتمعات المحلية كانت المجتمعات صغيرة ومنعزلة كلما كانت الفرص سانحة لظهور التبادل الاجتماعي بمداه القصير بسبب محلية العلاقات الاجتماعية،وان النمط الثقافي هو الذي يحدد شكل هذا التبادل الاجتماعي الذي يقوم في الاصل على تحقيق الحاجات الشخصية وتحقيق المنافع الفردية دون ان يكون هدفها المنافع المجتمعية، وان عملية التعاون في المجتمعات المحلية هي اكثر عمليات التفاعل الاجتماعي حضورا في حياة هذه المجتمعات. وفيما يتصل بالحاجات الانسانية ومنها الحاجات البيولوجية تؤكد(مارغريت ميد) ان لهذه الحاجات التي يهدف الانسان الى اشباعها ردود افعال في السلوك الاجتماعي، فهي حوافز ثقافية واجتماعية لها اثرها في تقدم وتطور المجتمع، كذلك فان العمليات التي تنجم عن اشباع الحاجات البيولوجية تؤدي الى اشباع بعض الطرق والمظاهر الثقافية وذلك اثناء عملية رعاية الطفل وطريقة تنشئته واسلوب الاسرة في سد حاجاته للطعام والشراب واللعب والامن[٢]. وعليه فان مايسود في المجتمع المحلي من مفاهيم حول عملية التبادل الاجتماعي بين السكان ينبع في الاصل من ضرورة اشباع حاجات اولئك السكان المحليين، وان انشغال الناس تحت الظروف التي يعيشونها قد جعل السكان يتكيفون لطريقة اشباع الحاجات المتبادلة التي لاتتعدى ضرورات المدى القريب. وهم يعيشون في ظل ظروف اجتماعية واقتصادية يمكن ان توصف بانها محلية غير متفاعلة مع المحيط الخارجي ليظهر الاخذ والعطاء في مجال ارحب عندما يتم التعامل مع المحيط الخارجي.

---

[١] د. النوري، قيس: الاتجاه النفسي في الانثروبولوجيا، مجلة كلية الاداب، جامعة بغداد، العدد ١١، ١٩٦٨، ص٣٢٩.

[٢] د. اسماعيل قباري محمد: المدخل الى علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، بلا تاريخ، ص٢٧٥.

رابعا:التبادل الاجتماعي

مع بداية تأسيس الدولة العراقية الحديثة عام ١٩٢١م كانت العلاقات المحلية والعشائرية تهيمن على المجتمع العراقي، وكان طابع الانعزال هو السائد في المناطق الريفية وحتى المناطق الشعبية في المدن، وطبيعة الحياة تلك كانت تهيمن على عملية التبادل الاجتماعي في المجتمع المحلي العراقي، ومن الطبيعي ان التبادل الاجتماعي في تلك المرحلة كان في ابسط اشكاله لايتعدى عملية الاخذ والعطاء في نطاق اقتصاد الفقر والكفاف والاحتياجات المحدودة، أي اقتصاد محلي غير متفاعل مع المجتمعات الاخرى، ومع وضوح القوة الداخلية في التنظيم القبلي او العشائري الا انه ظل يعاني من احتباس وضآلة التفاعل الاجتماعي الخارجي، ومن حالة الارتياب النفسي والذهني خارج حدود القبيلة او العشيرة لاسيما ازاء اهل المدن، وقد واصلت الجماعات العشائرية تحجيم علاقاتها الخارجية زمنا طويلا من خلال قصر زواج اعضائها بعضهم ببعض (الزواج الداخلي)، وهكذا بقيت القبائل او العشائر عبارة عن تجمعات بشرية متناثرة في البلاد دون ان تخضع لسلطة زعامة واحدة او لقانون حكومي[١].

ومع بداية القرن العشرين كان المجتمع العراقي يتجه نحو الحضرية في الوقت الذي كانت القبائل او العشائر العراقية تعيش حياة انعزال وانطواء ذاتي، كانت المدينة العراقية او المجتمع المدني العراقي يتجه نحو الحضرية والاخذ بالاساليب الجديدة التي اخذت تفد وتدخل الى المجتمع مع بداية الاستعمار البريطاني، كما تطورت في ظل تطور المنظمات والمؤسسات المختلفة في سياق العلاقات التبادلية غير القرابية التي انفتحت على الافاق التعليمية والصناعية والتجارية والخدمية والسياسية، وعن هذا التحول يشير الدكتور(قيس النوري) الى بروز تيارين متداخلين، الاول العشيرة وتقاليدها بينما يمثل الثاني الدولة

---

[١] د. النوري، قيس: الهوية العراقية والتبادل الاجتماعي، مصدر سابق، ص٤.

ومؤسساتها، والمجتمع المدني وماتبعه من توجهات نحو التضامن العضوي المهني غير القرابي، هو يرى انه لابد من دراسة هذا التداخل بين التياريين ويتم استقطاب وانعكاس ذلك على السلوك التبادلي. فبعد التطور الذي شهده المجتمع العراقي وظهور الدولة ومؤسساتها واتجاه البلاد نحو التحضر والتمدن اخذ المجتمع العراقي يتطور ويتأقلم وفقا لطبيعة الوضع السياسي والقانوني والثقافي الجديد كما تطورت الطبقة الوسطى واصبح لها حضورها الفكري والسياسي المتصاعد في المجتمع، ولاسيما بعد مرحلة الاستقرار السياسي وازدياد الوعي الوطني والاتجاه نحو ولاء الوطن بدلا من الولاء للعشيرة. وفي هذا السياق دخل العراق مرحلة الحداثة والنشاط الثقافي النشط وبدأت رياح التغير تهب على كثير من انساقه ومؤسساته الاجتماعية[١].

وقد كان تأثير الحضارة الحديثة بعد الحرب العالمية الاولى في المجتمع العراقي واضحا وعميقا لاسيما ان تلك الحضارة تقوم على الكفاءة الشخصية الفردية ولاعلاقة لها بالانتماءات القبلية ومايرتبط بها من قيم ليحدث الصراع بين ما حملته الينا الحضارة الحديثة من مبدأ الفردية وماورثناه من القيم البدوية او الريفية المضادة[٢]. ومع مطلع القرن العشرين حيث تميزت الروابط العشائرية بالقوة والسيطرة على عملية التبادل الاجتماعي ليظهر هذا التبادل بمداه القصير حتى اذا ما تطور المجتمع المدني ظهر التبادل الاجتماعي بمداه البعيد المعبر عن المنافع المجتمعية، وفي هذا الصدد يميز الدكتور(قيس النوري) محوريين اساسيين من التبادل الاجتماعي يتمثل الاول في المحددات الاجتماعية بالتبادل وهي تخضع للضوابط الاخلاقية التقليدية بينما يتجلى المشهد الثاني في الصعوبات المنبثقة من المشهد الاقتصادي الجديد حيث تسيطر اشكال المنافع الفردية على المنافع المجتمعية، ويبدو ان هذيين الشكلين من المنافع والدوافع المحركة لها يتلازمان في معادله

---

[١] لمصدر نفسه، ص٤.

[٢] العينجي، منى محمود: التحضر في المجتمع العراقي في ضوء فرضية الدكتور علي الوردي في الانتقال من البداوة الى الحضارة، اطروحة دكتوراه في علم الاجتماع مقدمة الى مجلس كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩٨ (رسالة غير منشورة)،ص٣٥.

تتأرجح كفتها نحو هذا الطرف او ذاك اعتمادا على تباين القوى المتحكمة في عمليات التبادل الاجتماعي، وعلى الرغم من تنوع صور التبادل واختلاف دوافعه فانه يقع في صنفين رئيسين هما التبادل قصير المدى وهو يمثل النطاق الفردي الذي يغلب عليه حب الامتلاك والمنافسة والمتعة الحسية واقتناء الكماليات واندفاع الشباب. اما النموذج الثاني فيتضمن التبادل الاجتماعي بعيد المدى وهو يعني اعادة انتاج النظام الاجتماعي العام وتحقيق الاستقرار في الزمان والمكان، بمعنى انه يتحرك نحو افاق المصلحة المجتمعية واثرها في تعزيز رفاه المجتمع وقوة الدولة[١]. ويمكن القول ان التبادل الاجتماعي الذي يراه الدكتور(قيس النوري) فيما يتعلق بالتبادل القصير المدى ينحصر بطموحات الافراد لتحقيق ارباح سريعة وتحقيق منافع شخصية قبل اوانها، وقد لاحظنا في مجتمع الدراسة ان هذا السلوك موجود في نطاق العلاقات القرابية المحلية الاقل تفاعلا مع الاخرين، حيث يشعر الافراد ان ذلك التبادل وسيلة لتحقيق منافعهم الذاتية دون الاكتراث بالمنافع العامة، وقد برز هذا الاتجاه في ظل سيادة النسق العشائري او القرابي الاكثر انغلاقا او انعزالا، وهو يظهر كذلك بين الفئات الاقل تعلما وتحضرا وبين الفئات التي تحاول استحصال ارباح سريعة دون اعتبار اهمية المنافع المجتمعية. ومع تطور المجتمع العراقي وظهور المؤسسات الاجتماعية وتطورها وتفاعلها وانفتاحها وتعزيزا لثقافة الانتماء الى الوطن والمجتمع برز تبادل اجتماعي بعيد المدى وهو الذي ظهر في المجتمع الحضري الذي تتركز اهدافه في تحقيق طموحات كل الفئات الاجتماعية التي ابتعدت عن الولاءات الضيقة من العشيرة او المجموعة القرابية، ويكون ذلك من خلال اندماجها بمؤسسات المجتمع المختلفة التعليمية والسياسية والاقتصادية. وفي هذا السياق تبرز اهمية العلاقة العضوية بين التبادل الاجتماعي بشكليه وبين الهوية، ولعل استثمار نظرية ثنائية التبادل يوفر حلا عمليا يتمثل في نمو مساحة الهامش الحضري والوطني مقابل انكماش الهامش العشائري، وبغض النظر عن درجة وعي الناس فان هذيين الاتجاهيين المتعاكسين يعبران عن جدلية كانت فيها كفة الدولة

---

[١] د. النوري قيس، الهوية العراقية والتبادل الاجتماعي، مصدر سابق، ص٥.

والمجتمع المدني هي الارجح من كفة القبيلة او العشيرة ومن اطراد هذا الامتداد الحضري والوطني تتسع رقعة التبادل بعيد المدى على حسب رقعة التبادل قصير المدى، يتبع ذلك ايضا نحو عقلنة الهوية العراقية واغناء رؤيتها الكونية وتعميق قدرتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بتوقع تحقيق هذه الافكار والاراء في ضوء الصيرورة السياسية والاجتماعية والفكرية التي تمثل بوضوح تسريع تأقلم الناس في اطار الدولة ومؤسساتها فضلا عن اتساع رقعة التعليم وانسياب المعارف الفكرية وتعليم مبادى العربية الفصحى الداعمة للحس الوطني والقومي[١]. وفي هذا السياق المتحرك بين العشيرة والمجتمع المدني(الدولة) يبدو ان نموذج التبادل قصير المدى غالبا ما يستهوي الافراد الاقل تعليما وذلك لميلهم الى تكريس مصالحهم في سياقات الحياة الحضرية العامة، الا انهم من جهة اخرى يتحركون ايضا في نطاق مصالح انتمائهم القرابية الممتدة وتغليبها على مصالح المجتمع[٢]. وفي هذا المجال يمكن ان تبرز للتبادل الاجتماعي قصير المدى الكثير من السلبيات فهو يتسم بطابع الانفعال العاطفي الذي تتميز به الروابط القرابية وضآلة مضمونه الفكري والاخلاقي المرتبط بالمجتمع الاوسع ومؤسساته، فاصحاب هذا الاتجاه يفضلون المنافع الصغيرة الانية على المنافع الكبيرة والبعيدة، كما تبرز بعض اشكال هذا النوع من التبادل عند بعض الزراع الذين يبيعون الزرع وهو اخضر قبل موعد النضج والحصاد لمجرد ضعف الفرد امام الاسعار المرتفعة والمنافع المادية وعدم الانتظار اكثر من اجل نضج المحصول، كما ان هذا التبادل قد يلحق اتساع ممارسته الضرر بتطور القدرات والمؤهلات العلمية التي يتعذر اكتسابها بدون الصبر والتحمل.

اما التبادل الاجتماعي بعيد لمدى فغالبا ما ينسجم وطموحات المجتمع العريض فهو يسهم في تدعيم بنائه الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ويوسع افاقه التنموية، وذلك لامتداده مع الرؤيا المجتمعية العريضة المعبرة عن الصالح العام،

---

[١] المصدر نفسه، ص٧-٨.

[٢] د. النوري، قيس : جوانب من فكر الدكتور علي الوردي، مجلة البحرين الثقافية، العدد١٢، البحرين، ١٩٧٩، ص٥٦.

وبهذا فهو يسهم باندماج الوحدات الاجتماعية(الاولية) وحتى الهامشية الاصغر في المجتمع الاكبر. ويتم كل ذلك من خلال موازنة الافراد طموحاتهم الشخصية مع التطلعات التي يسعى اليها المجتمع، بمعنى ان هذا النموذج ينطوي على رؤية اكثر عمقا بحكم انطلاقه من القواسم العامة المشتركة التي تعمل على توسيع دائرة التفاعل الاجتماعي بعكس الجماعات الاولية القرابية و العشائرية التي تعجز عن التفاعل الايجابي مع تلك القواسم.[١] كما ان هذا التبادل يستمد قوته واتساعه من الديمقراطية التي تمنحه مساحة اكبر نتيجة لازدياد فرص الحراك الاجتماعي كما انه يتسع ليشمل حقوق وممارسات انسانية واجتماعية بالغة الاهمية كالزواج الخارجي والذي بدوره يعزز الوحدة الاجتماعية والثقافية بين فئات المجتمع المختلفة[٢].

---

[١] د. النوري، قيس: الهوية العراقية والتبادل الاجتماعي، مصدر سابق، ص٧-٨.

[٢] المصدر نفسه، ص ٨-٩.

خاتمة الفصل

تضمن الفصل عرضا لبعض الكتابات الفلسفية مثل الفلسفة اليونانية والرومانية والمسيحية والإسلامية ذات الصلة بموضوع الدراسة، وانتهى الى ابراز رؤية مشتركة بين هذه الكتابات من حيث منظورها المثالي، ثم تضمن الفصل آراء ابن خلدون كمفكر يمثل مرحلة جديدة في الفكر الانثروبولوجي والاجتماعي عكس الواقع الاجتماعي دون تفسير الظواهر برؤية فلسفية تنطلق من آراء الفيلسوف نفسه انما هي معالجة موضوعية وعلمية تقوم على اساس الاستقراء. كذلك تناول الفصل اهمية التعاون في المجتمعات المحلية منطلقا من خلال اعطاء رؤيا واضحة عن المجتمع المحلي والتعاون والاخذ والعطاء والتبادل الاجتماعي، واقد افضى الفصل الى اعطاء رؤية واضحة عن ذلك، واعتبرت تلك الاراء مرجعا واطارا نظريا للدراسة الحالية.

الفصل الثالث

الإطار المنهجي للدراسة

التمهيد

نتناول في هذا الفصل بصورة اساسية الى اهم المناهج وادوات جمع البيانات عن الظاهرة المدروسة بطريقة تستدعيها الدراسة الفعلية في كل مرحلة من مراحلها، من اجل تحليل وتفسير البيانات الخاصة بالتعاون والتغالب في مجتمع متغير انسجاما مع الضرورة العلمية. ويتكون هذا الفصل من مبحثين تناول المبحث الاول منهجية وعينة ومجالات الدراسة اما المبحث الثاني فتطرق الى ادوات جمع البيانات.

المبحث الأول

منهجية وعينة ومجالات الدراسة

اولا: مناهج الدراسة

تعد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية التحليلية، وقد استعملت الباحثة اهم المناهج الأنثروبولوجية وفق حاجة الدراسة، وفي كل مرحلة من مراحلها. ولعل ابرز المناهج استخداما المنهج الوصفي والمنهج البنائي الوظيفي فضلا عن طريقة الملاحظة والمشاركة التي كان لها حضورها الفعال في الميدان، كما تم استعمال المسح الاجتماعي بطريقة العينة للحصول على معلومات اساسية عن مجتمع الدراسة، كما تم الإفادة من المنهج التاريخي لكونه ينهض على فكرة اساسية قوامها ان الحاضر هو جزء من التاريخ، أي من العملية التاريخية في حركتها الدائمة، ومعنى ذلك ان هذا المهنج ينشغل بدراسة قضايا المجتمع في الحاضر مبتدئا بمعرفة الواقع الاجتماعي لغرض تغييره ومنشغلا بالتعرف على تاريخ العملية الاجتماعية أي تاريخ المجتمع بحركته وبما ينطوي عليه من تاريخ للوقائع والافكار في تفاعلها معا[١]

أ- المنهج الوصفي

يعد المنهج الوصفي من ابرز المناهج استعمالا في الدراسات البنائية الأنثروبولوجية، اذ يقوم باعطاء صورة تفصيلية دقيقة للظاهرة المدروسة في المجتمع الذي يعيش فيه الباحث[٢]. وقد أفادت الدراسة من هذا المنهج كثيرا في وصف ما هي عليه طبيعة التعاون والتغالب في مجتمع الدراسة في صورته الآنية، كما تم وصف طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة فيه.

---

[١] د. جابر، سامية محمد: منهجية البحث في العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٣، ص٢١١.

[٢] المهيني، غنيمة يوسف، الاسرة والبناء الاجتماعي في المجتمع الكويت، مطبعة الفلاح، الكويت، ١٩٨٠، ص٨.

ب- المنهج البنائي الوظيفي

الوظيفية مذهب انثروبولوجي يؤكد على الاهتمام بالدور الذي يلعبه كل جزء من الحضارة في وجوده الكلي[١] كما ان البنائية الوظيفية ومؤسسها رادكليف براون تعد من اكثر اتجاهات الفكر الاجتماعي بروزا في القرن العشرين، وقد حظيت باهتمام كبير من لدن الرواد الاوائل في الانثروبولوجيا امثال وايفانز برتشارد و مالينفسكي وغيرهم، وقد جاء بمؤلف رادكليف براون (البناء والوظيفة في المجتمعات البدائية) ليكون هذا المؤلف نقطة جوهرية في تاريخ الانثروبولوجيا، ولعل ما يميز المنهج البنائي الوظيفي انه حقق الالتقاء بين الانثروبولجيين والاجتماعيين[٢].

ج- دراسة الحالة

لمعرفة التغيرات التي طرأت على سمة التعاون والتغالب في المجتمع المدروس وتسليط الضوء على حالات بارزة في الميدان (وقد تم اختيار ثلاث حالات منها) برزت الحاجة لدراسة الحالة، وقد دلت الحالات المختارة على وجود مفاهيم جديدة للتعاون الذي يعد صفة بارزة في نسق الثقافة التقليدية في الماضي نتيجة بروز حاجات جديدة متنوعة واساسية في المجتمع، وتضمن دراسة الحالة جمع المعلومات المتعلقة بوحدة معينة تخضع للبحث سواء كانت تلك الوحدة افرادا ام مؤسسة ام مجتمعا محليا او مجموعة اخرى يمكن عدها وحدة خاضعة للدراسة[٣]. وتغير دراسة الحالة بصورة عامة في الامور التالية[٤]:-

---

[١] د. سليم، مصطفى شاكر: قاموس الانثروبولوجيا، مصدر سابق، ص٣٧٦-٣٧٧.

[٢] د. محمد، علي محمد: تاريخ علم الاجتماع، الرواد والاتجاهات المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٦، ص٤٤٣-٤٤٤.

[٣] د. الحسن، محمد الحسن: تنظيم المجتمع، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٢، ص٣٣٥.

[٤] د. حسن، عبد الباسط محمد، اصول البحث الاجتماعي، مكتبة وهبة، ط٦، مصر، ١٩٧٧، ص٢٣٣-٢٣٥.

١- الدراسة الدقيقة والتفصيلية للحالة وما يؤثر فيها من عادات وتقاليد وافكار واتجاهات سائدة، ومن متغيرات جارية في المجتمع.
٢- كما يمكن ان تركز الحالة على التاريخ التطوري لشخص ما او موقف معين.
٣- محاولة التعرف على طبيعة الحياة الخاصة لشخص معين.
٤- الوقوف على العوامل الاجتماعية والنفسية والثقافية والاقتصادية المتداخلة المؤثرة في الحالة.

واستندت دراسة الحالة في الدراسة الحالية الى ما يجري في مجتمع الدراسة من حالات يمكن ان تؤشر على سلوك التعاون والتغالب،

. وبصفة عامة يمكن ان تتصف دراسة الحالة بسمات كثيرة يمكن اختصارها بالشكل الاتي[١]:-

١- انها طريقة بحثية يمكن عن طريقها جمع معلومات شاملة عن الحالات الخاضعة للدراسة.
٢- انها طريقة او اسلوب للتحليل الكيفي للظواهر والحالات.
٣- انها طريقة تتبعية أي انها تعتمد اعتماداً كبيراً على عنصر الزمن ومن ثم فانها تهتم بالدراسة التاريخية.
٤- انها منهج ديناميكي حركي يتفاعل مع الحالة ولايبتعد عن بحث الحاله في ظروفها الانية.
٥- انها منهج يهدف الى تكامل المعرفة لانه يعتمد على اكثر من اداة للحصول على المعلومات او البيانات.

ثانيا: عينة الدراسة

وحدة العينة في هذه الدراسة الافراد المقيمون في منطقة الدراسة وتم سحب عينة قصدية متكونة من (١٠٠) فرد من الرجال والنساء موزعة حسب النوع (٦٠) ذكرا و (٤٠) انثى، تم اختيارهم من اماكن الدراسة المختلفة.

---

[١] د. محمد علي محمد: علم الاجتماع والمنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية، ط٢، الاسكندرية، ١٩٨٠،ص ٦٦١.

ثالثا: مجالات الدراسة :

أ- المجال البشري

تم تحديد السكان القاطنين في الوقت الحاضر في منطقة الجزائر بمدينة الشعب في بغداد مجالا بشريا للدراسة

ب- المجال السكاني

تم تحديد حي الجزائر بمدينة الشعب في امانة بغداد مجالا مكانيا لاجراء الدراسة.

ج- المجال الزمني

وهو السقف الزمني الذي تجري تحته تنفيذ اجراءات الدراسة النظرية والميدانية وصياغة نتائجها، وقد امتدت الدراسة من ٢٠٠٥/١١/١ لغاية ٢٠٠٦/٨/١

المبحث الثاني

أدوات جمع المعلومات او البيانات

١- المسح المكتبي

بعد ملاحظة الظاهرة في مجتمع الدراسة خلال المرحلة الراهنة وتفاعلاتها مع الظروف المتغيرة في المجتمع العراقي ولاسيما في مرحلة الحصار الاقتصادي وما تركته الظروف الاقتصادية الصعبة التي عاشها الناس جراء ذلك من سلوكيات اجتماعية على مجمل عملية التفاعل الاجتماعي ومنها التعاون والتغالب، حيث بدأت الحياة تضيق على الناس حتى انكشف السلوك التنازعي والتسابق بغية الحصول على تحقيق قدر اكبر من المصالح او من اجل السعي للحصول على فرص والاستئثار على منافع تبقي الانسان حيا حتى اصبح هناك تصدعا وتغيرا في سمات الشخصية العراقية المتعاونة وانقلابها بشكل او بآخر الى سلوك تغالبي، ومن اجل وضع اطار نظري سعت الباحثة الى اجراء مسح مكتبي لمعرفة اراء علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع حول التعاون والتغالب في الثقافة الانسانية قديمها وحديثها بما فيها الثقافة العراقية، وقد وجدت الباحثة ان هناك نقصا واضحا في المراجع التي يمكن ان تفيد في تفسير الظاهرة وقد تم جمع ما امكن جمعه ضمن السقف الزمني للدراسة، وقد اعتمدت الباحثة على بعض المراجع الاساسية والمصادر وبعض الابحاث والرسائل الجامعية والدوريات فضلا عن المراجع الاجنبية

٢- الملاحظة بالمشاركة

يعد اسلوب الملاحظة بالمشاركة من الاساليب البحثية التي تنطوي على اهمية يمكن النظر اليها من زوايتين الاولى الاهمية المتصلة بتصورات الباحث قبل اجراء الدراسة الميدانية وعلى طبيعة وفهم الدراسة المزمع القيام بها، فالاول منها يتعلق بالواقع الذي ينطوي على بعض الاستفسارات المهمة التي ترتبط بمسائل خاصة عن الواقع الذي يتصف به مجال الدراسة. اما الثاني فانه يرتبط اكثر بالمشكلات الاساسية والقضايا النظرية عامة، اذ يطرح الباحثون بعض الاستفسارات

عن طبيعة نوع محدد من النظم او طبيعة التغيرات والتحولات التي تتصف بها الجماعات الصغيرة، وعن وجود فروض مسبقة لمستخدم الملاحظة بالمشاركة بوضوح (ميللفيل التون) بقوله "انا لم اشعر او اعرف أي فروض تكون مناسبة قبل ان ادخل ميدان البحث، وافكر في الفروض حسب الواقع المجتمعي لميدان البحث، وقد يحدث ان بعض الفروض تكون ملزمة الى درجة ما، وانه من الخطورة ان تكون الفروض اهميتها لمجرد انها فروض لذاتها، ويعمل الباحث لها كرمز للعلم فقط[١].

ويرجع تقليل دالتون من اهمية الفروض خشيته سوء فهم الموقع المجتمعي لمجال البحث، وفي هذا الاطار وفي المراحل الاولى للبحث ينبغي على الباحث ان يطرح تساؤلات كثيرة حول الظاهرة قيد الدراسة. ومن ابرز ما يتصف به اسلوب الملاحظة بالمشاركة انه يجعل الباحث يسعى الى معايشة المجتمع المبحوث ويكون جزءاً منه بحيث يصبح واحداً من السكان المحليين. وقد افادت الباحثة من هذا الاسلوب ولاسيما انها تقيم في المنطقة التي يجري فيها تنفيذ اجراءات الدراسة الميدانية، واستطاعت ملاحظة ومعايشة كثير من حالات التعاون السائدة وكذلك التغالب التي اخذت وتيرته بالزيادة تظهر على سلوك الافراد نتيجة لظروف اقتصادية وثقافية يمر بها المجتمع العراقي الامر الذي جعل سلوك التغالب يطغى على سلوك التعاون المتوقع عادة بأنه يميز سلوك الجماعات المحلية ذات الثقافة الشعبية وفي هذا الاطار يمكن القول ان مجتمع الدراسة، ورغم سيادة الثقافة الشعبية الا ان هذه الاخيرة قد اصابها نوع من التغير او التصدع نتيجة للضغوطات الاقتصادية من جهة ولتأثير قنوات الاتصال الخارجي – البث الفضائي – وما طرأ يوميا من تزايد في حاجات الناس اليومية من جهة اخرى. وقد افادنا هذا الاسلوب كثيرا في معرفة ما يدور في اذهان الناس وافكارهم من مفاهيم جديدة حول ما هية التعاون والتغالب، كما تم ملاحظة سلوك الرجال والنساء حول هذه السمات ومعرفة طريقة الفهم الجديد لاسلوب التعاون الذي اخذ يتضاءل في ظل الظروف المتغيرة لحساب التغالب.

---

[١] د.غامري، محمد حسن، المناهج الانثروبولوجية، المركز العربي للنشر والتوزيع، الاسكندرية، بلا تاريخ، ص١١٤.

٣- المقابلة

تم الاستعانة بها في مراحل الدراسة المختلفة سواء ذلك عن طريق توجيه الاسئلة المفتوحة المباشرة، او عن طريق جعل المبحوثين يتكلمون عن الظاهرة حسب فهمهم وادراكهم لها، وقد استمعت الباحثة طويلا لارائهم المختلفة وطبيعة الافكار التي يفسرون على ضوئها طريقة تعاونهم او تغالبهم والظروف المؤثرة فيها، كما تم استعمالها

٤- استمارة البحث

نظراً لعدم توفر معلومات او بيانات اساسية عن مجتمع الدراسة، فان الباحثة سعت الى تغطية ذلك عن طريق استمارة البحث ولا سيما البيانات الشخصية وبعض البيانات الاساسية عن معنى التعاون والتغالب، وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على مقابلة المبحوثين وتسليم استمارة البحث باليد واستلامها منهم بعد ان يتم الاجابة عليها.

وقد احتوت استمارة البحث على (٣٩) سؤالا موزعا على قسمين اساسيين

القسم الاول: تضمن البيانات الشخصية وتكون من (٧) أسئلة عن: النوع والعمر والمستوى التعليمي والحالة الاجتماعية والمهن والدخل الشهري والحالة السكنية.

القسم الثاني: تضمن البيانات الاساسية الخاص بالدراسة وتكون من (٣٢) سؤالاً موزعة على محورين.

أ- المحور الاول: البيانات الخاصة بالتعاون وتكونت من (١٦) سؤالا.

ب- المحور الثاني:البيانات الخاصة بالتغالب وتكونت من (١٦) سؤالا ايضا.

وقد تم عرض استمارة البحث على مجموعة من الخبراء* المختصين بعلم الانثروبولجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس وابداوا مشكورين ملاحظاتهم القيمة عليه، وقد تم الاخذ بملاحظاتهم وآرائهم وتم اخرج الاستمارة بشكلها النهائي.

٥- المخبرون

تم التعرف على مجموعة كبيرة من المخبرين من السكان الأصليين لمجتمع الدراسة وقد تم عن طريقهم جمع البيانات عن التعاون والتغالب في مرحلة ما قبل حرب الخليج الاولى ١٩٥٨- ١٩٨٠، وقد روعي في اختيار المخبرين اقدمية السكن لمجتمع الدراسة وامانتهم في نقل البيانات عن المرحلة التي عاشوا فيها. **٦- عملية تحليل البيانات**

بعد الانتهاء من جمع البيانات والمعلومات باستخدام المناهج والادوات المشار اليها، قامت الباحثة بتدقيقها وتنظيمها وترتيبها بهدف تفسيرها وتحليلها من خلال مقارنة المعلومات والبيانات التي جمعت عن التعاون خلال المرحلتين. وقد تم تحليل بيانات الدراسة الميدانية عن طريق استمارة البحث بوساطة النسبة المئوية.

---

* الاساتذة الافاضل الذين تم عرض الاستبيان عليهم فضلا عن الاستاذ الدكتور المشرف على الرسالة أ.د قيس النوري هم

١- أ.د. خالد الجابري.

٢- أ.د. علاء الدين البياتي

٣- أ.د. مازن بشير

٤- أ.د. ناهدة عبد الكريم

٥- أ.م. د. طالب السوداني

٦- أ.م. د. ثناء محمد صالح

٧- أ.م. د. عبد السلام الاسدي

٨- د. كريم محمد حمزة

٩- د. ضياء الحصاني

خاتمة الفصل

تضمن هذا الفصل الاطار المنهجي للدراسة، مقسم على مبحثين اساسيين: تضمن المبحث الاول منهجية وعينة ومجالات الدراسة، اما المبحث الثاني فشمل على ادوات جمع المعلومات ففي المبحث الاول تم استعراض اهم المناهج الانثروبولوجية التي امكن الافادة منها خلال مراحل الدراسة، وقد جاء استعمال هذه المناهج وفق الحاجة الفعلية للدراسة وتم توظيفها بالشكل الذي يخدم الدراسة الميدانية وملاحظة السلوك الاجتماعي في المواقف المختلفة ولاسيما فيما يتعلق بسمتي التعاون والتغالب في مجتمع الدراسة في الوقت الحاضر حيث تم الافادة من المنهج الوصفي في وصف الجانب الايكولوجي للمنطقة وانعكاسه على السلوك الاجتماعي وكذلك وصف العلاقات الاجتماعية بظروفها الانية وخصوصا ما يتعلق منها بالتعاون والتغالب ومعرفة دلالاتهما الثقافية في ظل الظروف المتغيرة التي يمر بها المجتمع العراقي، كما تم الافادة من منهج دراسة الحالة للوقوف على بعض الحالات التي تعكس جانبا مهما من الظاهرة المدروسة كما تم الافادة من ادوات جمع المعلومات او البيانات بشكل يتوافق وحاجة الدراسة اليها.

الفصل الرابع

صيرورة التحضر والخصائص الطبيعية والسكانية لمجتمع الدراسة

التمهيد

اكتسبت الاتجاهات والدراسات الحضرية اهتماما متزايدا في علم الانثروبولوجيا خلال العقود الاربعة الماضية، وحينما يتناول المبحث الاول التحضر ومؤشراته انما يركز على الصيرورة الحضرية التي بموجبها انتقلت وتحولت انماط الحياة من اشكالها البسيطة الى اشكالها العقلانية الاكثر تعقيدا، أي انتقال الحياة الريفية او القروية من نمط الجماعات القرابية الواسعة كالقبيلة او العشيرة الى نمط تصغير الجماعة في ظل الحياة الحضرية المتسمة بالعقلانية، وسوف يتم في هذا المبحث تناول ابرز مؤشرات الصيرورة الحضرية متمثلة بنمو العمل التجاري والنفعي والتحلل القبلي او العشائري وازدياد العولمة والعلمانية وكذلك ازدياد النزعة الفردية، اما المبحث الثاني سيتناول الخصائص الطبيعية والسكانية والاقتصادية والسياسية لمجتمع الدراسة.

المبحث الأول

التحضر ومؤشراته

اولا: نمو التوجه التجاري والنفعي

ارتبطت عملية التحضر بالمدينة ارتباطا وثيقا' فهي عملية مستمرة لاتتوقف على تغير عدد السكان او على استعمالات الارض، انما ترتبط ايضا بعملية التفاعل الاجتماعي المستمرة في حياة الافراد ونشاطاتهم المختلفة، ومايرافق ذلك من تغير سلوكهم الاجتماعي ومدى ملائمته مع ما يجري من تغيرات اقتصادية وثقافية وفكرية مستمرة في الحياة الحضرية الجديدة، فالتحضر يرتبط ارتباطا وثيقا بالسلوك الاجتماعي ويشير(المبارد) الى المفهوم السلوكي للتحضر على انه يعني الاستخدام الاجتماعي لمفهوم التحضر الذي يمثل فكرة العملية الاجتماعية التي تكون سببا ونتيجة في الوقت نفسه لتغير طريقة حياة الناس[١]. ففي مجتمع المدينة يزداد الاتجاه نحو العمل التجاري النفعي الذي يقصد به ازدياد رغبات الناس في جمع الثروة وانهيار فرص الحصول على الربح في المعاملات والصفات المهنية والتجارية المختلفة التي تزدهر في ظل الحياة الحضرية، فبعدما كان المجتمع في مرحلة الرعي والزراعة استهلاكيا بالدرجة الاولى بحكم محدودية الامكانية التكنولوجية والاقتصادية اصبح في تطوره الحضري اكثر انتاجية، وهذا يؤدي الى زيادة الفوائض الاقتصادية التي تتيح لعدد كبير من سكانه التوفير وتكوين الثروة[٢] وقد كان للتصنيع دوره الكبير في عملية التغير الثقافي الذي شهدته كثير من المجتمعات النامية ومنها مجتمعنا، فهو ادى الى التغير من الصناعة اليدوية الى الصناعة الالية، تلك الظاهرة

---

[١] ماهر عبد الواحد عزيز:التطور الحضري في مدينة اربيل،رسالة ماجستير في علم الاجتماع مقدمة الى كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩٠ ص٢٨،(رسالة غير منشورة).

[٢] د.النوري، قيس: الانثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية للنشر والتوزيع، اربد، الاردن، ٢٠٠١، ص١٤١.

التي اقتصرت واختزلت بصورة مدهشة الانتقال من القرى الى الحياة الحضرية، وعندما كان كل شى يصنع باليد، كان النظام الاقتصادي يقوم على اساس العلاقات الشخصية الوثيقة، وتبعا لذلك كان الاجير صديقا لمؤجره، وكان التعاون يسود العمل والمشاركات الوجدانية تدخل في العلاقات المتبادلة[١] .وفي حياة المدينة الحديثة ازداد نمو التوجه نحو العمل التجاري والنفعي،الامر الذي ادى الى تفكك تلك العلاقات نسبيا وانتقل الانسان الى صيغ جديدة من التعامل القائم على نطاق واسع او بعيد المدى، والذي يأخذ بنظر الاعتبار منافع ابناء المجتمع، ذلك المجتمع الذي اصبح مترابطاً عضويا. وقد حصل ذلك بشكل مميز في ظل تطور المدن وظهور المؤسسات المالية والمصرفية والتجارية والصناعية والخدمية واصبحت المدن مسرحا طبيعيا لتنفيذ اعلى مستويات الطموح المالي، وتكيف المؤسسات والتنظيمات من انماطها القرابية والدينية التي ركزت على خدمة الجماعة وتحقيق تضامنها وحماية مصالحها الاقتصادية المشتركة الى نماذج حضرية موجه لتحفيز الافراد في انطقة المنافسة التجارية، وهكذا حلت العقلانية التجارية القائمة على تحقيق المنافع الفردية المادية والعملية محل الذهنية الريفية التي تبلورت في اطار البناء الاجتماعي الهادف الى تعزيز روابط القربى والجوار، وتغلبت مصالح الجماعة القرابية او العشائرية على مصالح الأفراد[٢]. وقد لاحظنا هذا الواقع في مجتمع الدراسة اذ اصبحت المنافع الفردية تتقدم على المنافع الجماعية، واضحى العمل التجاري هو الهاجس بل والهدف الذي يسعى اليه الافراد، وما انتشار الأسواق والمحلات التجارية هنا وهناك ماهو الا دليل على تنامي العمل التجاري النفعي، اذ دخل كثير من ابناء مجتمع الدراسة الى السوق وتكيف مع اخلاقياته وسلوكياته حتى انعكس ذلك على نمط حياتهم اليومية، وخفت بذلك حرارة العلاقات القرابية بنطاقها الواسع بين ابناء هذا المجتمع. كما انفصل كثير من الابناء المتزوجين حديثا عن اسرهم الاصلية مستقلين في مساكن

---

[١] د.حجازي،محمد فؤاد:الاسرة والتصنيع، مكتبة وهبه،مصر،١٩٧٥ ،ص٧٤

[٢] د.النوري،قيس:الانثروبولوجيا الحضريةبين التقليد والعولمة،مصدر سابق،ص١٤١

خاصة بهم، واصبحت المعايير المادية والربح التجاري من المسائل الاساسية التي تحكم كثير من العلاقات الاجتماعية في مجتمع الدراسة اليوم[١].

ومع ازدياد تبلور النظرة النفعية والتجارية تصاعد تأثيرها بشكل او باخر في كثير من الانساق الاجتماعية والثقافية ومنها نسق التطبيع الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية وبهذا اخذت الاسرة الحضرية تمارس وظيفتها التربوية في اعداد الاطفال بما يتلائم ومتطلبات وسياقات الحياة الحضرية بكل مافيها من توجه الى ماهو مادي وعقلاني، ويظهر ذلك من خلال توجه الاسرة نحو توجيه النشى الجديد الى سياقات الحياة العملية التي تخرج عادة عن دائرة اهتمامات القرابة وعلاقاتها، او عن تمجيد تأريخ القبيلة او العشيرة الى افاق المسؤوليات التي يعول عليها دائما في اداء الادور المهنية[٢] المنسجمه مع الحياة الحضرية الجديدة التي بصيرورتها تنكمش القرابة والولاءات العشائرية. وفي هذا المجال رأى الدكتور حسن الساعاتي عن العمران والتصنيع فيما يخص التغيرات الاسرية، انه كلما زاد الدخل قل الاقبال على الانجاب وتوصل الى ان هناك ميلا اشد بين المهاجرين المستقرين في المدينة الى تأخر سن الزواج والاقامة في مسكن مستقل وفي ذلك اشارة واضحة الى الرغبة في تكوين اسرة نووية[٣]

ان نمو العمل التجاري النفعي في المجتمع كفيل بنقل هذا المجتمع الى تبني صيغ جديدة في التعاملات الاجتماعية والاقتصادية المختلفة وكذلك في مجال التبادل الاجتماعي الاوسع، فهذا النمو سوف ينقل الافراد من دائرتهم الضيقة والمنعزلة والتي يظهر في ثناياها التبادل الاجتماعي قصير المدى الى افاق اوسع يكون التبادل الاجتماعي اوسع نطاقا واكثر عقلانية ونفعا.ان اتجاه المجتمع الحضري الجديد نحو العمل التجاري او النفعي انما هو بحد ذاته يعني تفكك او

---

[١] الدراسة الميدانية

[٢] د. النوري، قيس: الانثروبولوجيا الحضرية، بين التقليد والعولمة، مصدر سابق، ص١٤٣

[٣] د. الدقس، محمد : التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الاردن ١٩٩٦، ص٢٦٨.

انحلال العلاقات القرابية على نطاق العشيرة او الاسرة الممتدة بعد تحول الاقتصاد من صيغتة المحلية الى صيغته الاوسع تفاعلا.

ثانيا:التحلل القرابي والعشائري

يعني التحلل القبلي او العشائري تضاءل سيطرة القيم والمعايير البدوية على علاقات وسلوك ابناء العشيرة وتأثره المتزايد بمعايير وثقافة المدينة، واستنادا الى ذلك يمكن القول ان التفكك او التحلل القبلي او العشائري هو نتيجة متوقعة لعملية التحضر، تلك العملية التي بدات تتصاعد منذ بداية القرن العشرين مترافقة مع وجود الاستعمار ودخول التصنيع وانتشار التعليم المدرسي ونشوء الحضرية بنظمها المهنية والطبقية والثقافية، ومع تعقيد الواقع الانتقالي للمجتمعات النامية ومنها مجتمعنا لكثرة الظواهر المتغيرة وتعدد عملية التغير التي تواجهها، الا انها تشترك في حقيقة واحدة وهي انتقال انساقها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية من اشكالها العشائرية الى نماذج حضرية[١].تلك النماذج التي اخذت قوالب جديدة رسمت ملامح السلوك الاجتماعي وفق معطياتها الجديدة المتغيرة، ومرتبطة ايضا بالانشطة الاقتصادية وتنامي الفردية والاستقرار في القرارات الاسرية، وظهور التنظيمات الاجتماعية والسياسية التي بدات تغذي المجتمع بثقافة جديدة فضلا عن تأثر افراد المجتمع بالنماذج السلوكية المنقولة من خلال الاعلام او من خلال الاطلاع عليها عن طريق السفر او من خلال وجود التنظيمات الاقتصادية التي اوجدها الاستعمار خلال فترة وجوده في البلاد. وفي هذا الصدد يشير ويلم اوجبرن ونيمكوف الى التغيرات في الاسرة هي بداية تدهورها مشيرا في سياق ذلك الى انواع مختلفة من المشكلات بدأت تظهر نتيجة ذلك مثل زيادة جنوح الاحداث وارتفاع معدل الطلاق والتفكك المنظومة القرابية[٢]

فالتغير الذي حصل في المجتمع العراقي نتيجه دخول التكنولوجيا الحديثة واساليب الانتاج الجديدة سواء في القطاع الزراعي او الصناعي ادت الى تغير

---

[١] المصدر نفسه،ص١٤٨-١٤٩

[2] Ogburn, W and Nimkoff, technology and changing family, 1955, 33

طبيعة المهن، وتغير علاقات الانتاج وايجاد مفاهيم جديدة ومقاييس في تقيم الاشياء، ومن الاشياء التي ظهرت كنتيجة حتمية لهذه التغيرات نشوء الصراع بين القيم التقليدية والقيم الحديثة، اذ ادت تلك المؤشرات الى تشكيك الناس في القيم السائدة حتى بدأ تلك القيم ثقيلة وبعضها الاخر غير مقبول وفق مقاييس المرحلة الراهنة[١].وقد ادى ذلك ايضا الى تفكك وتحلل التنظيم القرابي التقليدي(القبيلة او العشيرة) فلم يعد له صوت مسموع لدى افراده، وباتت علاقاتهم بذلك التنظيم لاتعدو علاقات شكلية اكثر منها علاقات صميمية كما كانت قبل التغير. ولعل ابرز الاتجاهات هو التغير السكاني، فلم تعد القبائل تسكن مناطق محددة يشار اليها ديار قبلية كذا او كذا، وما رافق تلك الاعتبارات من معارك ونزاعات وغزو فيما بينها على ملكية الارض والتمسك بها كأهم اركان العشيرة ودعم هويتها، وقد التقت في ذلك الهوية القرابية والجغرافية كما لو كان وجهين لعملة واحدة، الا ان هذه الحالة لم تقاوم امام حركة التحضر حيث تبعثرت وحدات العشيرة نتيجة لهجرة كثير من افرادها واسرها الى المدن طلبا للعمل والرزق بسبب ظنك العيش في الريف، مع وجود عناصر جذب مغرية بدات تظهر في المدينة، وهكذا انفرطت وحدة التجمع السكاني والبيئي للعشيرة الى صورة بعيدة من التشتت، ومن الطبيعي ان هذا التباعد الجغرافي او المكاني يخلق تباعدا اجتماعيا ونفسيا بين افراد واسر العشيرة لاسيما حينما مر عليه زمنا طويلا، الامر الذي يعطي لهؤلاء الافراد العذر لعدم مراعاة الالتزامات القرابية المتبادلة بين الاقرباء كحضور مناسبات الاعراس ومناسبات العزاء، وقد لاحظنا ذلك في مجتمع الدراسة حينما تغيب اقرباء بعض المجموعات القرابية عن حضور مناسبات اقربائهم البعيدين عنهم، مبررين ذلك ببعد المكان وقد وجدوا لهذا العذر صداه لدى اقربائهم، كما ان هذا التغير يحسب ايضا حتى بين اولئك الذين يسكنون المدينة ذاتها وخصوصا اولئك الذين يقطنون مناطق سكنية راقية من المدينة ولاسيما من ناحية اختلاف مستويات الاحياء التي يقطنها ابناء العشيرة او المجموعة القرابية وما يثيره ذلك من اشكالية التباين الاجتماعي بينهم، اذ من الطبيعي ان الذين يسكنون احياء

---

[١] د.سلمان،عبد علي:المجتمع الريفي في العراق،دار الرشيد للنشر، بغداد،١٩٨٠ ص١٨٢

سكنية راقية من المدينة يثيرون حسد وغيرة اقربائهم الذين يسكنون في احياء فقيرة او شعبية من المدينة ذاتها، وهذا من شأنه ان يضعف اواصر العلاقات بين الاقرباء وبدل ان يكون التقارب المكاني مصدر قوة لتلك العلاقات، يصبح مصدر ضعف وانحلال لتلك العلاقات نتيجة ما يثيره التباين الاقتصادي الذي يجسده اختلاف مستوى السكن او المهن والوظائف وغيرها[١].

ومن الاتجاهات الاخرى لهذا التحلل القبلي هو ضمور الانتماء والولاء الجمعي، فمن المعروف ان الولاء للعشيرة كان في الماضي يتم عن طريق تلاقي افرادها دون ضغط من احد وعندما ننتقل الى الواقع الحضري الجديد يضعف او يتلاشى ذلك التلاحم بين افراد العشيرة امام المشهد الحضري الجديد لافراد العشيرة، ولعل من اسباب هذا التحول ان الدعم الاقتصادي والاجتماعي والنفسي الذي يتلقاه الفرد من عشيرتة او مجموعته القرابية دفعه للتمسك بمعاييرها وقيمها وان هذا الامر لم يعد ممكنا او ضروريا في الواقع الحضري الجديد، فضلا عن التعارض القائم بين مفاهيم العشيرة التي تدعو الى القيم الجمعية والولاء المطلق للعشيرة، وبين مفاهيم التقدم والتحديث الذي يتظاهر به الحضريين لتعزيز مركزهم الاجتماعي والثقافي والسياسي في المدينة، وهكذا تعكس الصيرورة الحضرية على احلال النماذج في المؤسسة الاقتصادية والسياسية والقانونية والاجتماعية في المجتمع للانتماء الحضري بدلا من الانتماء للنموذج العشائري او القبلي[٢].كما ان التفكك الاجتماعي ومنه التفكك العشائري يعود في احد اسبابه الرئيسية الى عدم كفاءة النسق الاجتماعي او فشله في تحديد مراكز الافراد وادوارهم المترابطة بشكل يؤدي الى بلوغ اهدافهم بصورة مرضية[٣].وهو الذي بدأ يدركه كثير من المهاجرين الريفين من ان النسق الثقافي العشائري بشكله التقليدي لم يعد صالحا لطبيعة الحياة الجديدة في المدينة. كذلك مؤشرات التحلل القبلي نحو التوجه المدني، فالنقلة المهنية في عملية التحضر من

---

[١] د.النوري، قيس:الانثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة،مصدر سابق،ص١٤٩-١٥٠

[٢] المصدر نفسه،ص١٥٠

[٣] د.غيث، محمد عاطف: المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،١٩٨٩ ص٨٨

اهم العوامل والمؤشرات للتحلل العشائري، فبعد ان كان هناك نظام اقتصادي معيشي واحد تعتمد عليه القبيلة او جماعة الصيادين او الرعاة او الفلاحين، اصبحوا بعد انتقالهم الى المدن مهنيين او حرفيين صناعيين او خدميين او موظفين حكوميين، وهذا الامر ادى الى تخلي ابناء العشيرة المتحضرين تدريجيا عن الميول الجمعية والفكرية والعملية التي رافقت اسلوب حياتهم السابق ليتكيفوا مع طراز الاعمال التي يمتهنونها في المدينة. فالمهنة ليست وسيلة لكسب المعيشة فحسب بل عملا معقدا في اعادة تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والنفسية للريفيين الحديثي التحضر[١]. كذلك فان الحضرين اكثر وعيا من القرويين باستثمار اموالهم وحرصهم في زيادة دخولهم لتحقيق رغباتهم المختلفة، كما ان الحضريون اكثر مرونة من القرويين في حل مشكلاتهم واكثر قدرة على الحراك البيئي والسفر للعمل والاطلاع من القرويين الذين هم اكثر التصاقا بالارض كما ان اهم ما يميز الحضريين انهم اقل ميلا للزواج قبل بلوغ الادراك والمسؤولية الاسرية، كما ان الحضريين اقل ميلا للانجاب من القرويين لشعورهم بضرورة تنظيم الاسرة فضلا عن ايمانهم بعمل المرأة اكثر من القرويين[٢]

وقد لاحظنا خلال العمل الميداني ذلك واضحا في حياة ابناء مجتمع الدراسة، فنمو التوجه المهني لم يعد وسيلة لكسب المعيشة فحسب وانما اصبح النظام المميز المؤثر ثقافيا في شخصية الافراد واتجاهاتهم، فهو بلور اتجاها اجتماعيا وثقافيا جديدا بحيث ان النظام المهني قد ساعد كثيرا في ترسيخ ارتباط المهاجرين لقيم المدينة وادى الى ضعف ارتباطهم بعشائرهم واقربائهم، ولعل ابرز العوامل المؤدية الى الحضرية والنزعة الفردية هو انتشار التعليم الذي بلور الوعي الاجتماعي للانتماء الى المجتمع العريض من جهة، وساعد على النهوض الاقتصادي من خلال رؤية المؤسسات الاقتصادية والتنظيمية في المجتمع واعتمادها على العناصر المدربة

---

[١] د٠النوري، قيس:الانثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة، مصدر سابق، ص١٥٠

[٢] د. مدبولي، جلال: القيم الاجتماعية والتنمية بين الريف والحضر، بحث ميداني عن الخرطوم العاصمة، السودان، المجلة الاجتماعية القومية، العدد ٢٣، يصدرها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، مصر ١٩٨٦، ص٤٧-٤٩.

والمتعلمة التي تتطلبها حياة المدينة الحديثة من جهة اخرى. ومع ازدياد نسبة الدارسين في المدارس تغيرت كثير من مواقف الناس ازاء امور متعددة منها القيم والمقاييس العشائرية التي اصبحت موضع تساؤل وشك بعد ما كانت تحظى بالتسليم والقبول غير المجزء، ولاشك ان التعليم كون فروق فكرية ومعرفية بين ابناء العشيرة فالمثقفون منهم يشعرون بالاغتراب مع ابناء عشيرتهم غير المثقفين، ووفقا لهذا الواقع فان التعليم ساهم بدرجة كبيرة في اضعاف التواصل بين ابناء العشيرة الواحدة بحكم نمو اختلاف رؤى المتعلمين وغير المتعلمين منهم، وان التحلل العشائري الذي نحن بصدد الحديث عنه بدأنا نلمسه حتى على مستوى الاسرة المتحدة خصوصا من زاوية الروابط النفسية والفكرية بين المسنين غير المثقفين والشباب ذوي الثقافة العالية نسبيا.[١] ويرى دوركايم بان الخلاف الاساسي بين المجتمعات البسيطة او البدائية والمتحضرة انما يكمن في اختلافهما في تمسكهما الاخلاقي والاجتماعي الذي لابد ان ينعكس في المجتمع و انماطه الشرعية[٢] فحينما ينشئ الناس الروابط بينهم عليهم ان يضعوا القواعد واساليب العمل اللازمة لانجاز الاعمال الخاصة بالمجموعة وتنظيم علاقة الاعضاء ببعضهم بعض، وتعد اساليب العمل هذه انماط سائدة ولكل رابطة نظمها السائدة الخاصة بها والتي تتلاءم مع مصالحها الذاتية[٣] . كذلك فان التعليم قد كون اجيالاً جديدة تختلف في تطلعاتها وانتماءاتها عن تلك التي كانت سائدة في ثقافة العشيرة في الريف، وهذا ما يمكن ملاحظته على سلوك الجيل الجديد، ولاسيما من حيث تغير الازياء واسلوب التفكير ونمط الحياة متأثرا بما يطرحه الاعلام خلال قنواته الفضائية وغيرها على مدار الساعة.

ثالثا: ازدياد العولمة والعلمانية

---

[١] المصدر نفسه، ص١٥٢

[٢] د. مناف، متعب: تاريخ الفكر الاجتماعي، محاضرات في قسم الاجتماع (كتاب غير منشور)، ص٣.

[٣] بيترج، ماكيفر شارلز، هـ : المجتمع، ج١، ترجمة د. احمد علي عيسى، مكتبة النهضة المصرية، مصر ١٩٧٢، ص٣٦.

يمر العالم المتقدم منذ منتصف القرن العشرين بانتقال تدرجي الى ما اصبح يعرف بـ(مجتمع المعلوماتية) او عصر المعلوماتية او ما بعد العصر الصناعي، وقد اطلق الباحث(الفن توفلر) Alvin Toffler المعني بالدراسات المستقبلية اسم (الموجه الثالثة) على هذا التحول مؤكدا ان هذه الموجه ستكون بالاهمية نفسها للتحوليين السابقين في تأريخ البشرية من مجتمع جمع الطرائد الى مجتمع الزراعة، ثم من مجتمع الزراعة الى مجتمع الصناعة[١] حتى بلغ عالمنا اليوم نقطة افترق تقع بين خيارين رئيسين:خيار التفكير المحلي كما تمليه الاعتبارات المحلية والقطرية، وخيار التفكير العالمي الذي يدعو الى رؤية المصالح والمشكلات المحلية في اطار ارتباطها بمشكلات العالم. فهناك الفجوة الاقتصادية والتكنولوجية بين دول الجنوب حيث الفقر والتخلف ودول الشمال الصناعية حيث الغنى والتقدم وهي بمجملها تشغل عالمنا كله وليس اجزاء منه، ومن ثم لا يمكن عزلها عن العولمة ولا عن دائرة اهتمامات الانثروبولوجيا، والذي يقع على علمائها وباحثيها تشخيص اهم التحولات القرن العشرين وماتوصي به من اتجاهات ومؤشرات مستقبلية[٢]. والذي يهمنا في هذا المجال هو ازدياد العولمة في عالمنا اليوم لتشمل مجتمعاتنا التقليدية بالتدريج، ويمكن ان نلمس العولمة من خلال اهم التغيرات التي تحدثها في هذه المجتمعات وهي التغيرات في البعد الاقتصادي ليشمل التوجه نحو العمل التجاري والانتقال من النمط المحلي القرابي الانتاج الى النمط العالمي القائم على تعدد الانشطة الانتاجية المهنية والصناعية، وتغير النظرة الى العمل والمكانة المهنية التي تسهم في توليد البطالة والوظائف الجزئية وتبدل اسس تقسيم العمل فضلا عن التوجه نحو تجزء الحياة الاقتصادية للاسرة مما يؤدي الى انتهاء او تحلل الانساق القروية المرتبطة بأعالة ومساعدة الاقارب. كما نلمس هذه العولمة من خلال تبدل طبيعة الدولة وتحول مجالات القوة وظهور حركات اجتماعية وهويات جديدة، ويتبع ذلك تضائل وضعف التضامن الاجتماعي القرابي وظهور اشكال جديدة للتحالف والائتلاف بين الجماعات

---

[١] فرانسس فوكاياما:التصدع العظيم، ترجمة عزه حسين كبة، ط١، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٤، ص٧.

[٢] د٠النوري،قيس:الانثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة، مصدر سابق،ص٣٨٥

المحلية فضلا عن تحول الحكومات المحلية تحت تأثير ضغوط العولمة الى حكومات لا مركزية وبروز المشاريع وظهور ما يعرف بالخصخصة وظهور التعددية وما رافقها من حرية التعبير عن مستويات الطبقية والفكرية والمهنية والسياسية والعرقية والاثنية وغيرها، وكذلك نلمسها من خلال بعد ثالث للتغير وهو يضم امور تتعلق بالمعرفة والتكنولوجيا والمعلوماتية والتي يدخل فيها دور وسائل الاعلام المختلفة بشكل فعال ومؤثر[١]، اذ انتشرت الصحون الفضائية في السنوات الاخيرة وتحولت الى ظاهرة اجتماعية عامة وتوسع حجم الجمهور لمشاهدة الفضائيات وخاصة الشباب وما تتركه من آثار اجتماعية على سلوك الافراد ولاسيما ما يتصل منها بانتشار ثقافة العولمة[٢] وفي الوقت الذي يكون التجانس والتماثل احد السمات الاساسية في المجتمعات التقليدية نجد ان ازدياد العولمة يهدد هذا التماسك والتماثل، نظرا لتعاظم الافكار الجديدة او المعاصرة والتي تعمل على تشجيع التعددية والاثنية، فنجد في الوقت الذي ساعدت العولمة فيه على تقصير المسافات بين المجتمعات البشرية وتماثل المعلوماتية والتكنولوجية على مستوى العالم نجدها تشجع الاثنية والعرقية والتعدد او التنوع وغيرها، كذلك انها خلقت اتجاها عالميا نلمسه في ازدياد تبني دول العالم السوق الحر والخصخصة مع تراجع تدخل الدولة القومية في النشاطات الاقتصادية، وعندما ننظر الى تاثيراتها الثقافية الاخرى في العالم الثالث، نجدها في الوقت الذي يكون التراث الثقافي والقيم الاجتماعية قوية

ومتماسكة نلاحظ تصاعد الدعوات الى تحرر المرأه من خلال دور المنظمات والمؤسسات في هذا المجال، فضلا عن الدعوات التي تظهر من خلال ازدياد العولمة الى حماية البيئة في العالم الى غيرها من الدعوات[٣].

---

[١] المصدر نفسه، ص٣٨٦

[٢] د. البياتي، ياس اخضير: الفضائيات: الثقافة الوافدة وسلطة الصورة، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٦٧، ٢٠٠١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص١١٨.

[٣] د. النوري، قيس : الانثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة، مصدر سابق ص٣٨٦.

ازدياد العلمانية

مالت حياة المدينة بالاتجاه نحو تبني سياقات عقلانية وعملية نتيجة التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي شهدتها المدينة الحديثة ولاسيما بعد الثورة الصناعية، واذا كان المجتمع الريفي يتميز بطابع الحياة الجمعية التي تقودها القيم المحلية والدينية بدرجة كبيرة، فان الحياة الحضرية باتت تعتمد على اتجاهات وسياقات القيم الفردية التي تقودها عمليات التحول التدريجي نحو الحضرية وتبني اسلوب حياة يقوم على اساس العقلانية في التفاعلات اليومية، كما ان العلوم الوظيفية التي اخذت تزدهر في المدينة قد وضعت اسس هذا التحول بعدما كان الواقع الاجتماعي يتميز بالعاطفية والعمومية في التفكير، ولعل اهم اشكالية تواجه الانسان في المجتمعات النامية او التقليدية هي الاشكالية التي تحكم العلاقة بين العلم والتقليد، فالمقصود بالعلم في هذا السياق منظوره الواسع الذي يرتبط بالمعرفة المنتظمة عن الحقائق الطبيعية والاجتماعية والثقافية وقوانين صيرورتها، ولعل هذا الاتساع يدخل في نطاق العلم[١]، وقد ساعد العلم على التحكم بالبيئة وهو اساس التحديث في اوربا، فعملية التحديث هي التغيير نحو اشكال من النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي طورت في اوربا الغربية من القرن السابع عشر الى التاسع عشر، وكانت العلمانية احد الاسس التي اعتمدت عليها[٢].

جميع اهل الفكر يعوون ويمارسون الموضوعية ويعتمدون على حقائق الميدان التي هي اهم ركيزة لجميع علوم هذا العصر، اما التقليد فهو الموروث الثقافي الذي تمثل القيم والمعايير والعادات اهم مكوناته، وهكذا عندما يوضع العلم والتقليد في معادلة واحدة فان العلاقة بينهما لا يمكن ان تخلو من جدلية وتشنج يصل في بعض درجاته الى حد التناقض والتضاد، وبناءا على هذا التناقض تبرز صورة اغتراب اهل العلم والفكر في المجتمعات النامية ومنها المجتمع العربي، لكنه تناقض لا يجري بهذه البساطة التي توحي بها المعادلة التي يراد بها التوضيح

---

[١] المصدر نفسه، ص٣٨٧.

[2] http://www.darislam.com/home/alekek 14/5/2004.

فحسب، فالواقع الذي يتفاعل فيه العلم والتقليد واسع ويظهر في مجالات شتى، فالسحر باشكاله المتعددة لايزال يستعمل ويمارس في المجتمعات الريفية باعتباره جزء لا ينفصل عن التقليد ،وقد جاء الطب الحديث بديلا عنه لكنه ظل يلقى معارضة بسبب قوة العقائد العمومية، وكذلك الحال فيما يتعلق بمكانة المراة فهي في ظل التقليد لا يزال ينظر اليها اقل مكانة من الرجل باعتباره اذكى منها، يبنما في ظل الحياة الحضرية الحديثة اذ اثبت العلم الحديث بما لا يقبل الشك ان الانثى والذكر لايختلفان في هذه وسواها من الاستعدادات[١].

وبناءا على ذلك عدت المدينة بيئة خصبة لازدياد التفكير العلمي القائم على اساس الحقائق الموضوعية والميدانية وهي تختلف عن الاتجاهات العاطفية المرتبطة بمنظومة القيم الريفية التي تعتمد على التقليد في التفكير ونقل التصورات عن نمط الحياة الاجتماعية، ومع ازدياد الاخذ بناصية العلم ازدادت قدرة الانسان على السيطرة على المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والتي تفاقمت في الحياة الحضرية ولاسيما بعد الثورة الصناعية، حيث لم تعد التصورات التقليدية قادرة على حل ما يواجهه الانسان في حياته الجديدة، كما حصل في اوربا خلال القرن السابع عشر والثامن عشر من صراعات فكرية واجتماعية انتهت فيما بعد لتبني العلمانية كطريق للحياة الجديدة في اوربا والتي ادت الى تفكك وتحلل البنى التقليدية التي كانت في لحظة ما تصارع الأفكار الجديدة.

---

[١] د. النوري، قيس: الانثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة، ص٣٩٤-٣٩٥

رابعا: تصاعد النزعة الفردية

لاشك ان التغيرات التي تركتها العولمة في المجتمعات المحلية ادت الى تبديل الانماط السلوكية القائمة على التضامن الاجتماعي والقرابي الى حاله جديدة تتمثل في تنامي وتصاعد النزعة الفردية، وفي تفكيك النسيج الاجتماعي بين الاقرباء تحت وطأة الحياة المتغيرة وتنامي المد الحضري وازدياد الاعتماد على الذات، وازدياد الحاجة الى الربح المادي الذي يحتل اهمية كبيرة في حياة اهل المدينة، وبالتأكيد فان ذلك سوف يزحف على حساب العلاقات القرابية والتضامن الاجتماعي ليتبدل نمط الانتاج من المحلي المعيشي الى الانتاج على مستوى التصدير واحلال النظام المهني التخصصي محل النظام الاحادي التقليدي في عملية الانتاج المحلي، ويشير بارسونز الى ان الاسرة بعد ان تخلت عن بعض وظائفها في مجتمع المدينة اصبحت اكثر تخصصا واهتماما بوظيفة التنشئة الاجتماعية في الطفولة المبكرة وعلى الاشباع العاطفي، كما اصبحت اكثر فعالية من نظائرها السابقة في المجتمعات التقليدية[١] كل هذا له الاثر الواضح في تنامي النزعة الفردية حيث يكون الربح والعمل التجاري اولى اهتمامات الانسان الحضري الجديد، لقد صاحب هذا التحول الاقتصادي والمالي تحول مماثل في طراز الحياة الاجتماعية ينعكس عندما تتعمق فيه على واقع الاسرة بوصفها اصغر الوحدات الاجتماعية في المدينة، وما يشير الى تفاقم التوجه التجاري والمالي وهيمنته على الحياة الحضرية تفكك الوحدات القرابية الممتدة، ووسط سيطرة الحس الاقتصادي عن الحس القرابي الذي لم يعد يقوى على الزام الافراد بتنفيذ تعهداتهم القرابية والاقتصادية والاجتماعية تحت وطأة الظروف المتغيرة في المدينة ومتطلبات الاسرة المتزايدة وسيطرة النظام المهني وتقسيم العمل على حياة الافراد، فضلا عن سيطرة مفهوم الربح على عقلية الافراد في المجتمع الجديد، وما تفكك وانحصار شبكات الروابط القرابية الواسعة التي ميزت الحياة الريفية ما هو الا دليل على قوة الاختراق الثقافي والاجتماعي للتوجه الاقتصادي[٢]. وبهذا فان التغير الناتج

---

(1) Parsons, T. And Bales, R - F Family social ication and inywraction in teriaction process- 6 lencofree pass, 1955 P. 157.

(٢) د. النوري، قيس: الانثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة، مصدر سابق، ص٣٨٧.

عن ذلك اخذ يولد ضغوطا على المؤسسات الرقابية – حسب ما ذهب الى ذلك سميلز – بما في ذلك الأسرة، اذ في اثناء محاولة التغلب على هذه الضغوط فان المؤسسات الاجتماعية تتغير لتتلاحم تدريجيا وخلال ذلك يظهر انسجام وظيفي متكامل جديد في حياة الاسرة من تعددية الوظائف الى التخصصية كما يظهر ذلك في المجتمع الصناعي الى جانب اصبحت الاسرة النووية اكثر تمركزا وانتشارا من الاسرة التقليدية[١]. وفي ذلك اشارة واضحة الى اتجاه الانسان في المجتمع الحضري الى الفردية لتحقيق طموحاته واهدافه لاسيما وان فرص الحراك اصبحت اكثر تناولا وبروزا.

---

[1]Smelserm N Social changen tue indusstrial Revolution, 1955, P33-36.

المبحث الثاني

الخصائص الطبيعية والسكانية لمجتمع الدراسة

(حي الجزائر)

أولا: الخصائص الطبيعية والاجتماعية لمجتمع الدراسة

ان علاقة الانسان بالبيئة علاقة تفاعلية فالظروف الخارجية او الظروف المحيطة بالانسان تترك تأثيرات ثقافية واجتماعية في المجتمع الذي تحيط به، ولاسيما من حيث تأثير بعض العوامل الطبيعية كالامطار وظروف المناخ والنباتات وطبيعة الارض الى غيرها من الامور ذات العلاقة[١]. ويشير هذا بوضوح الى تأثير الجانب الايكولوجي في النظم والانساق والعلاقات الاجتماعية التي تؤلف في مجملها الطابع الثقافي للمجتمع المحلي، الا ان هذا الامر لا يصل الى الحتمية الجغرافية في تشكيل حياة المجتمع وانساقه، وانما تقدم البيئة الطبيعية امكانيات عديدة للحياة الثقافية والاجتماعية يستطيع ابناء المجتمع اختيار من بينها ما يتفق مع ثقافتهم وتنظيمهم الاجتماعي[٢] وبناءً على ذلك ينبغي معرفة بعض الخصائص المتصلة بموقع مجتمع الدراسة، إذ يقع حي الجزائر ضمن مدينة الشعب في الجزء الشمالي من مدينة بغداد، وقد كانت قبل مرحلة الستينيات منطقة زراعية سرعان ما تحولت الى منطقة عمران بشري تدخل ضمن بلدية الاعظمية سايقا وبلدية الشعب حاليا. وحي الجزائر يشمل حيزا من الارض تبلغ مساحته (٢) كم٢ ويبلغ عدد الاسر القاطنة فيها حسب احصاء عام ١٩٩٧م (٣٢١٩) اسرة موزعة على محلتين هما محلة (٣٥١) ويبلغ عدد الاسر القاطنة فيها (١٩٢٢) ومحلة (٣٥٣) ويبلغ عدد الاسر القاطنة فيها (١٢٩٧). اما عدد السكان الإجمالي في حي الجزائر فيبلغ مجموعه (٢٥٥٩٤)

---

(1) Peter, Owen, dictionary of anthropology, Londomswy, Printed, U.S.A, P.10.

(2) International Encyorodia of social aciences Vol. 7 and 8. New York, 1978, P.32

وموزعة على المحلتين اعلاه فيبلغ عدد سكان المحلة (٣٥١) (١٦٣٤٣) نسمة موزعة على اساس النوع (٨٢٤٩) ذكرا و (٨٠٤٩) انثى اما سكان محلة (٣٥٣) فبلغ (٩٢٥١) نسمة موزعة حسب النوع (٤٥٨٥) ذكراً (٤٦٦٦) انثى[١].

اما حدود حي الجزائر الجغرافية، منطقة الصحة جنوبا و محلة ٣٥٧ شرقا، وشارع علي بن ابي طالب غربا والسدة وحي محلة المنصور (دور الرئاسة) شمالا.اما سكان المنطقة فغالبيتهم من السكان المهاجرين، بعضهم نزح من جنوب العراق، والبعض الاخر من المناطق المجاورة شمالا مثل محافظة ديالى، او من بعض المناطق المتاخمة لمدينة بغداد مثل الراشدية والمناطق المجاورة لها، فضلا عن نزوح نسبة قليلة من سكان بغداد الاصليين الذين وجدوا في هذا الحي مستقراً لهم نظرا لانخفاض سعر الارض فيها قياسا الى مناطق اخرى من بغداد. اما عن الخصائص الاجتماعية والثقافية فغالبية سكان المنطقة هم متقاربون في خصائصهم الطبقية، فاغلبهم من الفئة العمالية البسيطة وبعض الفئات التي يمكن ان توصف الفئة الوسطى، كما ان السكان يتميزون بخصائص ثقافية ذات مرجعية ريفية، لذا فان العلاقات القرابية تظهر في هذا المجتمع، فضلا عن شبكة العلاقات الاجتماعية التي تنشأ عن طريق الجيرة او القرب السكني، اما خدمات هذه المنطقة فقد صممت لها خرائط سكنية لحي داخل ضمن امانة بغداد، وقد اسست لها بعض الخدمات منذ تاسيسها من ستينيات القرن العشرين، ولا سيما في ظل تنامي سكان المنطقة طبيعيا او ميكانيكيا عن طريق الهجرة من المناطق المتاخمة معها، الا ان الخدمات لم تصل بعد الى مستوى الحاجات الفعلية للسكان فهي اليوم تعاني شأنها شأن مناطق مدينة بغداد من نقص شديد في هذه الخدمات، ويرجع السبب في ذلك الى ظروف البلد نفسه، الذي مر بحروب وازمات متتالية خلال الحقب الماضية ومع هذا فان حي الجزائر لا يخلو من طرق مواصلات واسواق تجارية بسيطة ودور عبادة ومدارس، فضلا الى بعض الخدمات الاخرى مثل الكهرباء والماء والهواتف والمجاري وبشكل

---

[١] جمهورية العراق، مجلس الوزراء، هيئة التخطيط الجهاز المركزي للاحصاء، نتائج التعداد العام للسكان (محافظة بغداد) لعام ١٩٩٧. (حي الشعب) بيانات غير منشورة.

عام ان الاطار الايكولوجي ترك اثاره الواضحة على طبيعة الحياة الاجتماعية، فقد تميزت هذه المنطقة بانها تقع في اطراف المدينة وبُعدها عن المركز وقربها من المناطق الزراعية، وقد ترك ذلك بصمات واضحة على نسق الثقافة السائدة، ولاسيما فيما يتعلق بسمتي التعاون والتغالب في هذا المجتمع المحلي، الذي تترابط انساقه وظيفيا فضلا عن تأثير الظروف الصعبة والازمات المتلاحقة من جراء الحرب والحصار على آلية تلك الوظيفة، مما خلق اتجاهات اجتماعية ونفسية للسكان المحليين جعلتهم تارة يتعاونون، ولاسيما في الازمات، كما نجدهم في اوقات اخرى يتسابقون مع بعضهم البعض للاستئثار على حاجاتهم ويتغالبون فيما بينهم، حتى بات التغالب صفة تميز شخصية الانسان الذي ينعت من قبل تلك الثقافة بالشطارة او القدرة على تحقيق الاهداف بشجاعة حتى وان كان ذلك على حساب الاخرين[١].

كذلك يمكن توضيح تأثير فكرة تطبيق المفاهيم الايكولوجية في العلاقات الانسانية على انها ظهرت لاول مرة في اوائل القرن العشرين ولاسيما في مؤلف شارلز غالبن (التشريح الاجتماعي في المجتمع الريفي)[٢] وفي هذا السياق يؤكد ريد فيلد تطور دراسة الظروف الطبيعية وتأثيراتها على حياة الانسان من خلال قوله بان الايكولوجيا هي دراسة العلاقات المتفاعلة بين الانسان والبيئة الطبيعية)[٣] كما يرى ايفانز بريتشارد خلال دراسته لقبائل النوير في السودان ان الظروف البيئية تؤثر تأثيرا واضحا في الحياة الاجتماعية لهذه القبائل والجماعات الاجتماعية التي تعيش ظروف مشابه لمجتمع النوير ويتجسد ذلك من خلال الروابط بين الارض وطبيعة التباعد في بيوت النوير وقراهم في معظم الامور التي يصفونها افرادا وجماعات.[٤]

---

[١] المصدر: الدراسة الميدانية.

[٢] تماشيف، نقلا: نظرية علم الاجتماع ترجمة الدكتور محمود عودة وآخرون، دار المعارف، ط٨، القاهرة ١٩٨٠، ص١٠

[3] Rved Field. The little community, serth. Impressin, chicugo, Prese. A. SA. 1964. PP26-29.

[4] Rved Field. Peasant society and culturs second, eddition by chicago, Prese. In U.S.A, 1961, P.151.

وقد وجدت بعض الدراسات ومنها دراسة سول تكس Soltax في (جواتمالا) من خلال اختباره للمتغيرات التي صاغها (ريد فيلد) في نظرياته، ان المجتمعات المحلية في ذلك المجتمع على الرغم من كونها متجانسة، الا ان علاقة افرادها غير شخصية، وتنظيماتها العائلية طبقية، وحياتها علمانية، وافرادها يتصرفون من زاوية اقتصادية نفعية اكثر مما يتصرفون بروح جماعية. ومن اهم النتائج التي توصل اليها، ان العلمانية والفردية والتفكك الاجتماعي في المجتمعات المحلية الصغيرة، قد لا يعزى الى التغير من التجانس الى اللاتجانس، سبب فقدان العزلة الثقافية وزيادة الاتصال الاجتماعي، وانما قد تحدث بسبب ممارسة الاساليب الحضرية التجارية في التعامل[١]. وقد لوحظ في الدراسة الحالية ان الظروف الاقتصادية والتفاعل المستمر مع المناطق الحضرية الاخرى في مدينة بغداد كأزدياد تعقيد اساليب الحياة في المجالات كافة قد ابعد كثير من السكان عن روح الجماعة، كما تفككت وضعفت العلاقات القرابية الى درجة كبيرة، لتبرز المنفعة الفردية كسمة واضحة في السلوك الاجتماعي، كما وقد اتفقت الدراسة الحالية الى حد كبير مع مالاحظة الدكتور علاء الدين البياتي في دراسته الانثروبولوجية عن واحة شثاثة في البادية العراقية، انه في أي قرية عراقية او مدينة عراقية، من الصعوبة ان تضع حدود فاصلة بين ما هو ريفي وبين ما هو حضري حيث ان ملامح وخصائص هذه المجتمعات المتدافعة لا يمكن التمييز بينها بدقة علمية لاسيما وان العراق لم يشهد ثورة صناعية تكنولوجية حضرية في مدنه مماثلة لتلك الثورة التي حدثت في مدن اوربا وامريكا، بحيث تنمو المدن نموا سريعا مؤديا الى خلق انماط سلوكية، وعلاقات اجتماعية حضرية متميزة بها، بل الواقع في المجتمع العراقي عكس ذلك، فان النمو التدريجي للمدن العراقية الكبيرة والصغيرة الذي حدث على اثر عوائد النفط العراقية عام ١٩٥٢ الى حدوث هجرة ريفية وبدوية الى المدن، وهذه الهجرة ادت الى سكن المهاجرين في جزر ومناطق محلية محدودة من المدن مع اقاربهم، ومن وحداتهم العشائرية وجماعاتهم

---

[١] د. البياتي، علاء الدسين جاسم: علم الاجتماع بين النظرية والتطبيق، دار التربية، ط١، بغداد، ١٩٧٥، ص١٠٨-١٠٩.

الاقلية، حماية لهم اقتصاديا واجتماعيا، وهذا النمط من المهاجرين حدد بدرجة او باخرى تفاعلهم مع سكان المدن العراقية، فضلا عن كون هذا التفاعل وان حصل بدرجات محددة وضيقة، فانه يحصل ليس بين سكان المدن حضريين وسكان ريفيين بالمعنى الاوربي والامريكي، حيث ان سكان مدن العراق على الرغم من مظاهر التحضر الجزئية مازالوا اشباه حضر، ويرتبطون بعلاقات ريفية وعشائرية، ويتصرفون تصرفات اقرب في مضمونها ومحتواها للعلاقات الريفية[١]. وفي هذا الصدد يمكن القول ان العائلة في المجتمع العراقي والمجتمع العربي عامة تتصف بالتماسك والتواكل والعصبية القائمة على اواصر الدم واللحمة النسبية والتوحد في مصير مشترك، حتى يصبح الفرد في الاسرة عضوا يقاسم الاعضاء الاخرين فرحهم وحزنهم وخسائرهم، وعلى الرغم من ذلك وربما بسبب ذلك تعيش الاسرة العربية عامة توترا مستمرا على الاغلب حتى تكاد تقطع معظم الخلافات بين الاقرباء وحيث تقع مثل هذه الخلافات ترافقها عواطف حارة عميقة، مما يفسر لماذا العربي ولا يزال يعد ان ظلم ذي القربى اشد مضاضة على النفس من السيف المهند[٢]. كما ان العائلة الممتدة هي الشكل السائد في المجتمع العراقي او العربي عدا بعض الاستثناءات، والعائلة نجدها في المدن الصغيرة او الاحياء الشعبية تسكن في حي واحد وقد توزع في احياء مختلفة من المدينة، فالفقراء يتكدسون في غرفة او غرفتين، في حين الميسورين يسكنون في مساكن فسيحة[٣]، كما ينتمي الفرد في المجتمعات البسيطة الى اسرتين او عائلتين، الاولى يتربى فيها ويطلق عليها عائلة التوجيه، والثانية يقوم بها بدور الاب وهي عائلة التكاثر.[٤]

---

[١] المصدر نفسه، ص١٠٨-١٠٩.

[٢] د. بركات، حلمي: المجتمع العربي المعاصر، بحث استطلاعي اجتماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص٢١

[٣] د. الشرابي، هشام: مقدمات في دراسة المجتمع العربي، المكتبة الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٧، ص٣٥

[٤] رالف. ل. بيلزهاري هويجر: مقدمة في الانثروبولوجيا العامة، ترجمة د. محمد الجوهري، ط١، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٦، ص٤٦٩.

وقد ظهر خلال العمل الميداني ان الجزء الاكبر من سكان الجزائر ينحدرون من اصول ريفية، متأثرين في الوقت نفسه في الثقافة الحضرية، فهم ليسوا حضريون على وجه من الوجوه، وليسوا ريفيون يحملون خصائص ابناء الريف كما هي في الواقع الريفي، اذ انقطع هؤلاء عن الزراعة ودخلوا في ميادين وانشطة اخرى مثل الوظيفة والعمل الحر والتجارة والعمالة وغير ذلك. حتى بات من الصعوبة بمكان رسم وتشخيص فوارق اجتماعية واضحة بين الاسر القاطنة في هذا الحي، ومع ذلك لاحظنا ان بعض الاسر ظهر عليها نوع التحسن المعيشي المفاجئ واقتناء الكثير من الافراد لسيارات حديثة، في حين لاتزال غالبية الاسر تعيش حالة من الفقر والتهميش وتفتقر الى ابسط متطلبات الحياة الانسانية ونظرا لصعوبة الحياة تزايدة مشاركة المرأة في اقتصاد الاسرة سواء من خلال عملها كبائعة في الاسواق وعاملة في دوائر الدولة، وتحت الظروف التي يعيشها المجتمع اليوم تراجعت اساليب التربية والتنشئة، فاهملت الطفولة وتدنت المستويات التعليمية للتلاميذ، كما تسرب الكثير منهم من المدارس او انقطع عنها تماماً، فضلا عن ضعف شبكة العلاقات الاجتماعية سواء القرابية منها او علاقات الجيرة، على الرغم من سكن الاسر المنتمية الى مجموعة قرابية واحدة الا ان عملية التفاعل والاتصال قد ضعفت بانشغال الافراد بالعمل خارج المنزل وفي مناطق بعيدة عن سكناهم ولساعات طويلة، كما ان علاقات النساء بعضهن البعض في المنطقة الواحدة تدور حول مواضيع محددة ومكررة حتى بات من الواضح انهن لا يتركن شاردة او واردة الا وقد عرفنها، وقد لا ينطبق هذا الوصف تماما على مجمل الحياة الاجتماعية برمته، فغالبا ما يشاهد الكثير من الشباب الذين يعانون من البطالة متجمعين هنا وهناك، وقد شكلوا نوع من العلاقات الاجتماعية الا انه سرعان ما تنحل بعضها حينما يجد بعضهم عملا ينشغل فيه. وعلى مستوى الشعور المشترك للسكان بانتمائهم الى ثقافة واحدة كثيرا ما نجد حاضرا في سلوكياتهم، فهم يشعرون ينتمون الى فئة او طبقة واحدة او مستوى واحد من الثقافة، كما انهم يعرفون بعضهم البعض ولاسيما في الزقاق الواحد معرفة شخصية، الامر الذي جعل عامل الحسد والفضولية والتدخل في شؤون الاخرين بقصد او بدون قصد او مراقبة السلوك امور تتفاعل باستمرار في

الحياة اليومية، ولاسيما بين أولئك الذين ليس لديهم عمل وكذلك بين النسوة كما اصاب التضامن والتعاون كثير من التغير عما كان عليه في الماضي أي قبل مرور المجتمع بالازمات، اذ يذكر احد الاخباريين عن ذلك قائلا (في الماضي كان الحي مثل البيت الواحد واليوم الجار ما يعرف جاره وحتى لو كان اقربائي) وقد طرأت هذه التغيرات نتيجة عوامل اقتصادية واجتماعية ابرزها الحروب المستمرة التي مر بها البلد خلال الفترة الماضية.

ثانيا: الخصائص السياسية والاقتصادية لمجتمع الدراسة

اما فيما يتعلق بطبيعة النسق السياسي السائد في منطقة الدراسة، فهو لا يخرج من دائرة الموروث الثقافي، وان طرأت بعض التغيرات الجوهرية على السلطة الابوية. فلا يزال الامتداد القبلي او الريفي يؤثر – ولو شكليا– السلطة داخل الاسرة ويظهر ذلك جليا في احاديث الناس بانضوائهم تحت سلطة المجموعة القرابية او العشيرة، وهو جانب فيه الكثير من الالتزام الشكلي الذي استدعته طبيعة الظروف التي مرت على المجتمع ولاسيما في اظهار ثقافة العشيرة في اوساط الناس خلال المرحلة الماضية بعد ان تراجعت وضعفت المؤسسة الضبط الرسمية في المجتمع. كما تراجعت بدرجة كبيرة عملية الاندفاع والتوجه نحو الحضرية. كما ظهرت الحاجة الى سلطة المجموعة القرابية بعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣م عندما حلت تلك السلطة بشكل فاعل محل السلطة الرسمية، وظهور الحاجة الى الحماية والتكافل تحت تلك الظروف ولا يزال هذا الامر يفعل فعله في النسق السياسي لمنطقة الدراسة رغم التغيرات التي طرأت على الكثير من المفاهيم في هذا الصدد حتى اصبح من المهم على الفرد ان يرتبط بمجموعته القرابية حينما يتعرض الى مشكلة او ازمة ما.

والشيء الذي يميز المجموعة القرابية من حيث كونها تنظيم غير رسمي هو الضبط الاجتماعي والذي به يمكن السيطرة على افرادها، والضبط الاجتماعي (هي العملية التي يستطيع المجتمع بواسطتها السيطرة على الافراد وتنظيم سلوكهم في الشكل الذي يؤدي الى اتساق هذا السلوك مع التوقعات الاجتماعية، كما انها تعمل

على المحافظة على استمرارية الكيان الاجتماعي في الاوضاع الاعتيادية، وتعالج تخلف بعض المؤسسات خلال التطور التدريجي والتغير المفاجئ)[١].

اما عن طبيعة النسق الاقتصادي فان اهتمام الانثروبولوجين في دراساتهم الاقتصادية ينصب على فهم المضامين الثقافية التي تنطوي على التدبير الاقتصادي وما ينطوي عليه التدبير هذا من دور تقوم به العوامل الاقتصادية في الافادة من الموارد الموجودة في المجتمع بهدف اشباع الحاجات الانسانية فالحاجات الانسانية متنوعة ويمكن ان نلمس منها نوعين الحاجات البيولوجية الاساسية والحاجات الثقافية التي تقابلها، ان الحاجات البيولوجية تسهم في ادامة وجود العنصر البشري، ولا ينفي ان الانسان تحت ضغط هذه الحاجات استطاع استحداث الوسائل الثقافية لارضائها[٢]. وبهذا لم يعد الانسان في المجتمعات المتغيرة ومن مجتمع الدراسة يخضع لمهنة واحدة ، فبعد ان كان اغلب السكان يسكنون الريف ويضطرون لممارسة الزراعة جيلا بعد جيل صار كثيرون منهم اليوم يمتهنون مهننا وحرفا مختلفة لا تخضع الى حصر، وهكذا فان الاسرة لا تخضع لتوصيف اجتماعي واحد لانها تستجيب لظروف مختلفة يتسم كل منها بخصائص مهنية او وظيفية مميزة، وقد يمارس ابناء الاسرة الواحدة مهننا متباعدة تتطلب اشكال شتى من التكيف النفسي والذهني[٣].

وفي هذا الاطار تشكلت الانشطة الاقتصادية في منطقة الجزائر على اساس الامكانيات البشرية والفنية للسكان بغية تاسيس نسق اقتصادي قادر على تلبية الحاجات الانية للسكان، ورغم بساطة القدرات البشرية الا ان مهن السكان اصبحت اكثر تنوعا في ظل هذه الظروف، فهي خليط من المهن الوظيفية الحكومية والعمل

---

[١] د. الجابري، خالد: الضبط الاجتماعي، محاضرات للمرحلة الثالثة، قسم الاجتماع، كلية الاداب، جامعة بغداد، ص٤.

[٢] د. النوري، قيس: الانثروبولوجيا الاقتصادية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، مطابع التعليم العالي بالموصل، ١٩٨٩، ص١٦-٢٢.

[٣] د. النوري، قيس: الاسرة مشروعا تنمويا، سلسلة آفاق، وزارة الثقافة والاعلام، مديرية الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٤، ص١١٠.

الحر والعمل الشاق كالبناء والمهن الحرفية كالنجارة والصناعات الفخارية والنسيجية وغيرها ونظرا لصعوبة المعيشة وسعي الانسان المستمر نحو ايجاد فرص عمل متنوعة خارج محيط المنطقة ليصل بالبعض الى التنقل بين المدن العراقية او الهجرة اليها مؤقتا من اجل العمل.

كما لاحظنا خلال العمل الميداني تدني مستوى معيشة الاسرة، فغالبية الاسر تعاني من نقص واضح في حاجاتهم الانسانية الضرورية، وتشعر بانها مهمشة اقتصاديا، نظرا لتباين المستوى الاقتصادي بينها وبين الاسر في بعض المناطق الاخرى في مدينة بغداد. ومن الامور الملفتة للنظر ان بعض اسر المنطقة المدروسة تشعر بتمايز اقتصادي مع بعض الاسر في المنطقة ذاتها، حتى اضحى الحديث عن امكانية تلك الاسر لا تخلو من الحسد، وما قد ينتج عنه في احيان عالم من حالات البغض والكره.

خاتمة الفصل

تضمن الفصل اعطاء رؤية موضوعية علمية عن اهمية الايكولوجيا في الدراسات الانثروبولوجية مركزا على العلاقة بين الانسان والبيئة، وفهم طبيعة العلاقة التبادلية بينهما مستبعدا فكرة الحتمية الجغرافية، كما درس الفصل الخصائص الطبيعية والسكانية والاقتصادية والاجتماعية لكونها جوانب اساسية تساعد في فهم الظاهرة وكون هذه الجوانب الاقتصادية والسكانية والسياسية والطبيعية تمثل انساق مترابطة بعضها ببعض ومن ثم فان كل منها يعطي مراحل فهم الظاهرة فهما علميا لما لهذه الجوانب من علاقة تبادلية.

الفصل الخامس

التعاون والتغالب في مجتمع الدراسة (حي الجزائر) للمدة ١٩٥٨-١٩٨٠

التمهيد

تعد مسألة الوقوف ميدانيا على آراء بعض الاخباريين وبعض الدراسات الاجتماعية محاولة هامة واساسية لمعرفة التغيرات والتحولات التي حصلت في بنية الثقافة العراقية في المرحلة الراهنة، ان مثل ذلك يعطي للمتتبع صورة تفصيلية عما يجري من تحول ثقافي في المجتمع العراقي، واثر ذلك في سلوك التعاون والتغالب، وان مثل هذه المحاولة سوف تركز على تفاصيل الحياة الاجتماعية في مجتمع الدراسة كنموذج لمجتمع يعيش خليط ثقافي يجمع الثقافة الريفية والحضرية بشكل ملفت للنظر.

المبحث الأول

التعاون والتغالب في الأسرة والمجموعة القرابية

نرى من الضروري ان تسبق دراسة التعاون والتغالب في مجتمع الدراسة خلال المدة ١٩٥٨-١٩٨٠ القاء نظرة سريعة على تلك المرحلة لسببين اثنين اولهما عدّها مدخلا لفهم اهميته التاريخية للمجتمع العراقي، وثانيهما لكونها خطوة اساسية لمعرفة اثر التغيرات الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع العراقي خلال تلك المدة واثرها في التعاون والتغالب في مجتمع الدراسة.

اولا: مرحلة جديدة في تاريخ العراق الحديث

يعد عام ١٩٥٨ بداية مرحلة جديدة في تاريخ العراق الحديث، وهي انطلاقة ثورة ١٤ تموز التي نقلت المجتمع العراقي من عهد النظام الملكي الى عهد النظام الجمهوري، ولعل المتتبع لتلك المرحلة يجد انها تاتي في سياق عام شهدته المجتمعات النامية وهي بداية تحررها السياسي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية انتهاء مدة الاستعمار القديم ولكي نضع بعض المؤشرات حول هذه الحقبة التي اشرتها الدراسة الحالية، اذ كان المجتمع خلالها مجتمعا تقليديا بسيطا، الا انه بدأ ينهض ويدخل في مرحلة جديدة من تبني الافكار السياسية ولاسيما الاشتراكية منها، والتي اثرت فيما بعد على توجه المجتمع في المجالات كافة.

ومن اجل ان تكون الصورة واضحة في هذا الاطار لابد من التطرق سريعا الى الوضع الاقتصادي في المجتمع العراقي وما تركه من آثار فيما بعد على النسق الثقافي والاجتماعي باعتبار ان النسق الثقافي يمثل محورا اساسيا من محاور حياة الانسان خلال تاريخه الطويل، ومن ثم يمكننا فهم بعض ملامح تلك المدة فيما يتعلق منها بموضوع الدراسة تحديدا. وفي هذا السياق ينبغي الاشارة الى ان غالبية سكان المجتمع العراقي من السكان الريفيين، وان حالة التخلف والفقر والجهل كانت علامات واضحة في حياة المجتمع فابرز قنوات الاقتصاد العراقي تتركز في الزراعة

واستخراج النفط الخام، وكل ما يميز تلك الفترة ان العلاقات السائدة في قطاعاته الاقتصادية ولا سيما الزراعة هي شبه اقطاعية والملكية الاقطاعية هي اساس هذه العلاقات، والطبقة المسيطرة هم اشباه الاقطاع الذين اخذوا صفة المشايخ والملاكين الكبار[١]. ونستدل من هذا ان الريف العراقي كان يعاني من تسلط فئوي ادى في اكثر الاحيان الى زيادة حالة الفقر واستغلال الفلاحين استغلالا بشعا، كما ان المجتمع كان يعاني من مشكلات اقتصادية ضخمة ولعل هذا من اهم الاسباب التي دفعت الحكومة قبل عام ١٩٥٨م الى اتخاذ العديد من الاجراءات في سبيل اجراء تنمية اقتصادية في البلاد، والتي كان ابرزها قيام مجلس الاعمار ١٩٥٠م من اجل احداث تنمية للاقتصاد العراقي بعد زيادة عائدات النفط والتي دفعت الدولة باستثمارها من اجل تنمية البلاد وزيادة الدخل القومي فيها. وقد وضع مجلس الاعمار برنامجين اقتصاديين بين المدة ١٩٥١-١٩٥٨م، اذ بلغ مجموع التخصيصات السنوية خلالها (٤١٨,٥١) مليون دينار عراقي. وقد كان مقدار ما صرف فعلا (٢٢٥) مليون دينار أي بنسبة (٥٤%) من مجموع المبالغ المرصودة لتلك المدة[٢].

وتجدر الاشارة الى ان الخطة ضمن هذا البرنامج لم تصل الى المستوى المطلوب رغم انها حققت بعض النجاحات المؤقتة، والشيء المهم انه بعد ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨م دخلت البلاد مرحلة جديدة وظهرت جهود حثيثة من اجل نقل البلاد الى مرحلة جديدة من النمو والتطور وان ابرز ما ميز تلك المرحلة هو الغاء مجلس الاعمار وتاسيس وزارة التخطيط ومجلس التخطيط المركزي، وكذلك الغاء قانون دعاوى العشائر في عام ١٩٥٨م[٣]، واصدار قانون الإصلاح الزراعي رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨م. وفيما يتصل بالقطاع الصناعي تم اصدار قانون التنمية

---

[١] د. عثمان، سعد محمد: الأسس النظرية للتطبيق الاشتراكي في العراق، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١، ص١١١.

[٢] د. هاشم، جواد وآخرون: تقييم النمو الاقتصادي في العراق، ١٩٥٠-١٩٧٠، ج١، وزارة التخطيط، ط٢، ١٩٧٠، ص٦ش٥.

[٣] د. البياتي، علاء الدين: مصدر سابق، ص٥٤٢.

الصناعية عام ١٩٦١م وقد تضمن دعوة وتشجيع اصحاب المدخرات الخاصة الى الاستثمار في القطاع الصناعي[١].

كما شهد قطاع التجارة تطورات مهمة اذ زادت صادرات العراق ما عدا النفط (٢,٠٥١) مليون دينار عراقي في عام ١٩٥٠ الى (٢٢,٥٦٦) مليون دينار عراقي ١٩٧٠م بينما ارتفعت استيرادات البلاد من (٣٧,٥٩٥) مليون دينار ١٩٥٠ الى (١٨١,٦٥١) مليون دينار سنة ١٩٧٠م، كما ارتفع انتاج النفط الخام من (٦,٥) مليون طن عام ١٩٥٠ الى (٧٥,٧) مليون طن عام ١٩٧٠. اما صادرات النفط ارتفعت (٢٣,٣) مليون دينار عام ١٩٥٠ الى (٣٦٨,٠٠) مليون دينار عام ١٩٧٠[٢].

كما شهدت تلك المرحلة هجرة واسعة من المناطق الريفية الى بغداد اذ شكل الريفيون احزمة حول المدينة حتى نشأت فيما بعد ضواحي جديدة او مناطق سكنية غالبية سكانها من الريف، وقد شكلوا هؤلاء جماعات اجتماعية حسب انتماءاتهم العشائرية كما ان تلك المرحلة شهدت العديد من الخطط التنموية التي نقلت البلاد الى مستوى اكثر تفاؤلا مع ثقافة العصر، وقد افاد المجتمع العراقي من عائدات النفط في ذلك. وقد اتسم المجتمع بحالة من الاتزان والبساطة بحيث ان سلوك التعاون كان واضحا في مناطق بغداد المختلفة، فقيمة التعاون كقيمة اجتماعية دفعهم نحو العمل الجماعي التلقائي لمساعدة بعضهم البعض ولا سيما في المناسبات المختلفة.

كما ان تركيبة المجتمع الثقافية وتداخل الثقافة الريفية والحضرية فيها وظهور نوع من التعصب اتجاه المجموعة القرابية او المنطقة التي ينتمون اليها قد افرز نزعة التغالب في معاملات الناس المختلفة.

---

[١] د. حبيب، احمد: دراسات في جغرافية العراق الصناعية، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٥، ص٣٥.

[٢] الدليمي، صالح سمير نصار: اثر النظام السياسي في تنمية المجتمع العراقي، اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الاداب وهيئة الدراسات العليا في جامعة بغداد لنيل درجة الدكتوراه في علم الاجتماع، ١٩٩٠، رسالة غير منشورة، ص١٥٥.

ثانيا: التعاون في الأسرة والمجموعة القرابية:-

ليس التعاون عنوان اساسي وضروري في المجتمعات البسيطة فحسب انما هو قوة تستند عليها متانة وقوة البناء الاجتماعي، وهي تقود عملية استمرار وظائف هذا البناء المتساند، ويمكن ان نرى صفة التعاون في ظل الثقافة التقليدية واضحة، وتميز العلاقات الاجتماعية التي تكون في مثل تلك الثقافة علاقات ميكانيكية، او علاقة الوجه بالوجه، كما تظهر في الاسرة وفي المجموعة القرابية الكبيرة، لذا ينبغي ان نعرف ماهية التعاون في الاسرة التقليدية ثم نتطرق الى التغالب في محيط الأسرة. ويبدو ان طبيعة العلاقات الاسرية التقليدية، قائمة على اساس التعاون والتساند والخضوع لسلطة الجد او رئيس العائلة ولعل العلاقات القرابية تستمد قوتها واستمراريتها من عملية التعاون ذاتها، كما ان طبيعة العلاقات الاسرية والقرابية بشكلها المحلي التقليدي، يعطي للتعاون هذه الصفة، فنظرة الى طبيعة العلاقات الاسرية العراقية بشكل عام نجد لها امتداد ريفي يرتبط بالصلات القرابية والاجتماعية الأولى ذاتها، كما ان ابرز ما يميزها في ذلك، تعصبها للحمتها وتقاليدها العشائرية، والفخر بالانتساب اليها، لكونها ان ذلك الانتساب يمثل لها عنوان شرف وقوة واصالة، ونلمس ذلك جليا في الاسرة الريفية، كما يظهر بشكل اساسي ايضا في الاسرة الحضرية التقليدية، ذات الامتدادات الثقافية المرتبطة ببيئتها الشعبية التي نشئت فيها. وقد كانت مكانة الفرد تقاس بمكانة اسرته وقوتها في المجتمع المحلي الشعبي، وهو يحمل في طياتها سمات مماثلة لما تحمله الاسرة الريفية من التماسك والتعاون. لذا كان مجتمع الدراسة كمجتمع حضري محلي له امتداد ريفي، تظهر فيه قوة التلاحم بين الأقرباء في مجتمع لايزال يحافظ على توازنه العام قبل ان تنال منه الحروب المستمرة، فكان يتميز بهذا التعاون رغم اختلاف الأنشطة التي يمارسها ابناء ذلك المجتمع، عن الأنشطة التي كانوا يمارسها أجدادهم وهم في الريف. وقد ادى عامل الاقامة المبني على اساس القرابة الى استمرار مظاهر التماسك الداخلي داخل الاسرة الكبيرة او الاسر التي تنحدر منها وقد يكون من اسباب تلك الوحدة الاجتماعية ايضا شعورهم بالانتماء الى فئة واحدة من حيث المستوى الاقتصادي او

شعورهم بالتهميش ازاء مناطق تكون اكثر تنظيما واكثر حضرية في مناطق بغداد المختلفة، وعن تلك القوة يذكر احد الاخبارين بالقول

(كان افراد الاسرة في منطقتنا قبل مصايب الحروب لحمة واحدة لا احد يقدم نفسه على الاخر. مصلحة اسرتي هي من مصلحة اسر منطقتي).

وهذا يشير الى اهمية التماسك والتعاون بين اسر منطقة البحث، وهذا يقودنا الى فهم طبيعة العلاقات الاسرية ولاسيما علاقة الاباء بالابناء، فلا تزال تحمل تلك العلاقات القائمة على الاحترام والخضوع الذي نلمس امتداده الاول في المجتمع الريفي او في هذا الصدد يشير احد الاخبارين بالقول:

(ابنائي تزوجوا ورفضوا الاستقلال مع زوجاتهم رغم رغبة بعض زوجاتهم في ذلك، فهم لا يستطيعون الخروج عن امري، كما انهم لا يرغبون ان يعيشوا بعيدا عني)

وفي ذلك اشارة واضحة على متانة العلاقات الاجتماعية وطابعها العاطفي من جهة، وقوة سلطة الاب والى وجود الوحدة الاقتصادية أي الدمج الاقتصادي او ما يمكن ان نطلق عليه الاندماج القصري بحكم ما هو سائد في الاسر الممتدة، والذي كان يمثل عنوان تماسك تلك الاسر. كما ان احد من ابناء تلك الاسر لا يجرأ بالمطالبة بحقوقه منفردا، اذ كان ذلك امر معيب للغاية، لاسيما والاب لايزال على قيد الحياة، ويُعد معيبا ايضا بعد وفاة الاب وهناك اخ كبير يشغل مركز والده. وفي هذا الصدد تقول احدى الاخباريات:

(لم يفكر ابنائي بعد وفاة والدهم بحصصهم في البيت، واذكر مرة ابني الاصغر اراد ان يحصل على حصته من البيت وقد ضربه ابني الاكبر وقال لهُ اذا عدت لهذا الكلام لا احنا نعرفك ولا انت تعرفنة)

وهو دلالة اضافية الى صورة الدمج الاقتصادي للأسرة التقليدية، كما كان يلاحظ وحسب رأي الإخباريين ان ابناء العائلة الواحدة كانوا يعملون سوية ويشاركون في ميزانية الاسرة ويتعاونون في مختلف الظروف التي يمر بها فرد من

افراد الاسرة وكأنهم في تلك اللحظة يشعرون بان مصيرهم واحد، وفي هذا الصدد يشير احد الاخبارين بذلك في القول:

(كان الاخوة من البنات والبنين كلهم يد واحدة وبهم
تكون هيبة الاسرة، حتى ان ذلك كان
يثير غيرة بعض الاسر المجاورة لنا)

كذلك يظهر التعاون من خلال آراء كثير من الاخباريين ان سلوك التعاون لم يعد كما كان في ظل اسر اجدادهم الذين كانوا يعيشون ظروفا واحدة، وحاجاتهم مشتركة ويخضعون بشكل كبير ومباشر لسلطة مطلقة يمارسها الجد او الاب وهي سلطة نافذة على الرجال والنساء بما فيهن زوجات الأبناء وفي ذلك اشارة واضحة الى اهمية الاندماج الاسري القصري بحكم قيم الهيمنة الابوية التي تقوم على اساس ملكية الاسرة في مناطقهم الريفية قبل ان يهاجروا الى المدينة، وان صيغ الملكية التي كانت سائدة قبل هجرتهم هي ملكية الارض او اشتراكهم في العمل الزراعي، وحينما انتقلوا الى المدينة وتجمعت اسرهم بحكم رابطة القرابة في مجتمع الدراسة نقلت صيغة الملكية لتظهر بشكل آخر وهي ملكيتهم للبيت الصغير الذي يضمهم او ملكيتهم للماكنة التي يعملون عليها، كالجرار او سيارة الحمل او أي شيء يعملون عليه. كما ان الاجور التي يستحصلونها جراء عملهم تذهب الى يد الاب لتمثل جميعها ملكية مشتركة لتلك الاسرة ويركز احد الاخبارين عن ذلك بالقول:

(كانت واردات سيارة الحمل الذي يعمل عليه ابنائي
الخمسة يصل الى يدي، ولم اشعر في يوم من الايام
ان واحد منهم يريد حصة عمله لوحده فكان الجميع
يشعرون بوحدة الدخل).

وعن تبدل نمط العمل وطبيعته عما كان سائدا لدى بعض الاسر قبل هجرتهم الى المدينة يذكر احد الاخبارين.

(عندما جئنا الى منطقة الجزائر كنا نستحي ان نعمل
عمال نلبس بنطلونات، ونرى ذلك عيب علينا، لكن
طبيعة العمل كحراس وفراشين وعمال جعلنا على مر
الايام نتقبل ذلك)

كما كان الاعتقاد السائد في الاسرة العراقية التقليدية ان التعاون يعد سبيلا مهماً لتحقيق طموحات الافراد وان الطموح لا يخرج في احسن الحالات عن كونه يمثل طموح الاسرة ذاتها، فكانت الاسرة عنوان لا يغيب عن بال الابناء فهي المرجعية الثقافية والاجتماعية لهم، وتمثل ارتباطا نفسيا واجتماعيا يربطهم بها، لذا لا يستطيع كثير من الأفراد الصمود في العيش بعيدا عن كنفها، وفي هذا الصدد تشير احدى الاخباريات:

(ابني هاجر الى شمال العراق وبقي في كركوك يعمل
ولكنه بعد فترة قصيرة رجع لانه لايستطيع الاستغناء
عن اسرته، فقد اضنته الغربة).

وهو امر يشير الى قوة ارتباط الاسرة، بل ان هذا كان يظهر ايضا وحسب رأي احد الاخباريات عندما قالت في سياق حديثها عن عمل ابنها في اطراف بغداد البعيدة، وما كان يعانيه ابنها من الغربة والبُعد والخوف احياناً، اذ كان افراد الاسرة لا يجدون عملا بالقرب من سكناهم فيضطرهم الحال الى العمل في مناطق اخرى من بغداد ويجدون في ذلك غربة. كما يظهر التعاون حينما يتخذ افراد الاسرة موقفا ايجابيا اتجاه مساعدة من يحتاج من الاسر الاخرى دون ان يكون هناك تردد او تأخر بسبب انشغالهم باعمالهم، كما يظهر ذلك ايضا في حالة المناسبات المختلفة، اذ ينقطع كثير من ابناء الاسر عن اعمالهم ليشاركوا غيرهم في المناسبة. بل ان ذلك التعاون يعد واجبا تفرضه العادات والتقاليد، وهذا يؤكد ان الثقافة السائدة في مجتمع الدراسة هي ثقافة متجانسة بامتدادتها الريفية او الشعبية فطبيعة الاسر وحسب آراء الاخبارين اغلبها بسيطة وفقيرة متعاونة فيما بينها وهي تشعر نفسها في مجتمع غريب في بداية الامر، والتعاون السائد هو داخل الاسرة اولا ثم مع الاقرباء الذين كانوا متجاورين في زقاق واحد ثانيا ومع وجود هذه المظاهر التعاونية الا ان الاسرة قد تغيرت احوالها حينما سكنت في المدينة، أي ضمن رقعة جغرافية محدودة الارض وهو عكس ما كان عليه سكن الاجداد والاباء الذين كانوا يجدون انفسهم في المناطق الريفية غير مقيدين بطبيعة استعمالات الارض المحدودة والخاضعة الى تقسيمات البلدية، والتخطيط الحضري. الامر الذي انعكس على طبيعة العلاقات

الاجتماعية للاسر المهاجرة، وظهرت الحاجة الى اندماج قرابي لمواجهة الظروف المستحدثة مثل الاستقلال الاقتصادي للاسرة المهاجرة والذي فرض على افراد تلك الاسرة الخروج الى العمل وممارسة مهننا مختلفة فضلا عن صعوبة التكيف الاجتماعي للاسر المهاجرة الى المدينة وصعوبة التعامل مع مفردات الحياة اليومية، أي ان الاسرة المهاجرة قد تخلصت قليلا او كثيرا من الاندماج الاسري القسري كما كان في الريف ليظهر هذا الاندماج مع اقربائهم بحكم الحاجة مع بقاء الاندماج الاسري على مستوى الاسرة الصغيرة فاعلا وبهذا كان سلوك التعاون بين هذه الاسر يمثل حاجة اساسية للتواصل الاجتماعي فيما بينها، وفي هذا الاطار ينبغي التمييز بين قيمة التعاون كعمل اجتماعي تلقائي يحصل في المناسبات المختلفة وبين سلوك التعاون كحاجة، فقيمة التعاون بهذا المعنى تستمد جذورها من عادات وتقاليد المجتمع التقليدي التي تدفع ابنائه للتعاون تلقائيا، اما التعاون كسلوك فيظهر في الاندماج القرابي للاسر المهاجرة لمواجهة الظروف المستحدثة في المدينة. وفي هذا الاطار اصبح هناك تحول في مفهوم الضبط الاجتماعي في البيئة الحضرية الجديدة، اذ كان لظهور الحاجة اليومية للمعيشة او العمل اثرا واضحا لطبيعة العلاقات الاسرية ووسائل الضبط المتبعة، الا ان ذلك لايعني انها لم تعد تخضع للرقابة الاسرية او لوسائل الضبط الديني او الثقافي، انما اصبحت تلك الوسائل تأخذ طابعا مختلفا عما كان سائد تحت سيطرة السلطة الابوية الصارمة في المناطق الريفية او في المناطق الشعبية القديمة، فضلا عن ذلك فرضت الظروف الجديدة اجراءات ملزمة على افراد الاسرة وهي العمل ونشاطات مختلفة خارج نطاق الاسرة حتى ان بعض النسوة والفتيات اخذن يعملن في بعض المزارع القريبة من المنطقة او بائعات في الاسواق القريبة في منطقة الدراسة. كما اتجهت هذه العلاقات بشكل بسيط الى ما يمكن تسميته بالخصوصية في ظل هذه النشاطات الاقتصادية المختلفة، وعلى الرغم من بدائية تلك النشاطات الا انها اعطت للاسرة شخصية خارج هيمنة المجموعة القرابية، وان بقيت تلك العلاقات مرتبطة ليس اعتباريا فقط. ويمكن القول انها قللت من هيمنة المجموعة القرابية لانه في المجتمعات التقليدية لاتوجد للاسرة شخصية مستقلة خارج هيمنة المجموعة القرابية وهو يعود مجمله الى

انفصال نشاط الاسرة عن طبيعة العمل الزراعي الذي يتطلب وحدة اسرية وقرابية، كما كان للسكن المستقل والملكية الخاصة اثرا في ذلك، وهذا يعد في حد ذاته منعطفا في حياة الاسرة داخل نطاق المجتمع المحلي، وما رافق ذلك من خدمات تقدمها مؤسسات حكومية كالكهرباء والماء فضلا عن الخدمات البلدية الاخرى. وقد استنتجنا من خلال احاديث بعض الاخبارين بان العلاقات القرابية بقيت تؤثر في قرارات الاسرة الا انها لم تعد بتلك الدرجة التي كانت سائدة في مناطق الاسر السابقة، ومع هذا بقيت اواصر هذه العلاقات تمثل اهمية في حياة الاسرة لاسيما فيما يتصل بنصرة القريب غالبا او مغلوبا، كما انها ظهرت في استمرار قيم وواجبات الضيافة حيث يجد الريفيون في اقربائهم من ساكني منطقة الدراسة مأوى يلجئون اليه في جميع الاوقات، ولاسيما عندما يكون لهؤلاء عمل او حاجة يقضونها في المدينة، وفي هذا الصدد يقول احد الاخبارين:

(ان بيتي تحول الى مضيف مستمر لاقاربي حينما يأتون الى المدينة وهذا امر يسعدنا كثيرا رغم ما يترتب عليه من مصاريف).

وهذا يؤكد على استمرار العلاقات القرابية بين سكان منطقة الدراسة واقاربهم في الريف، الأمر الذي يفسر استمرار تأثير الثقافة الريفية كثيرا او قريبا في حياة الاسرة رغم ما طرأ عليها من تغير، فهي تجد نفسها مرة داخلة في تفاصيل حياة المدينة من عمل ومعيشة وتقنين ومرة اخرى تجد نفسها لاتزال بثوبها الريفي وفي ذلك دلالة على التعاون كشكل من اشكال تكافل القربى. وقد وجدنا خلال، العمل الميداني ومن خلال آراء الاخبارين عن المرحلة الماضية ان الاسر جميعا تشعر بوحدة اجتماعية وثقافية متماسكة يحرص افرادها على ديمومتها واستمرارها. كما استنتجنا من خلال تلك الآراء ان مكانة المرأة في الاسرة التقليدية مكانة متدنية مقارنة بمكانة الرجل، ولاسيما في مجال الزواج والميراث وغيرها، الا ان مكانة امهات الاباء او العجائز يحظى بمكانة مقدرة في نظر افراد الاسرة. كما ان تقسيم العمل بين الرجال والنساء لايظهر بشكل واضح الا فيما يطلق عليه التقسيم الطبيعي، فعمل

الرجال يكون خارج المنزل وفي الاعمال الشاقة بينما يترك لمعظم النساء النشاط المنزلي وتربية الابناء والحمل والرضاعة.

ومن الامور الملفتة للنظر تلك التي ذكرها العلامة الدكتور (علي الوردي) (رحمه الله) مسألتين أساسيتين اولهما يتصل بضعف الحياة البيتية، أي عملية الاندماج والتآلف والحوار داخل الاسرة الواحدة. وثانيهما التماسك الاسري المتين، اما فيما يتصل بالاولى فان الرجل لا يجالس زوجته واولاده الا نادرا، فهو ورث عن البداوة نزعة الاستعلاء على المرأة واستنكاف مجالستها، فاذا اعتاد احد الرجال مجالسة النساء دائما يصبح في نظر الاخرين بانه (مخنث) او ذو ميول انثوية، كما ان (الوردي) وصف البيت في المجتمع العراقي بانه يفتقر الى الاناقة ووسائل الراحة والترفيه، اذ اعتادت المرأة العراقية ان تهتم بالقدور والمواقد اكثر ماتهتم بتجميل البيت واشاعة البهجة فيه، كما ان ازدحام البيت بالافراد حيث تحتشد عدة عوائل في البيت الواحد، فضلا عن حجاب المرأة الشديد جعلها تجد في بيتها الصغير المجال الوحيد الذي تنطق فيه، كما اعتادت النسوة من الاقارب والجيران على التزاور فيما بينهن فاذا زرن بيتا كان على الرجال ان يغادروا البيت كي لا يضايقوهن في حريتهن[١]. وفي الوقت الذي تكون الحياة البيتية كما اسماها (الوردي) ضعيفة كان تماسك العائلة قويا جدا، فافراد الاسرة على قلة تعاشرهم واجتماعهم في البيت نجدهم يشعرون بالرابطة القوية التي تربطهم، فهم يقفون في السراء والضراء متضامنين مع بعضهم البعض اتجاه الغريب فاذا اصاب احدهم بمشكلة او نكبة سارعوا لمساعدته. ان التضامن الاسري هو احد مظاهر التراث البدوي، فالعائلة تشعر أنها عشيرة واحدة اتجاه غيرها، وكل عار او فخار يصاب به احد افرادها لا بد ان يصيب بقية الافراد، وهذا ما يمكن ان نلمسه من خلال الشتائم العامية، فاذا رأيت شخص يشتم اخر فانه لا يكتفي بشخصه بل يتعداه الى ابيه وامه وعشيرته[٢].

ثالثا: التغالب في الأسرة والمجموعة القرابية

---

[١] د. الوردي، علي: طبيعة المجتمع العراقي، مصدر سابق، ص٢٧٦-٢٧٧.

[٢] المصدر نفسه، ص٢٧٨.

لا يظهر التغالب في محيط الاسرة الواحدة الا نادرا، الا ان الشخصية في مجتمع الدراسة تحمل في طياتها فكرة الغلبة، اذ ان العصبية القبلية المنقولة معهم من الحياة الريفية وانضمام الاقارب الى بعضهم البعض في سكناهم في مجتمع الدراسة، قد ساعد كثيرا في بروز التغالب اتجاه غيرهم. وقد يلمس الباحث في هذه المنطقة مدلول المثل القائل (انا واخي على ابن عمي، وانا ابن عمي على الغريب) فهو يفسر جانبا من المسألة، لاسيما وان المشاجرات التي تحصل دائما في منطقة الدراسة وحسب آراء الاخبارين، حتى بين الاقرباء انفسهم، وعلى اسباب بسيطة تحمل في طياتها نزعة الفرد الى غلبة غيره، الا ان مثل هذه النزعة لا تظهر بشكل مباشر بين افراد الاسرة انفسهم الا نادرا، وقد حدثنا احد الاخبارين ان صورة التغالب ظهرت بين عمه وابيه فحينما توفى والده استغل عمه ذلك واخذ منهم حصة ابناء اخيه من الارض غلابا. ممارسا سلطته النافذة بالاستئثار على تلك الحقوق. وفي ذلك اشارة واضحة الى ان نزعة الغلبة تمثل حالة كامنة في الشخصية وتعد موروثا عن البيئة الريفية التي يسود فيها مثل هذا السلوك ولا سيما اتجاه المجموعات القرابية الاخرى. فأبن العشيرة ينبغي ان يكون غالبا لا مغلوبا، فتلك القيم تحتم عليه ان يكون كذلك والا اصبح في نظر الاخرين ضعيف الارادة ولا يشار لهُ بالبنان. وفي هذا الصدد تقول احدى الاخباريات:

(نربي الطفل ان يكون سبع ما ينغلب فاليضربه
يشيل الحجارة ويضربه ويطلع دمه. واذا جاني
يبكي اضربه فلا يعود لمثل ذلك).

وعلى هذا الاساس فمثلما تعزز التنشئة الاسرية سلوك التعاون في شخصية الفرد، تقوم هذه التنشئة ايضا في تعزيز سلوك التغالب في شخصيته، فالدكتور (الوردي) يضع يده بمهارة على اصول هذه التنشئة في العائلة العراقية، فهو يرى ان هناك ظاهرة سائدة في المجتمع العراقي وتحديدا فيما يتعلق بالعائلة اطلق عليها

ظاهرة (التجزء) أي هي ما لاحظه من انقسام اسلوب الحياة بين مكونات هذه العائلة الرجل والمرأة والطفل. وان كل واحد من هذه المكونات اخذ جانب من الحياة يختلف عن الاخر، فالمرأة مكانها البيت، والرجل في اوقات فراغه المقهى، بينما يذهب الطفل الى الزقاق يلعب مع اقرانه بلا رقيب، ويرى (الوردي) قلما يوجد في المجتمع الانساني مجتمع تجزأت فيه العائلة على هذه الشاكلة، وارجعها الى عوامل عدة ابرزها حجاب المرأة، وتعالي الرجل على الجلوس معها باعتبارها ضعيفة العقل، بحيث يشعر الرجل ازائها بالكبرياء والتعالي، وان هذه القيم تعود الى اصولها الاولى البداوة، حيث المجتمع البدوي مجتمع غزو وحرب وهذه مهمة الرجال، اما مهمة المرأة فهي أقل، فاللرجال مهامهم وشأنهم، وللنساء مهامهن وشأنهن، لذا يطلق البدوي على الذي يجلس النساء باستمرار (بزير النساء) وهو لقب صعب على البدوي تقبله. اما الاطفال فانهم يجدون في الازقة مكانا رحبا للعب بديلا عن الفلاة التي توفرها البادية المفتوحة، وهم يشكلون مع اقرانهم ما يشبه العصابات، لذا فان القيم التي تسود بين الاطفال في الازقة كثيرا ما تشبه شريعة الغاب، فهي قيم تدور حول القوة وحول استعمالها في كل سبيل، فتنمو فيهم قيم التفاخر بالقوة والتباين بها وحب السيطرة وغلبة الاخرين[١]. وقد وجدنا لهذا الامر صدى في آراء الاخبارين عندما تم اثارت بعض الاسئلة عن طبيعة التنشئة الاسرية في مجتمع الدراسة خلال الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، ولاسيما فيما يتصل بسياق التباحث في الزقاق العراقي الذي كان ينحصر على عناصر القوة والضعف في الشخصية، وهو ما اشار اليه (الوردي) ايضا حينما قال ان ذلك المدار ينحصر في كلمتين (القوي والضعيف) وبعبارة عامية (السبع والمخنث) اذ ينبغي ان يكون القوي في نظر الاسرة غالبا لا مغلوبا.

---

[١] د. علي الوردي، علي: شخصية الفرد العراقي. مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥١، ص٥٠-٥٣.

المبحث الثاني

مظاهر التعاون والتغالب في مجتمع الدراسة كمجتمع محلي حضري

ترسم ملامح الثقافة الشعبية السائدة صورة متكاملة الاشكال عن مظاهر التعاون بخطوطه العريضة في الحياة الاجتماعية اليومية، فلا يزال المجتمع يحمل في جذوره ثقافة ريفية تحترم الجماعة وتضامنها، ولعل هذا النمط الثقافي افرز لنا سلوكيات اجتماعية تظهر على شكل نزعة تعصبية تقوم في اساسها على غلبة الغير ونزعة تعاونية تضامنية بين افراد الجماعة القرابية او بين افراد المجتمع المحلي بكونهم ابناء حي واحد. كما ان آثار الثقافة الريفية في مجتمع الدراسة خلال تلك المرحلة وحسب اراء الاخبارين كانت تخلق اتجاه مناطق بغداد الاخرى، ولاسيما الحضرية منها او اسواقها كثير من الريبة والشك، ويشعرون ان هؤلاء يحاولون خداعهم والتغلب عليهم مستغلين بساطتهم، واصفين اهل الاسواق واهل تلك المناطق بافتقارهم الى اللياقة الاخلاقية في التعامل معهم، مما يفرض عليهم ان يكونوا غالبين لا مغلوبين، فهم يشعرون بانهم اشد قوة واكثر متانة واكثر خشونة ورجولة، وهذا الشعور قد خلق في انفسهم نوع من التساند والاعتزاز بامتدادهم الريفي، حتى لو اتخذ ذلك مظهرا شكليا، فمن حيث الواقع لم يبق هؤلاء في محيط القبيلة الاصلية، انما انسلخوا منها جغرافيا واقتصاديا وبقيت تلك العلاقات تاخذ طابعا سياسيا وشعورا مسيطرا على تفكيرهم وعواطفهم بارتباطهم بالقبيلة الام او بالمنطقة الشعبية الام. اذ كان بعضهم قد نزح من مناطق شعبية بغدادية قديمة، الا ان ذلك الانتماء لا يعدو ان يكون شكليا ايضا يظهر حينما تبرز الحاجة لهُ وقد اشار احد الاخبارين الى ذلك بالقول حينما يتشاجر مع السكان المنحدرين من مناطق شعبية مع احد ابناء المنطقة

(لا تشوفني انا وحيد هنا بالمنطقة ترى آني ابن
الفضل).

وهو اشارة الى ذلك الانتماء الذي يبرز حينما تكون هناك حاجة الى القوة، وابعادا عن نفسه ان يكون مغلوب من قبل الغير. ويلمس المتتبع للتراث الثقافي لهذه المنطقة تأثير القيم القرابية وحاجة الفرد لها في مختلف المواقف. كما ان كثير من الاخبارين اشاروا الى التعاون في مجتمع الدراسة كسلوك يميز ابناءه، تظهر حينما تكون هناك حاجة مشتركة تتطلب تعاون جماعي، ولاسيما اذا علمنا ان هذا المجتمع يتميز بخصائص مشتركة سواء من حيث النشاط الاقتصادي، او المرجعيات الاجتماعية او الثقافية والدينية. وقد لمسنا من خلال احاديث الاخبارين بان الاسرة كانت تمثل اكثر الجماعة الاجتماعية تماسكا وتضامنا، كما كانت العلاقات القرابية بين سكان المنطقة تمثل درجة عالية من التلاحم، حتى ان كثير من هذه الاسر كانت تخضع لسلطة اعتبارية لشخص يُعترف لهُ بالزعامة عليهم، وهو في حد ذاته يمثل سلطة مصغرة عما كانت عليه الاسر في ظل الحياة الريفية التقليدية، ومع هذا برزت بعض المظاهر الفردية الي اخذت تنأى بنفسها عن سلطة شيخ العشيرة او رئيس تلك الاسر، وهو كما يذكر احد الاخبارين ظهر عند بعض الاسر التي سجلت نجاح اقتصادي في السوق، وبقيت علاقاتها القرابية تمثل لياقة اخلاقية اكثر ما تمثل تلاحما قائما على الاندماج والعصبية. وعند النظر الى طبيعة العلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة في مجتمع الدراسة، وحسب معلومات الاخبارين انها كانت تنقسم بشكل اساسي على قسمين، علاقات قائمة على اساس القرابة وعلاقات قائمة على اساس الجيرة او الانتماء الى المنطقة نفسها، وقد عزز من تلك العلاقات تشابه المستوى الاقتصادي للسكان وتلاصق المباني والمساكن، اذ نها لعبت دورا مهما في بناء تلك العلاقات حتى علاقات الجيرة من حيث القوة قد تساوت تقريبا مع العلاقات القرابية، وحسب اراء بعض الاخبارين كان الجار يعرف ما يدور في بيت جاره من مشكلات واحاديث قد تصل في بعض الاحيان الى خصوصية العائلة ذاتها، ونادرا ما كان يخفى شيء في المنطقة، وتقول احدى الاخباريات عن جارتها

(اذكر ان احدى جاراتي تخشى من الحسد كثيرا
فكانت تتستر على بعض اخبارها المفرحة او

شراء بعض حاجاتها من عيون الحاسدين، ومع
هذا فنحن نعرف من خبر بخبر)

وفي ذلك دلالة على الفضول الذي يتميز به سكان مجتمع الدراسة، اذ يُعد التدخل في الشؤون الخاصة للغير سواء بقصد او بدون قصد، سمة تميز شبكة العلاقات الاجتماعية، كما ان الخوف من الحسد من الامور التي تشغل بال الفرد سواء كان رجل او امرأة، وتعد اية انتكاسة تتعرض لها حياة الفرد يكون مرجعه حسب اعتقادهم في الغالب الى الحسد او الاصابة بالعين، فمثلا اذا اشترى احد السكان حاجة منزلية كثلاجة او تلفزيون او مجمدة يقومون بكسر بيضة عليها، وقد حدثتنا احد الاخباريات عن سبب ذلك بالقول.

(اننا نكسر بيضة تحت الثلاجة الجديدة حتى
تفقص عين الذي يحسدها، ولاتصاب بعطل).

واتضح ايضا من آراء الاخباريين ان سلوك التغالب في تلك المرحلة يظهر خلال تعاملات الانسان اليومية مع الاخرين ويتبلور في مواقف مختلفة باستعمال الفرد قوته الشخصية سواء باستعمال عضلاته على الاخرين او انه يستمد قوته من عصبية مجموعته القرابية او من خلال خداع الاخرين في عملية البيع واالشراء

الا ان ذلك لايظهر بشكل واضح في محيط العلاقات القرابية المتناسقة، والتي ترمي الى تحقيق اهداف الجماعة وتسعى دائما الى تحقيق التضامن والتعاون بين افرادهم، والعكس يكون اذا كانت العلاقات هشة ومتصدعة ومفككة فان ذلك يساعد على ظهور صور التغالب في محيط تلك الجماعة وربما في محيط الاسرة. كما ان التعاون في المجموعة القرابية المتضامنة هو ناتج عصبية تشد تلك المجموعة وبهذا يظهر غلبة احد افرادها لفرد اخر في مجموعة اخرى يُعد انتصارا وغلبه للمجموعة الاولى. وبهذا فان العلاقات القرابية في منطقة المجتمع وحسب آراء كثير من الاخباريين كانت تمثل في الماضي درجة عالية من التضامن والوحدة، وان هذه العلاقات القرابية كنسق ثقافي تؤدي وظائف يحتاجها المجتمع في تلك المرحلة وهي التعاون والاتحاد ازاء مناطق اخرى من بغداد تعد في نظر سكان هذه المنطقة متحدية لها سواء في نمط حياتها الاقتصادي او الثقافي، ولاسيما تلك المناطق التي

تتميز بحضرية ودرجة من السلوكيات التي يمكن ان توصف بالعقلانية اكثر منها بالعاطفية المتأثرة بالانتماء القرابي. وهذا الشعور الذي اجمع عليه الاخباريين يعكس حالة التجانس الواضح في مجتمع الدراسة آنذاك، اذ يشترك اؤلئك السكان بنسق ثقافي ومعايير اجتماعية وعرفية وقيم اجتماعية مشتركة. وهذه الوحدة الثقافية قد ولدت درجة عالية من التضامن الاجتماعي ازاء ما تراه يختلف عنها ثقافيا في المناطق الاخرى، ومع ذلك وحسب اراء الاخباريين ايضا ان تلك العلاقات التي تظهر في محيط تعاوني تتخللها حالات من الصراع والتنازع الفردي حول مختلف الحاجات، الا ان ذلك ينصهر مع الجماعة حينما يكون هناك حاجة لغلبة الاخرين الذين يعدون في نظرهم اقل خشونة، هو ما يصفه احد الاخباريين بمجتمع الافندية. ويمكن القول ان النظام الاسري والقرابي والسياسي والاقتصادي والديني في منطقة الدراسة كلها تعمل متناسقة ومتكاملة في اداء ادوارها ووظائفها التي يمكن ان توصف بانها على درجة من البساطة. وان هذا التناسق لايعني باي صورة من الصور انه يعبر عن التخصص او العضوية كما يظهر في المجتمع الحديث انما يبرز من خلال التداخل بين هذه الانساق، فنجد على سبيل المثال هناك تداخلا واضحا بين النسق الاجتماعي والنسق الديني او النسق الاقتصادي والنسق القرابي، وهذا يعني ان الثقافة السائدة في حي الجزائر هي ثقافة متداخلة من قيم وعادات وتقاليد واساليب ومهارات حضرية وريفية

حتى بات السلوك الاجتماعي الذي يميز شخصية الفرد وحسب آراء الاخباريين تظهر عليه الازدواجية، وهذا يتفق مع ما ذهب اليه الوردي في دراسته لطبيعة المجتمع العراقي. وهذا يشير في احد جوانبه بوضوح الى اهمية التعاون التي تظهر على درجة عظيمة في شخصية الفرد العراقي وتختفي هذه الدرجة حينما تكون المصلحة الفردية ظاهرة او تختفي حينما تكون مصلحة المجموعة القرابية تعزز نزعة التغالب اتجاه المجموعة الاخرى، حتى ولو كانت ترتبط بمجموعته القرابية بصلة القربى، وقد وجد الدكتور (شاكر مصطفى سليم) لذلك صورة حينما درس العشيرة العراقية في منطقة الاهوار ان للعصبية القبلية دوراً مهماً في ذلك فوجد ان العصبية عن طريق خط الاب اشد من العصبية عن طريق خط الام ويظهر ذلك حينما رأى

ان الفرد ينصرف الى نصرة عائلة ابيه حتى حينما تكون مجموعة الخصم عائلة امه[١]، وهذا يظهر قوة السلطة الابوية ومن ثم العصبية التي ينبغي ان تكون غالبة للاخرين. وطالما ان الثقافة العراقية السائدة سواء في الريف او المدينة ترجع في اصولها التقليدية الى القيم الجمعية، ففي المدينة حيث تعد المحلة او المنطقة الواحدة مجتمعا محليا قد يشبه تشكيلاته الاجتماعية في كثير من الاحيان تشكيلات العشيرة في الريف، فقد كان ابناء المنطقة الشعبية في مدينة بغداد وحسب آراء الاخباريين تتميز بعلاقات الوجه للوجه او بعلاقات شخصية الامر الذي يجعل من سلوك التعاون سلوكا فاعلا في تلك المناطق، وفي الوقت نفسه نجد ان ندرة الفرص، وتأثير العامل الاقتصادي في حياة ابناء المدينة قد خلق مواقف يظهر فيها التغالب مستمدة اصوله من العشيرة، اذ ينبغي ان يكون أبناؤها غالبين لا مغلوبين، وان هذا السلوك يرجع ايضا في اصله الى حالة عدم التوازن بين حاجات الانسان الحضرية المتزايدة وتراجع مستوى الكفاية اللازم لاشباعها، وهذا يتفق مع ما ذهب اليه اصحاب الفكر الاجتماعي الكلاسيكي الذين وضعوا مذهب المنفعة في حالة تقديس المصلحة الشخصية قبل ان تظهر عناصر التنظيم الاجتماعي بمؤسساته الحديثة، والتي قامت على اساس تلبية الحاجات الانسانية من خلال عملية تبادلية داخل المجتمع، وهو ما ذهب اليه انصار النظرية التبادلية في علم الاجتماع[٢]. وقد اظهر الحقائق في مجتمع الدراسة ان كثيراً من الناس اخذوا يظهرون المنفعة الفردية خلال سكنهم في المنطقة قياسا لما كان عليه الحال وهم ضمن المجموعة القرابية في الريف او في المنطقة الشعبية، وان هذه النزعة كانت تصطدم وحسب آراء الاخباريين بنظام القيم والعادات والتقاليد القائمة اصلا على تجميد الثقافة الجمعية والتي تدعو الى التعاون، فالثقافة الريفية في شكلها العام بارزة في حياة ابناء المجتمع في حي الجزائر بما فيها

---

[١] د. سليم، شاكر مصطفى: الجبايش دراسة اجتماعية لقرية في اهوار العراق، مطبعة العاني، بغداد ١٩٧٠، ص٤٥٢-٤٧٦.

[٢] د. العمر، معن خليل: تاريخ الفكر الاجتماعي، مصدر سابق، ص١.

مفردات الصراع القائمة بين المجموعات القرابية الصغيرة بسبب الحسد او الغيرة حينما يتعلق الامر بمصالحها.

وهذا يظهر اهمية شبكة العلاقات القرابية في مجتمع الدراسة والتي كانت تشكل عنصراً فاعلاً في تماسك الاسرة، فضلا عن بساطة العيش، وعدم وجود اجواء اجتماعية واقتصادية متباينة بين اسر منطقة الدراسة في الماضي، وحينما ظهرت تأثيرات المدينة الحديثة خلال مرحلة السبعينيات ولاسيما في زيادة اقتناء التكنلوجيا الحديثة سواء الخدمية كانت ام الانتاجية في المجتمع حتى ظهر نوع من التباين الاقتصادي والاجتماعي والثقافي بين افراد المجتمع العراقي.

اما عن حالة التغالب في مجتمع الدراسة فان ظهوره يتفق مع ما ذهب اليه الدكتور (علي الوردي) بارجاع التغالب الى ثقافة البداوة والتي يصف ابنائها بانهم نهابون، فهم يغزون غيرهم من القبائل ويسلبونهم اموالهم وحلالهم، وعندما يحل الضيف عليهم يبالغون في كرمه وضيافته[١]. فالشجاعة والغزو في نظر البدو تعبر عن الفروسية والاقدام، واكرام الضيف يمثل بالنسبة لهم رمزا ثقافيا له دلالات قيمية عالية، وقد يكون مرد ذلك الى طبيعة الخصائص الاقتصادية للبدو التي تقوم في الاصل عن البحث عن الطعام لفائدة القبيلة وليس من اجل الفائدة المادية كالبيع والشراء لذا فان وظيفة الرموز في الثقافة البدوية تختلف عن الوظيفة التي تؤديها النقود المتداولة في ايادي الناس، فتلك الرموز عن البدو لا تفقد خاصيتها المادية ولا يمكن ان تكون رمزا مجردا لقيمة الاشياء[٢].

---

[١] د. الوردي، علي: طبيعة المجتمع العراقي، مصدر سابق، ص٨٣.

[٢] د. الجميل، مكي: البداوة والبدو في البلاد العربية، مركز تنمية المجتمع في العالم العربي، مطبعة النصر بشبرا، مصر، ١٩٦٢، ص١٤.

خاتمة الفصل

تضمن هذا الفصل اعطاء صورة تفصيلية عن ما هو كان سائدا في مجتمع الدراسة خلال المدة ١٩٥٨-١٩٨٠، فيما يتعلق بالتعاون والتغالب استنادا الى آراء يعض الاخبارين الذين عاشوا تلك المرحلة، وقد اعطى الفصل تصورا شاملا عن مظاهر التعاون والتغالب في الاسرة في مجتمع الدراسة، كذلك حالة التعاون والتغالب في مجتمع الدراسة كمجتمع محلي حضري، وان مثل هذه المحاولة تبدو على درجة كبيرة من الاهمية، للتعرف على التحول والتغير الذي حصل في المجتمع العراقي عامة ومجتمع الدراسة خاصة، وتأتي معرفة ذلك من خلال مقابلة ما جاء في هذا الفصل مع ما سوف يأتي في الفصل السادس من حقائق ستكتشفها الدراسة الميدانية في الوقت الحاضر وبظروفها الانية.

الفصل السادس
تحليل بيانات الدراسة الميدانية

التمهيد

بعد الانتهاء من جمع بيانات الدراسة الميدانية عن طريق استمارة البحث او عن طريق الملاحظة بالمشاركة، ثم تفريغ بيانات الاستمارة على صحيفة الترميز، ثم نقلها الى ارقام ووضعها في جداول احصائية بسيطة، بهدف تحليلها وتفسيرها والتوصل الى نتائج علمية وموضوعية، وقد تضمن هذا الفصل مبحثين اساسيين، تناول المبحث الاول تحليل البيانات الشخصية كالنوع والحالة التعليمية والدخل الشهري والحالة الاجتماعية والحالة السكنية للافراد وغيرها، اما المبحث الثاني فاختص بتحليل بيانات الدراسة وفق محورين اساسيين، يقع في كل محور مقسم على ثلاثة فروع، فكان المحور الاول يدور حول البيانات الخاصة بالتعاون في مجتمع الدراسة مقسم على ثلاث فروع تناول الاول التعاون في محيط الاسرة، والثاني التعاون في محيط الجماعة، والثالث التعاون في المجتمع المحلي، اما المحور الثاني فتطرق الى البيانات الخاصة بالتغالب مقسم الى ثلاث فروع ايضا، الاول تناول التغالب في محيط الاسرة، والثاني التغالب على مستوى الجماعة والثالث التغالب في المجتمع المحلي المدروس.

المبحث الأول

تحليل البيانات الشخصية

تمثل البيانات الشخصية اهمية علمية نظرا لما تفضي اليه من تصور عن الخصائص المميزة للمبحوثين من حيث النوع والسن والمستوى التعليمي والاقتصادي والحالة السكنية والحالة الاجتماعية، وفيما يأتي تحليلا لهذه المميزات للافادة منها في فهم علاقتها بالبيانات المتصلة بموضوع الدراسة.

جدول (١)

يبين توزيع المبحوثين حسب النوع

البيان	العدد	%
ذكر	٦٠	%٦٠
انثى	٤٠	%٤٠
المجموع	١٠٠	%١٠٠

يتضح من الجدول (١) ان افراد العينة يتوزعون حسب النوع، اذ بلغ عدد الذكور (٦٠) وبنسبة ٦٠% اما عدد الاناث فبلغ (٤٠) وبنسبة (٤٠%). وقد تم الاخذ بنظر الاعتبار الظروف الاقتصادية والثقافية السائدة عند اختيار عينة الدراسة في التوزيع النسبي للذكور والاناث في مجتمع الدراسة، اذ يكون الرجال على تماس مستمر مع الحياة الاجتماعية اليومية وعلاقتهم المتنوعة. وانزواء كثير من النساء في مجتمع الدراسة في بيوتهن، مما يجعل تصوراتهن عن الظاهرة المدروسة تدور في فلك الحياة البيتية في معظم الاحيان.

جدول (٢)

يوضح اعمار المبحوثين

الفئة العمرية	العدد	%
٢٠ – ٣٠	٢١	%٢١
٣١ – ٤٠	٢٣	%٢٣
٤١ – ٥٠	٢٨	%٢٨
٥١ – ٦٠	١٢	%١٢
٦١ – ٧٠	١١	%١١
٧١ – ٨٠	٥	%٥
المجموع	١٠٠	%١٠٠

يتبين ان جدول (٢) ان اكثر المبحوثين تتوزع اعمارهم في الفئة العمرية (٤١–٥٠) اذ بلغ عددهم (٢٨) وبنسبة (٢٨%) ثم تليها الفئة العمرية (٣١–٤٠) اذ بلغ عددهم (٢٣) وبنسبة (٢٣%) في حين بلغ اقل عدد في الفئة العمرية (٧١ – فاكثر) اذ بلغ (٥) وبنسبة (٥%) تلتها الفئة العمرية (٦١–٧٠) اذ بلغ عددها (١١) وبنسبة (١١%) وبهذا يمكن وصف مجتمع الدراسة بانه مجتمع فتي، اذ ان اغلب المبحوثين فيه هم في سن الانتاج والعمل، كما انه يعكس ايضا ارتفاع نسبة الشباب وتراجع نسبة الشيخوخة لاسباب تتصل بالاوضاع الاجتماعية والصحية والاقتصادية وما يتصل كل ذلك بمتوسط عمر الانسان في المجتمع العراقي، وقد لا حظنا خلال العمل الميداني. ان معاناة الشيوخ والعجائز لاتقل عن معاناة الشباب جراء الظروف الصعبة التي يمر بها المجتمع العراقي خلال المرحلة الثانية بما فيها مرحلة الحصار وما يتصل بها من اوضاع اجتماعية واقتصادية صعبة في المرحلة الراهنة. اما متوسط اعمار المبحوثين فكان ٤٣ سنة.

جدول (٣)

يوضح المستوى التعليمي للمبحوثين

المستوى التعليمي	العدد	%
امي	٧	%٧
يقرأ ويكتب	٢١	%٢١
ابتدائية	٢٣	%٢٣
متوسطة	١٧	%١٧
اعدادية	١٦	%١٦
جامعية	١٥	%١٥
عليا	١	%١
المجموع	١٠٠	%١٠٠

يتضح من الجدول (٣) انخفاض المستوى التعليمي لافراد العينة اذ بلغ عدد الذين يحملون الشهادة الابتدائية اعلى النسب وهو (٢٣) وبنسبة (٢٣%) تلاها عدد الذين يقرأون ويكتبون اذ بلغ (٢١) وبنسبة (٢١%) في حين بلغ عدد الذين يحملون شهادة عليا (١) وبنسبة (١%) ثم الجامعية وبلغ عدد حامليها (١٥) وبنسبة (١٥%) وهذا يشير بوضوح الى تدني وتراجع الحالة التعليمية في مجتمع الدراسة خلال المرحلة الراهنة بسبب تردي الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية الناتجة عن الحروب العديدة والحصار الاقتصادي والظروف المستجدة الصعبة التي يمر بها المجتمع العراقي اليوم.

جدول (٤)

يوضح الحالة الاجتماعية لافراد العينة

الحالة الاجتماعية	العدد	%
اعزب	٣٣	%٣٣
متزوج	٣٤	%٣٤
منفصل	٤	%٤
مطلق	٦	%٦
ارمل	٢٣	%٢٣
المجموع	١٠٠	%١٠٠

يتبين من الجدول (٤) ان اعلى نسبة كانت من حصة المتزوجين اذ بلغ عددهم (٣٤) وبنسبة (٣٤%)، ثم تلتها نسبة العزاب اذ بلغ عددهم (٣٣) وبنسبة (٣٣%)، اما اقل نسبة تمثلها الحالة الاجتماعية فكانت عند الذين اشروا بالانفصال اذ بلغ عددهم (٤) وبنسبة (٤%) تلتها المطلقات اذ بلغ عددهم (٦) وبنسبة (٦%)، وفي ذلك اشارة واضحة الى ان كثير من الشباب لا يزال خارج الحياة الزوجية، كما اتضح من الدراسة الميدانية ان اغلب المتزوجين يعانون من مشكلات اقتصادية ونفسية واجتماعية. كما ان احصائية الجدول اعلاها تشير بوضوح الى ارتفاع نسبة الارامل اذ بلغ عددهن (٢٣) وبنسبة (٢٣%) وهي نسبة كبيرة تضيف الى مشكلات الانسان في هذا المجتمع معاناة اكثر تعقيدا، ولاسيما اذا علمنا ومن خلال وقائع الدراسة الميدانية ان هؤلاء يتحملون اعباء المعيشة وتربية الاطفال اليتامى تحت ظروف في غاية الصعوبة، وعند الوقوف على مشكلات هؤلاء وعلاقتهم باقربائهم وجدنا ان كثير منهن قد فقد امل التعاون والتساند من قبل المقربين لهم بسبب انشغال كل ابناء المجتمع بصراعهم المستمر مع الحياة ومتطلباتها اليومية، الا ان ذلك لا يعني غياب المساعدات من قبل الاخرين، ولاسيما الاقرباء منهم، الا انها لا تصل الى المستوى المطلوب.

جدول (٥)

يوضح مهن المبحوثين

المهنة	العدد	%
عامل اهلي	٢٥	%٢٥
موظف	٣٢	%٣٢
اعمال حرة	١٥	%١٥
ربة بيت	١٨	%١٨
بلا عمل	١٠	%١٠
المجموع	١٠٠	%١٠٠

يتضح من الجدول (٥) ان توزيع المهن في مجتمع الدراسة يرتفع عند مهنة الموظف، اذ بلغ عددهم (٣٢) وبنسبة (٣٢%)، تليها مهنة العامل الاهلي اذ بلغ عددهم (٢٥) وبنسبة (٢٥%)، اما اقل عدد من افراد العينة يظهر في فئة العاطلين (بلا عمل) اذ بلغ عددهم (١٠) وبنسبة (١٠%) في حين تلتها (اعمال حرة) اذ بلغ عددهم (١٥) وبنسبة (١٥%) وبهذا يمكن وصف توزيع المهن في مجتمع الدراسة استنادا الى هذه الاحصائيات والملاحظات الميدانية ان هناك ارباك واضح في ذلك التوزيع، نظرا لانتقال كثير من الافراد بين هذه المهن المتباينة بسبب غياب التخصص من جهة ولصعوبة الحياة من جهة اخرى، فضلا عن تذبذب فرص العمل وعدم ثباتها على مهنة واحدة، ومثالا على ذلك هو توقف السوق بالنسبة لاصحاب الاعمال الحرة للظروف الامنية الصعبة والاقتصادية المتذبذبة مما يضطرهم للانخراط في مهن اخرى وكذا الحال بالنسبة للعمال الاهليين الذين يعانون من انقطاع مستمر في العمل للظروف ذاتها. اما ربات البيوت فبعضهن وكما لاحظنا في الدراسة الميدانية انهن يخرجن في بعض الاحيان للبحث عن فرص عمل ملائمة لقدراتهن وهي حالة قد تكون مؤقتة وهذا ما جاء على لسان احدى الاخباريات حول ذلك لسد بعض الحاجات الاسرية التي لا يستطيع الرجل تلبيتها للظروف الانفة الذكر، وهذا يؤشر على تعاون المرأة مع الرجل في مثل هذه الظروف، وبشكل عام

يمكن القول ان توزيع المهن بهذا الشكل يعكس طبيعة الحياة الاجتماعية في مجتمع بسيط التركيب.

جدول رقم (٦)

يوضح الدخل الشهري لافراد العينة

الدخل الشهري (بالاف الدنانير)	العدد	%
٥٠ – ١٤٩	١٩	%١٩
١٥٠ – ٢٤٩	٢٣	%٢٣
٢٥٠ – ٣٤٩	١٥	%١٥
٣٥٠ – ٤٤٩	١٧	%١٧
٤٥٠ – ٥٤٩	٨	%٨
٥٥٠ – ٦٤٩	١١	%١١
٦٥٠ – ٧٥٠	٧	%٧
المجموع	١٠٠	%١٠٠

تبين من الجدول (٦) ان افراد العينة يعانون من تدني المستوى المعيشي، ويشعرون بالتهميش والفقر لظروف صعبة يمر بها البلد. الا ان الملاحظ في الدراسة الميدانية ان هناك تفاوتاً في هذا المستوى لعوامل كثيرة منها افادة البعض من استغلال بعض الفرص الاقتصادية كالمقاولات وبعض المشاريع الصغيرة، وفرص التجارة وغيرها، الا ان غالبية السكان يعانون من وطئة الظروف الاقتصادية، وقد بلغ ادنى دخل للافراد ضمن فئة (١٥٠–٢٤٩) الف دينار، اذ بلغ عددها (٢٣) وبنسبة (٢٣%)، تلتها الفئة (٥٠–١٤٩) الف دينار، اذ بلغ عددها (١٩) وبنسبة (١٩%)، في حين بلغ دخل شهري للافراد ضمن الفئة (٦٥٠– فاكثر) اذ بلغ عددها (٧) وبنسبة (٧%) تلتها الفئة (٤٥٠–٥٤٩) الف دينار، اذ بلغت (٨) وبنسبة (٨%). اما متوسط الدخل الشهري لافراد العينة كان ٢٧٥ الف دينار عراقي.

جدول رقم (٧)

يوضح الحالة السكنية لافراد العينة

الحالة السكنية	العدد	%
ملك	٦٩	%٦٩
ايجار	٢٦	%٢٦
مشاع	٥	%٥
المجوع	١٠٠	%١٠٠

يتضح من الجدول (٧) ان الحالة السكنية لإفراد العينة تبلغ اعلى نسبة لها في (الملك) اذ بلغ عددهم (٦٩) وبنسبة (٦٩%)، ثم تلتها حالتهم السكنية (ايجار) اذ بلغ عددهم (٢٦) وبنسبة (٢٦%)، ثم تلتها الذين يسكنون مشاع اذ بلغ عددهم (٥) وبنسبة (٥%)، والمقصود في الأخيرة ان هؤلاء يسكنون في اراضي لم يتم فرزها من قبل البلدية لتدخل ضمن استعمالات الأرض السكنية، وقد لاحظنا خلال العمل الميداني ان كثير من الاسر قد شيدت لنفسها بعض المساكن البسيطة التي تفتقد الى الشروط الصحية اللازمة للعيش، ويطلق الناس على مثل هذه التجاوزات (بالحواسم)، وهم اما ان يكونون من سكان المنطقة الذين كانوا يسكنون مع اهلهم في بيوت ضيقة مزدحمة او انهم اقرباء لبعض السكان الاصليين جاءوا الى المنطقة وافرزوا لانفسهم مساكن على هذا الطراز.

المبحث الثاني

تحليل البيانات الخاصة بالدراسة

١- البيانات الخاصة بالتعاون

ينبغي عند تحليل البيانات الخاصة بالتعاون الاشارة الى ان معظم الفلاسفة والمفكرين سواء القدامى ام المحدثين، اكدوا على اهمية التعاون في حياة الانسان كونه ضرورة حتمية لكي تتكامل وتتناسق وظائف البناء الاجتماعي، وعليه فان مفهوم التعاون واسع يبدأ من مساعدة الناس بعضهم البعض في محيط الاسرة وفي المجتمع المحلي، الى التعاون بين نظم وانساق المجتمع على نطاق واسع، حتى يصل في بعده الواسع الى التعاون بين المجتمع البشري في شتى المجالات والاهتمامات، وماهية التعاون في هذه الدراسة تؤشر على المسائل الحياتية السائدة في مجتمع الدراسة كونه مجتمعاً بسيطاً تظهر فيه العلاقات القرابية اكثر بروزا، ثم تظهر علاقات الجيرة، وعلاقات الجماعات الاجتماعية، كعلاقات الصداقة او جماعة اللعب او جماعات العمل وغيرها، لذا فان عمليه تحليل البيانات الخاصة بالتعاون في منطقة الدراسة تبدأ من محيط الاسرة، كونه التنظيم الاجتماعي الاول الذي يظهر فيه التعاون واضحا، ثم ننتقل الى تحليل البيانات الخاصة بالتعاون على مستوى الجماعات، ومن ثم الانتقال الى تحليل البيانات الخاصة بالتعاون في المجتمع المحلي المدروس ككل.

أ- التعاون في محيط الاسرة

توصف الاسرة بانها اللبنة الاولى في البناء الاجتماعي، وعليها تقع مسؤوليات اساسية تتجسد من خلال وظائفها المتنوعة التي تؤديها في المجتمع، ابتداءا من الحفاظ على الجنس البشري الى التنشئة الاجتماعية الى الجوانب التربوية والاقتصادية وغيرها (فالشكل الاسري كجماعة اجتماعية تعتمد الوحدة المركزية وقاعدة العضوية على روابط القرابة)[١]. وتظهر في مجتمع الدراسة الاسرة الممتدة

---

[١] د. غيث، محمد عاطف: علم الاجتماع، مصدر سابق، ص٢٣١.

الى جانب الاسرة الصغيرة، الا ان هذه الاسر تميزت بعلاقات قرابية تختلف في شدتها من اسرة الى اخرى، كما ان صيغ التعاون هي الاخرى تختلف من اسرة الى اخرى ايضا، وقد لا حظنا خلال العمل الميداني ان بعض الاسر يظهر فيها التعاون بدرجة عالية في حين وجدنا بعضها الاخر يفتقر الى صيغ تعاونية بالدرجة التي ينبغي ان يكون فيها التعاون في المجتمعات البسيطة، كون المجتمع المدروس مجتمعا بسيطا، ويعود سبب ذلك الى الظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة التي مر ويمر بها المجتمع العراقي، ويفهم من ذلك ان التعاون كقيمة ثقافية تتميز بها الجماعات البسيطة كعنوان واضح لطبيعة علاقتها المحلية، الا انها هي الاخرى تتأثر بجملة من العوامل المحيطة التي عطلت او اربكت حالة التعاون في ظروف المجتمع الصعبة، الا ان هذا الغياب لا يعني اختفاء حالات التعاون تماما، انما يظهر لنا واضحا في الازمات والمناسبات المختلفة، وهو لا يصل الى مستوى التعاون في المجتمعات البسيطة المستقرة. وقد اتضح من اجابات المبحوثين حول معنى التعاون لديهم انه ينحصر في مساعدة الغير والتعاون بين افراد المجموعة القرابية في السراء والضراء والوقوف الى جانب المحتاجين، وفي حماية المجتمع وقت الازمات، وقد اكدوا في سياق اجاباتهم ومن خلال امثلة ساقوها من واقعهم ابان الحرب وغياب الدولة بعد عام ٢٠٠٣م اذ انتظم السكان في مجموعات شبابية موزعة على ازقة المنطقة من اجل توفير الحماية لسكانها محض ارادتهم ورغبتهم الاكيدة في تقديم شيء مع الاخرين لمجتمعهم المحلي.

جدول مرتبي رقم (٨) يوضح التعاون في محيط اسر المبحوثين

ت	البيان	العدد	%
١	مساعدة الوالدين	٥٧	%٥٧
٢	التعاون في ميزانية الاسرة	٥١	%٥١
٣	المشاركة في المناسبات المختلفة	٨١	%٨١
٤	التعاون على حماية الاسرة	٨٥	%٨٥
٥	الحفاظ على تنظيم كيان الاسرة ووحدتها	٦٨	%٦٨

اما عن صور التعاون في محيط الاسرة في منطقة الدراسة اتضح من بيانات الجدول المرتبي (٨) ان التعاون عل حماية الاسرة عندما تتعرض الى خطر، بلغ اعلى المؤشرات، اذ بلغ نسبة من يقرون بذلك (٨٥%) ثم تلاها عدد الذين يرون التعاون في محيط الاسرة يظهر من خلال المشاركة في المناسبات بنسبة (٨١%) وبلغت نسبة الذين يرون التعاون يظهر في الحفاظ على تنظيم كيان الاسرة بـ (٦٨%) ثم جاءت نسبة الذين يرون ان التعاون يظهر في مساعدة الوالدين ورعايتهم بنسبة (٥٧%) اما الذين يرونه يظهر في المشاركة في ميزانية الاسرة بلغت (٥١%). وقد لاحظنا خلال العمل الميداني ان معظم الاسر تنظر الى اهمية التعاون في ذلك كله، الا ان ضيق العيش وحالات الفقر والبطالة وثقافة الجيل الجديد المتجه نحو الفردية كلها عوامل ضاغطة على تغير اشكال التعاون وصوره.

جدول رقم (٩) يوضح اجابة المبحوثين عن السؤال

س/ هل تلمس ان هناك تغيرات قد حصلت على صور التعاون في اسرتك؟

البيان	العدد	%
نعم	١٥	%١٥
لا	٤٧	%٤٧
الى حد ما	٣٨	%٣٨
المجموع	١٠٠	%١٠٠

يتضح من جدول (٩) ان اغلب المبحوثين لا يرون ان هناك تغيرات جوهرية قد حصلت في اشكال التعاون وصوره عما كان سائدا في الماضي، اذ بلغ نسبة الذين يرون ذلك (٤٧%) في حين بلغت نسبة من يرى ان هناك تغيرات قد حصلت الى حد ما (٣٨%) اما نسبة الذين لا يرون ان ثمة تغيرات قد حصلت في هذا المجال فبلغت (١٥%) وهذا يؤشر الى اهمية العلاقات الاسرية في المجتمع العراقي بشكل عام ومجتمع الدراسة بشكل خاص، فلا تزال العلاقات الاسرية تحظى باهتمام افراد الاسرة والمجموعة القرابية، وتمثل بالنسبة لهم المرجعية الاجتماعية الاهم، ورغم صعوبة الظروف وما تركته من اثار في تفكيك العلاقات الاسرية في المجتمع

العراقي الا ان ذلك لم يقلل من اهميتها، ولاسيما في المناطق الفقيرة والمهمشة التي لا تزال تنظر الى تلك العلاقات بنظرة تقدير واحترام كبيرين.

جدول رقم (١٠) يوضح اجابات المبحوثين عن السؤال

س/ هل هناك شعور بين افراد اسرتك بان التعاون لا يزال الطريق الافضل نحو تحقيق طموحات الاسرة؟

البيان	العدد	%
نعم	٦١	%٦١
لا	٧	%٧
الى حد ما	٣٢	&٣٢
المجموع	١٠٠	%١٠٠

يتضح من الجدول (١٠) ان اغلب افراد العينة يرون ان التعاون هو الطريق الافضل نحو تحقيق طموحات الاسرة، مقللين من اهمية الاتجاه الفردي في ذلك، ومؤكدين ان التعاون هو الطريق الافضل نحو تحقيق طموحات الاسرة، اذ بلغت نسبة ما يرون ذلك (٦١%) في حين بلغت نسبة الذين يؤيدون ذلك الى حد ما (٣٢%)، وقد لاحظنا خلال العمل الميداني ان هناك قلق عن تذبذب حالة التعاون الفعلية بين افراد الاسرة، اذ اكد كثير من المبحوثين ان التعاون لم يعد بالشكل الذي كان عليه في الماضي، اذ اخذ هذا التعاون يرتبط بمصالح شخصية او فردية لبعض افراد الاسرة. فاذا برزت مثل هذه المصالح في لحظة ما فأن هؤلاء الافراد يفضلون هذا التعاون ويسعون اليه والعكس يكون صحيحا، اماعدد الذين لا يرون في تعاون الاسر طريقا نحو تحقيق اهدافها بل ان الطريق الاحسن في نظرهم هو سعي افرادها الى تحقيق طموحاتهم الفردية بالاعتماد على جهودهم الخاصة. وفي ذلك اشارة واضحة الى ان هؤلاء يرفضون ان يعملوا لصالح الاخرين حتى وان كانوا افراد من اسرهم وقد بلغت نسبة هؤلاء (٧%) وهي نسبة ضئيلة اذا ما قورنت بالنسبتين الاخيريتين، وفي هذا دلالة واضحة على ان هناك تغيرات معينة قد حصلت او انها لاحت في الافق في مجتمع الدراسة.

جدول رقم (١١)

يوضح اجابات المبحوثين عن السؤال

س/ هل ترى ان الظروف المعيشية الصعبة التي تمر بها الاسرة في مجتمعك اليوم قد اضعفت من حالة التعاون؟

البيان	العدد	%
نعم	٣٩	%٣٩
لا	٢١	%٢١
الى حد ما	٤٠	%٤٠
المجموع	١٠٠	%١٠٠

يتضح من جدول (١١) ان الظروف الصعبة التي يمر بها المجتمع العراقي عامة ومجتمع الدراسة خاصة قد اثرت بشكل اساسي في ضعف التعاون بين افراد الاسرة، ورغم هذا وجدنا خلال العمل الميداني ان هناك صور للتعاون لا تزال موجودة في ظل الظروف الصعبة بل ان هذه الظروف كانت في لحظة ما دافعا للتعاون، الا ان ذلك لم يصل الى المستوى المطلوب من حيث الاستمرارية وان الاستمرارية هذه في مجتمع الدراسة في حد ذاتها لا تزال حالات فردية تظهر هنا وهناك، وفي هذا الصدد يبرز تأثير العامل الاقتصادي في ذلك. اذ بلغت نسبة الذين يرون ان الظروف الصعبة قد اضعفت من التعاون الى حد ما (٤٠%)، في حين بلغت نسبة الذين يؤكدون على تأثيرها فعليا بـ (٣٩%). اما نسبة الذين يعارضون هذا الرأي (٢١%).

وفي ذلك دلالة واضحة الى ان افراد الاسرة العراقية عامة لا يزالون يرغبون في قرارة انفسهم بالتعاون والتساند في محيط الاسرة، الا ان ضغط الظروف المعيشية الصعبة وتدني مستوى الخدمات وتراجع الجانب التربوي وعدم سيطرة الوالدين على ابنائهم كلها عوامل تؤثر على ذلك. ولا يغيب عن بالنا بان ذلك كله ناتج الحروب والحصار الاقتصادي الذي مر به المجتمع العراقي فضلا عن تأثير الظروف الصعبة والقلقة التي يمر بها المجتمع اليوم.

جدول رقم (١٢)

يوضح مدى تاثير وسائل الاتصال الحديثة مثل البث الفضائي والموبايل في اضعاف حالة التعاون في محيط اسرتك.

البيان	العدد	%
نعم	٢٧	%٢٧
لا	١٣	%١٣
الى حد ما	٦٠	%٦٠
المجموع	١٠٠	%١٠٠

يتبين من جدول (١٢) ان تاثير وسائل الاعلام المختلفة ولاسيما البث الفضائي قد ادت الى اضعاف التعاون لما ينطوي عليه من دعوات صريحة نحو الفردية، فبعد ان كانت ربات البيوت او الرجال يقضون كثير من اوقاتهم مع بعضهم البعض اصبح من الامور المتعارف عليها انزواء المرأة في بيتها امام شاشات التلفاز، وكذلك ما يؤديه اقتناء الموبايل من قضاء الحاجات عن بعد سواء ذلك للرجال ام النساء. وبهذا يرى (٦٠%) من افراد العينة ان ذلك اثر في اضعاف التعاون الى حد ما، في حين اكد (٢٧%) على اضعاف التعاون، بينما رفض ذلك (١٣%). ولاريب ان وسائل الاتصال الحديثة ومنها التلفاز قد اثرت في حياة الاسرة بشكل ملفت لنظر. فقد اثبتت معظم الدراسات والبحوث حول تأثير التلفاز في الاسرة والمجتمع انه يعادل ثلاث اضعاف تاثير المذياع، ويشير احد المشرفين على التلفاز البريطاني ان قوة تاثير التلفاز الذي اصبح المعلم العظيم للمجتمع بما يقوم به الان اكثر عمقا وابعد اثرا مما كانت تقوم به الصحافة في مستهل القرن العشرين في المناطق الريفية البريطانية التي لم تحظى باي قدر من التقدم العلمي والتي لم يهتم بالتعمق بالميدان كما هو الحال في لندن والمدن الكبيرة. نشر التلفاز الوعي الثقافي والتربوي بدرجة كبيرة فاتسقت ثقافة الملايين في انكلترا عن امراض الصحة العقلية والازياء والشؤون المنزلية والاقتصادية[١]. حتى ذهب بعض الدارسين الى توقع ان

---

[١] ابو جادو، صالح محمد علي: سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٨، ص٢٥٦.

يفرض عصر الفضائيات خلال السنوات القادمة اساليب سلوكية جديدة، وقيم تستمد من مقتضيات التقنية الحديثة فهي تهدف الى استلاب الشباب الحياة، والحط من مستوى الرضى عن النفس، وان استمرار هذا التاثير في غرس القيم الوافدة يترتب عليه تعرض القيم الاجتماعية المحلية الى الضعف وتوسيع الفجوة بين الاجيال واضعاف الانتماء الوطني، والاحساس بالتراث الثقافي والاجتماعي، فضلا عن فقد المعيار والاحساس بالاغتراب والهروب من الواقع[١]. وعلى الرغم من الفوائد الكبيرة للبث الفضائي الا ان له تأثيرات سلبية على الاسرة التقليدية، وهو ما اخذ يشعر به كثير من افراد المجتمع المدروس، وقد زاد من تلك السلبيات ضعف الرقابة الاسرية على الاطفال والمراهقين، فالاسرة تعيش اليوم صراعا ثقافيا بين نمطين، نمط تقليدي ونمط يتأثر بوسائل الاعلام ولاسيما البرامج الفضائية منها، اخذت تسرح وتمرح دون رقابة حقيقية وتربوية مما جعل النشئ الجديد يواجه هذا التناقض الثقافي في كل لحظة.

جدول رقم (١٣)

يوضح مدى تأثير انشغال افراد الاسرة في شؤون الحياة وسعيهم الى تحقيق اهدافهم الخاصة في اضعاف حالة التعاون

البيان	العدد	%
نعم	٤١	%٤١
لا	٢٥	%٢٥
الى حد ما	٣٤	٣٤
المجموع	١٠٠	%١٠٠

يتضح من الجدول (١٣) انه هناك تأثيرا واضحا جراء انشغال افراد العينة بالعمل المستمر لتلبية حاجات اسرهم المتزايدة في اضعاف حالة التعاون الى درجة كبيرة. اذ بلغ نسبة الذين يرون ذلك (٤١%)، في حين بلغت نسبة الذين يرون ذلك الى حد ما (٣٤%)، اما نسبة الذين لا يرون في ذلك اثرا (٢٥%). وهذا يشير الى

---

[١] د. البكري، اياد شاكر: مخاطر القنوات الفضائية الاجنبية الوافدة على الوطن العربي، مجلة بحوث اعلامية تصدر ، العدد ٤٨٠. بنغازي ليبيا، ١٩٩٧، ص٦.

تفاقم مشكلات الاسرة وازدياد الحاجة الى بذل المزيد من الجهود حتى يمكن تلبية حاجاتهم المتصارعة، فضلا عن تنامي الوعي الثقافي والاجتماعي لدى كثير من الافراد قد جعل هؤلاء يسعون بدافعية كبيرة في سبيل ذلك مما اضطر البعض منهم الى السفر خارج البلاد من اجل ذلك. كما اتضح من العمل الميداني ان كل ذلك قد اثر بشكل او بآخر على حالة التعاون في محيط الاسرة حتى ان بعض الاراء رأت ان التعاون اضحى سلوكا شكليا اكثر منه سلوكا حقيقيا يعبر عن ثقافة تقليدية متوارثة ويعني ذلك ان هناك نوع من التفكك في منظومة القيم تحت تاثير الظروف المشار اليها.جدول مرتبي رقم (١٤)

يوضح الحالات التي تكون فيها صور التعاون اكثر وضوحا.

البيان	العدد	%
١- في حالة تعرض اسرتك للخطر	٩٠	%٩٠
٢- مساعدة افراد الاسرة	٧٥	%٧٥
٣- في المناسبات المختلفة	٦٥	%٦٥

يتضح من الجدول المرتبي (١٤) ان التعاون يظهر جليا في محيط الاسرة في حالات اكثرها تأثيرا حسب آراء افراد العينة منها تعرض الاسرة للخطر، وقد بلغت نسبة هؤلاء المرتبة الاولى (٩٠%)، ثم تليها نسبة مساعدة افراد الاسرة بنسبة (٧٥%)، ثم ظهور التعاون في المناسبات المختلفة بنسبة (٦٥%). وهذا يشير الى ان هناك تضامناً كاملاً في نفوس افراد الاسرة وهذا يتفق مع ما ذهب اليه (ابن خلدون) ان الخطر الخارجي يولد تضامنا داخليا.

ب- التعاون على مستوى الجماعات

جدول رقم (١٥)

يوضح اجابات المبحوثين عن السؤال

س/ هل تجد ان هناك تعاون تلقائي بين جماعة الاصدقاء او جماعة العمل وغيرها؟

البيان	العدد	%
نعم	٥٥	%٥٥
لا	١١	%١١
الى حد ما	٣٤	%٣٤
المجموع	١٠٠	%١٠٠

يتضح من الجدول (١٥) ان التعاون التلقائي بين جماعة الاصدقاء او جماعة العمل وغيرها قد سجل نسبة عالية بين افراد العينة، حيث بلغت نسبة المؤيدين لذلك (٥٥%)، في حين بلغت نسبة المؤيدين له الى حد ما (٣٤%) بينما بلغت نسبة الذين لا يرون ان هناك تعاوناً تلقائياً ما بين جماعة الاصدقاء او جماعة العمل (١١%). وقد لاحظنا من خلال دراستنا الميدانية، ان هناك حالة تعاون ملموسة فيما بين افراد الزقاق الواحد، تظهر في المناسبات المختلفة

جدول رقم (١٦)

يوضح اجابة المبحوثين عن السؤال

س/ هل ترى ان التعاون بين الجماعة التي تنتمي اليها قد ضعف عما كان عليه في الماضي؟

البيان	العدد	%
نعم	٦٢	%٦٢
لا	١٠	%١٠
الى حد ما	٢٨	%٢٨
المجموع	١٠٠	%١٠٠

يتضح من الجدول (١٦) ان افراد العينة التي ترى ان التعاون بين الجماعة التي تنتمي اليها قد ضعف عما كان عليه في الماضي قد بلغت نسبتهم (٦٢%) في

حين بلغت نسبة الذين يرون ذلك الى حد ما (٢٨%) بينما بلغت نسبة الذي لايرون ذلك (١٠%).

جدول رقم (١٧)

يوضح مدى تاثير الظروف الطارئة في مجتمع الدراسة اليوم بعد غياب القانون على اضعاف التعاون

البيان	العدد	%
اضعف من التعاون	٣٧	%٣٧
ادت الى تأزر الجماعة	٦٣	%٦٣
المجموع	١٠٠	%١٠٠

يتبين من جدول (١٧) مدى تاثير الظروف الطارئة في مجتمع الدراسة بعد غياب القانون التعاون، فقد كانت نسبة الذين يرون (٦٣%) بينما بلغت نسبة الذين لمسوا تاثير ذلك في ضعف التعاون (٣٧%) ونستنتج من ذلك ان الافراد لجئوا الى جماعتهم القرابية بهدف حماية ممتلكاتهم وانفسهم بعد سقوط النظام وغياب القانون والسلطة، اذ بات رجوع الناس الى مرجعياتهم الاجتماعية كالعشيرة امرا ضروريا تحت تلك الظروف، كما ان عملية التواصل بين ابناء مجتمع الدراسة كانت على اشدها في اقامة الحراسات اللازمة، وفي التعاون المستمر لتلبية بعض الحاجات الاساسية للمنطقة والذي يمكن استنتاجه ايضا ان الاسرة في مجتمع الدراسة اظهرت تمسكا باصولها الريفية او الشعبية، فغالبا ما لجأت بعض تلك الاسر اثناء فترة الحرب الى الريف وممن بقي منهم في المنطقة كان على درجة عالية من التماسك والتضامن. اما من يرى ان تلك الظروف قد اضعفت من حالات التعاون معللين ذلك من خلال ملاحظاتهم عن ابتعاد بعض الافراد عن المساهمة في التعاون مع جيرانهم او اصدقائهم ولاسيما بعد انتهاء فترة الحرب وانزواء هؤلاء على مصالحهم الخاصة.

جدول رقم (١٨)

يبين مدى رضا الجماعة عن مستوى التعاون بين افرادها تحت الظروف الطارئة التي يمر بها مجتمع الدراسة اليوم

البيان	العدد	%
نعم	٥١	%٥١
لا	٢٧	%٢٧
الى حد ما	٢٢	%٢٢
المجموع	١٠٠	%١٠٠

يتضح من الجدول (١٨) ان تاثير مدى رضى الجماعة عن مستوى التعاون بين افرادها تحت الظروف الطارئة التي يمر بها مجتمع الدراسة اليوم، كانت نسبة الذين يؤيدون ذلك (٥١%) في حين بلغت نسبة الذين لايشعرون بذلك (٢٧%) بينما بلغت نسبة الذين يشعرون بذلك الى حد ما (٢٢%) والذي يمكن استنتاجه من ذلك ان الغالبية من العينة يرون ان حالة التعاون لا تزال قائمة تحت الظروف الطارئة ملبية حاجة استدعها تلك الظروف، ولاتزال حالات التعاون ضرورة تتطلبها حياة الجماعة باستمرار ولا سيما ان المجتمع لا يزال يعاني من فراغ امني مما يجعل تلاحم الجماعات في مناطق سكناهم حاجة ملحة

ج/ التعاون في المجتمع المحلي

يرى الدكتور (علي الوردي) ان الحياة البيتية في الاسرة التقليدية في المدن العراقية ضعيفة، بينما يرى التماسك العائلي فيها قويا، فبالرغم من قلة تعاشر ابناء العائلة مع بعضهم البعض نجدهم في الوقت نفسه يشعرون بالرابطة القوية التي تربط بينهم اتجاه الغريب، فهم يقفون في السراء والضراء متماسكين ومتحدين، كما انهم يساعدون من اصيب منهم بمصيبة او مشكلة احاطوا به يساعدونه فيها[١]. فالتماسك الاجتماعي في مجتمع الدراسة ظهر بشكل اساسي في فترة الحرب وكأنهم اسرة

[١] د. الوردي، علي: طبيعة المجتمع العراقي، مصدر سابق، ص٢٧٨.

واحدة، فكان ابناء المجتمع يشكلون جماعات اجتماعية تعاونية دفاعية لحماية انفسهم وممتلكاتهم. وعند سؤالنا خلال العمل الميداني عن اهمية التعاون تحت هذه الظروف كونه يمثل حاجة ملحة ام انه يمثل حالة طبيعية في المجتمع، وقد اجمعت الاجابات على ان التعاون لم يعد كما.

جدول رقم (١٩)

اجابة المبحوثين عن السؤال

س/ هل كان التعاون في الماضي اوسع ظهورا في مجتمعك من الوقت الحاضر؟

البيان	العدد	%
نعم	٥٧	%٥٧
لا	٩	%٩
الى حد ما	٣٤	%٣٤
المجموع	١٠٠	%١٠٠

كان في الماضي في ظل الحياة التقليدية البسيطة، انما تغيرت كثير من القيم التي تدعوا الى التضامن والتماسك وهذا ما يظهره الجدول (١٩) هل كان التعاون في الماضي اوسع ظهورا في مجتمع الدراسة من الوقت الحاضر، فكانت معظم الاجابات تؤكد على انه كان اوسع ظهورا، اذ بلغت نسبتهم (٥٧%) بينما رأى اخرون وبنسبة (٣٤%) ان ذلك صحيح الى حد ما، اما الذين يعارضون ذلك بلغت نسبتهم (٩%).

جدول رقم (٢٠)

يوضح اجابات المبحوثين عن السؤال

س/ هل تجد اليوم في مجتمعك ان هناك مساعدات في اعمال خيرية للمحتاجين او الوقوف الى جانبهم في شتى المواقف.

البيان	العدد	%
نعم	٥٣	%٥٣
لا	١٤	%١٤
الى حد ما	٣٣	%٣٣
المجموع	١٠٠	%١٠٠

يتضح من الجدول (٢٠) ان التعاون يظهر في مجتمع الدراسة باشكال مختلفة ابرزها المساعدات في الاعمال الخيرية للمحتاجين او الوقوف الى جانبهم في شتى المواقف، وقد ايد ذلك (٥٣%) من افراد العينة، بينما بلغت نسبة الذين يؤيدون ذلك الى حد ما (٣٣%) بينما بلغت نسبة الذين لا يؤيدون ذلك (١٤%). وقد لاحظنا خلال العمل الميداني ان صور التعاون في مجتمع الدراسة تمتد الى نواحي اخرى مثل تبادل الحاجات بين الجيران، والتعاون بين النسوة في المناسبات المختلفة، كما ان صورة تظهر بين الشباب في شتى المواقف. والحالة رقم واحد توضح اهمية التعاون في المناسبات

جدول رقم (٢١)

يوضح اجابة مدى فعالية صور التعاون في كل الظروف ام انها تظهر في الازمات فقط.

البيان	العدد	%
يظهر التعاون	٢٩	%٢٩
في الازمات فقط	٧١	%٧١
المجموع	١٠٠	%١٠٠

يتضح من الجدول (٢١) ان التعاون في مجتمع الدراسة يظهر بشكل كبير في الازمات، اذ بلغت نسبة الذين يرون ذلك (٧١%) من افراد العينة، بينما بلغت نسبة الذين يرون ان التعاون حالة طبيعية مستمرة تظهر باستمرار في المجتمع، اذ بلغت نسبة ذلك (٢٩%). وهذا يتفق مع بيانات الجدول (٢٠) ومع ما لاحظناه في مجتمع الدراسة.

الحالة الاولى

يظهر الناس في مجتمع الدراسة تعاونا تلقائيا في موقف اجتماعي يستحق الوقوف عليه، ويظهر خلاله التعاون باوضح صورة متمثلة في وقوف الجيران الى جانب بعضهم البعض في المناسبات المختلفة، وقد تابعت موقف اجتماعي بهذا الصدد يتعلق بمناسبة عزاء، اذ ظهر وفي مواقف متكررة من هذا الطراز ان الغالبية

العظمى من الجيران يوقفون اعمالهم ويقفون الى جانب صاحب العزاء مسخرين كل ما يملكون من سيارات وفتح بيوتهم للمعزين من الرجال والنساء او القيام بالطهي طيلة فترة العزاء، وتهيئة المكان المناسب له، وقد تكرر هذا الموقف مرات عديدة خلال مدة اجراء الدراسة، وفي كل مرة نلاحظ ان هناك تعاون تلقائي يندفع الناس فيه دون مصلحة او غاية ظاهرة انما هو بدافع الواجب وحق الجيرة والعادات والتقاليد التي اعتادوا عليها، وعند تحليل هذا الموقف خلال فترة الدراسة ومن خلال مقابلات كثيرة مع الناس اتضح انه امر متوارث في حياتهم الاجتماعية وانهم بحكم معرفة بعضهم البعض معرفة شخصية، وكون علاقاتهم تلك توصف بعلاقات اولية فان سلوك التعاون يظهر تلقائيا ودون دعوة من احد او من صاحب المناسبة، بل انهم يجدون انفسهم في هذا الموقف دون تكلف ويعتبرونه واجبا مقدسا، وعند البحث عن اسباب ذلك اضافة التى ما تقدم تبين ان مصدر ذلك السلوك هو الثقافة الريفية التي تحترم وتعزز الشخصية الجمعية وكما مر –معنا سابقا– فان غالبية سكان مجتمع الدراسة ذات اصول ريفية فانهم يجدون انفسهم يمارسون التعاون في مثل هذا الموقف وكأنهم شخصية واحدة بل كأنهم لايزالون يعيشون في الريف فعلا، ويتداخل مع تاثير العادات والتقاليد الريفية او الشعبية تاثير العامل الديني الذي يحث الناس على التعاون في مثل هذه المواقف.

ثانيا: تحليل البيانات الخاصة بالتغالب

تعيش المدينة العراقية عامة تحت تأثير ثقافتين متناقضتين تدفع ابناء المجتع الى التمسك بالقيم الريفية والعلاقات القرابية، والاخرى تدفعهم نحو الاخذ بالانماط الحديثة من السلوك الاجتماعي التي باتت تنتشر بين الشباب خاصة بسبب تأثير وسائل الاتصال المختلفة ومنها البث الفضائي، وقد ذهب من قبل الى ذلك الدكتور (علي الوردي) في تاكيد هذه الحقيقة حينما قال (ان الصراع الثقافي ظاهرة اجتماعية عامة في العراق ويظهر بشكل اساسي في المدن حتى سار ابناء المدن تحت وطأة تيارين متناقضين، الاول تقليدي يستمد اصوله من الثقافة البدوية، والاخرى حديث

يستمد قيمه من الحضارة الحديثة الوافده)[١]. وهذا الوضع قد اثر بشكل كبير في شخصية الفرد العراقي، فالثقافة البدوية التي تقوم على العصبية وعلى الغلبة تدفع الفرد الى ان يكون غالبا لا مغلوبا لتحقيق اهدافه ومصالحه باستعمال القوة والسطو وغلبة الغير، وان هذه القيم قد انتقلت الى الريف ومن ثم الى المدن، حتى بات سلوك الانسان خلال تعامله اليومي يقوم على اساس الغلبة، وان هذا السلوك، وحسب مفهوم الثقافة الريفية او الشعبية انما يحقق لصاحبه مكانه اجتماعية بنظر الغير، كما يحقق له مكاسب معينة حتى وان كان لاحاجة له بها، المهم في الامر انه قادر على استحصالها من خلال قهر الاخرين والتغلب عليهم، فاذا كان التغالب يحدث بالعصبية كما ذهب (ابن خلدون) الى ذلك، فان التغالب في حياة ابناء المدينة اليوم يؤخذ ايضا بالعصبية او القوة، وفي احيان كثيرة اخرى بالمخادعة دون اعتبار للاخرين او احترام لحقوقهم. وعند تحليل بيانات الدراسة الميدانية نجد ان التغالب في محيط الاسرة يكاد ان يكون معدوما او نادرا، كما انه لم يظهر في ظل الاسرة التقليدية التي تمثل بدورها جماعة قرابية متعصبة ازاء غيرها. اما على مستوى الجماعات فان ظهور التغالب يكون اكثر وضوحا، فكثير من حالاته تظهر بين الجماعات الاجتماعية مثل الجماعة القرابية التي تعمل على غلبة غيرها واستحصال بعض المنافع بالقوة او المخادعة او الواسطة. اما على مستوى المجتمع المحلي فان حالة التغالب قد تكون ظاهرة موجودة في مواقف كثيرة تحدث داخل المجتمع المحلي.

أ- التغالب في محيط الاسرة

وعند توجيه سؤال لافراد العينة حول دلالة وماهية التغالب، اتضح من خلال مجمل الاجابات ان التغالب يعني قهر الاخر باستلاب منه حاجات او فرص سواء عن طريق استخدام القوة ام المخادعة ام الواسطة، ويرى معظم افراد العينة ان صور التغالب برزت في شكل واسع في الظروف الطارئة التي مر بها المجتمع بعد ٢٠٠٣، اذ اخذ كثير من الافراد يسعون بكل السبل من اجل الحصول على بعض

---

[١] د. الوردي، علي: (طبيعة المجتمع العراقي)، مصدر سابق، ص٢٦٠.

الحاجات بطرق غير شرعية مستخدمين الاسلحة او اسلوب المخادعة مع الاخرين او اللجوء الى مجموعات قرابية مستمدين منهم القوة. وقد كانت من مظاهر التغالب ان يكون الفرد شجاعا قويا قادرا على قهر غيره ليزيد ذلك الفرد فخرا واعتزازا بنفسه ومجموعته القرابية، وهذا يتفق مع ما ذهب اليه الدكتور (علي الوردي) حينما حصر تلك المظاهر عند اطفال ازقة المدينة العراقية التقليدية، منها الانتصار بالمشاجرات والتي تزيد المنتصر فخرا واعتزازا حتى يكون بعدئذ زعيم عليهم، وكذلك في القدرة على خداع الغير، وللاستهزاء بالاخرين والضحك عليهم فضلا عن القدرة على النهب والسطو، فبمقدار ما يكون الفرد قادرا على ذلك يشار اليه بالبنان حسب مدلولات الثقافة السائدة[١]. وان مثل هذا السلوك كان ظاهرة لدى الكثير من الافراد في مجتمع الدراسة ابان الفوضى التي حصلت في المجتمع بعد سقوط النظام، اذ اندفع الافراد من كل زوايا المجتمع الى مؤسسات الدولة وعاثوا بها فسادا ونهبا، واعتبر ذلك السلوك يمثل شجاعة فائقة والقدرة على الاستئثار على الاموال والحاجات بدون وجه حق. ورغم تعالي بعض الاصوات على عدم اجازة ذلك، الا انها لم تجد لها اذانا صاغية، وقد ظهر في تلك الصور بشكل جلي ثقافة البدوي الذي يغزوا الغير وينهبه دون وازع من ضمير او خوف من انتقاد، باعتباره يمثل شجاعة وقدرة على غلبة الغير.

جدول (٢٢)

يوضح مدى ظهور صور التغالب في محيط اسر المبحوثين

البيان	العدد	%
نعم	١٧	%١٧
لا	٥٥	%٥٥
الى حد ما	٢٣	%٢٣
المجموع	١٠٠	%١٠٠

[١] د. الوردي، علي: مصدر سابق، ص٢٩٨-٢٩٩.

يتضح من بيانات الجدول (٢٢) ان التغالب لا يظهر في محيط الاسرة، اذ بلغت نسبة من يرون ذلك (٥٥%)، في حين بلغت نسبة الذين يرون ذلك الى حد ما (٢٣%)، اما نسبة الذين يقرون بوجوده في محيط الاسرة بـ (١٧%)

جدول رقم (٢٣)

يوضح اجابة المبحوثين عن السؤال

س/ هل ترى ان صور التغالب اصبحت واضحة تحت الظروف الطارئة وغياب القانون بين افراد اسرتك؟

البيان	العدد	%
نعم	١٤	%١٤
لا	٦٠	%٦٠
الى حد ما	٢٦	%٢٦
المجموع	١٠٠	%١٠٠

يتبين من الجدول (٢٣) ان صور التغالب في محيط الاسرة وتحت الظروف الطارئة التي يمر بها المجتمع العراقي لا تزال محدودة، اذ بلغت نسبة الذين لايرون مثل ذلك السلوك بـ (٦٠%) في حين بلغت نسبة الذين يرون ذلك الى حد ما (٢٦%) اما نسبة الذين اكدوا على وجود تغالب في محيط الاسرة بـ (١٤%) وهو بلا شك يعكس حقيقة ان التغالب بين افراد الاسرة محدودة، الا ان ذلك لايمنع من وجود بعض الافراد الذين يحاولون الاستئثار ببعض الحاجات بغلبة آخرين من افراد اسرهم، وقد لاحظنا خلال العمل الميداني ان بعض الافراد تذمروا من استيلاء بعض اقاربهم على حقوقهم بالميراث باغتصاب حقوقهم بدون وجه حق معتمدين على نفوذهم الاجتماعي او عن طريق خداعهم، وهي حالات قد تكون قليلة في مجتمع الدراسة. وفي هذا الصدد تم استعمال منهج دراسة الحالة بدراسة بعض الحالات التي ظهر فيها التغالب في محيط الاسرة.

جدول رقم (٢٤)

يوضح مدى تاثير العوامل الاقتصادية الصعبة في اظهار عامل الغلبة على الاخرين من اجل الحصول على الحاجات

البيان	العدد	%
نعم	٦٧	%٦٧
لا	٨	%٨
الى حد ما	٢٥	%٢٥
المجموع	١٠٠	%١٠٠

يتضح من بيانات الجدول (٢٤) ان اغلب افراد العينة يرون ان هناك تاثيرا كبيرا للعوامل الاقتصادية الصعبة والظروف الطارئة، والتي اضطرت الناس للاستعانة بمرجعياتهم الاجتماعية كالعشيرة، وساعدهم على اظهار التغالب على الاخرين من اجل الحصول على الحاجات مستمدين من عصبية مرجعياتهم الاجتماعية (العشيرة) قوتهم، وقد ايد ذلك (٦٧%) من افراد العينة في حين رأى البعض الى حد ما وبنسبة (٢٥%) اما الذين رفضوا ذلك بلغت نسبتهم (٨%) ويمكن الاستنتاج من ذلك ان آثار الحروب والحصار التي مرت على المجتمع العراقي، عملت على تفكيك الكثير من القيم الاجتماعية، تلك القيم التي بدأت انجاز هذا التعبير تاخذ طابعا حضريا خلال مرحلة السبعينيات، الا انه سرعان ما تعرض الى حروب مدمرة ادت الى انتكاس تلك القيم، وتغيرت كثير من الانماط السلوكية التي كانت في طور البناء الجديد. فنشأ جيل جديد يمكن ان نطلق عليه (جيل الحرب) يحمل معه لغة العنف، كما ان غياب الاباء اثناء تلك الحروب ادى الى اختلال في عملية التنشئة الاجتماعية، بسبب فقدان الكثير من ارباب الاسر اثناء الحرب، ان نشوء جيل جديد لا يمتلك الكثير من الحصانة الثقافية الملتزمة، هو يعيش مرحلة جديدة قائمة على العنف والحرب، فضلا عن تراجع المعايير الاجتماعية والاخلاقية.

ب/ التغالب على مستوى الجماعات

جدول (٢٥)

يوضح اجابة المبحوثين عن السؤال

س/ هل ترى ان صور التغالب اليوم بين جماعات الاصدقاء او جماعات العمل او الجماعات القرابية اكثر وضوحا من الماضي؟

البيان	العدد	%
نعم	٥٣	%٥٣
لا	١٠	%١٠
الى حد ما	٣٧	%٣٧
المجموع	١٠٠	%١٠٠

يتضح من بيانات الجدول (٢٥) ان (٥٣%) من افراد العينة يرون ان الكثير من صور التغالب تظهر بين الجماعات، كجماعة القرابية او الاصدقاء او العمل، وقد اثرت اساليب التشئة البيتية في ذلك كثيرا حينما يكون الفرد مقدرا بين جماعته وهو غالب. وقد ايد هذا الرأي ايضا الى حد ما (٣٧%) في حين رفض ذلك (١٠%)

جدول (٢٦)

يبين اجابة المبحوثين عن السؤال

س/ هل ترى ان تربية الازقة تلعب دورا مهما في جعل الفرد يحترم عندما يكون غالبا لا مغلوبا؟

البيان	العدد	%
نعم	٧١	%٧١
لا	١١	%١١
الى حد ما	١٨	%١٨
المجموع	١٠٠	%١٠٠

يتضح من جدول (٢٦) ان اغلب افراد العينة يؤيدون دور تربية الازقة في جعل الافراد ومنذ الصغر غالبين لا مغلوبين، فقد بلغت نسبتهم (٧١%)، في حين بلغت نسبة الذين يؤيدون ذلك الى حد ما (١٨%)، اما نسبة الذين يعارضون هذا الرأي فكانت (١١%) وقد جاءت معظم آراء افراد العينة متفقة ومنسجمة مع ما ذهب اليه الدكتور (الوردي) حينما وصف التنشئة البيتية بانها ضعيفة في المدن العراقية التقليدية، وبهذا يقول الوردي (ان الازقة تربي الطفل وتعده لكي يكون "شقيا" مغوارا يعتدي على غيره ولا يستطيع احد ان يعتدي عليه، وامه تحرضه ان يكون مثل ابيه اذا مشى هز الارض باقدامه)[١]. ونجد مثل ذلك لا يزال حاضرا في مجتمع الدراسة، بعد الزمن الذي تحدث الوردي عنه في بغداد القديمة، فعلى سبيل المثال يدفع الوالدين ابنائهم الى الازقة وهم مطمئنين عليهم حينما يكونون غالبين لا مغلوبين، وقد لاحظنا خلال العمل الميداني ان بعض الامهات لا تردع ابنها حينما يكون معتديا على غيره بل انها تمدحه وتشيد به بانه شجاع وقادر على قهر غيره، وهي تجد في ذلك راحة وكبرياء وهو ما تؤيده حالة رقم (٢) .

الحالة الثانية

جاءت احدى الامهات الى جارتها شاكية ومعاتبة من قيام ابنها بضرب قرينه (أي ابن المشتكية) على رأسه حتى بدأ ينزف، واذا بأم الطفل المعتدي تدافع عن ابنها وتقول (هو الذي بدأ الشجار وان ابنها سبع وقد اخذ حقه بيده واذا كان الامر يزعجك مستعدة ان اضربك)، مستمدة قوتها تلك من مجموعتها القرابية التي بدأت قوتها تتعاظم مع وجود حالة الفوضى وبعد قليل اجتمع أقرباءها الى جانبها فهاجموا المرأة الشاكية زوجها وهم يشعرون بنشوة الغلبة وتدل هذه الحالة على ان سلوك المرأة واقرباؤها اتجاه المرأة المشتكية ياتي من القوي على الضعيف وهو فيه تغالب واضح.

وعند دراسة هذه الحالة خلال مدة الدراسة اتضح ان من مارس سلوك التغالب يعود بالدرجة الاولى الى العصبية للمجموعة القرابية وشعورهم بانهم في ظل

---

[١] د. الوردي ، علي: مصدر سابق، ص٢١٦.

الظروف المتغيرة في المجتمع ينبغي ان يكونوا متضامنين داخليا للتغلب على أي حالة تواجههم، وقد اتضح من فحص هذه الحالة بفترة طويلة ان هذه المجموعة تعاني من تدني مستويات التعليم حيث ان اعلى مستوى فيها لاحد ابناءها هو خريج اعدادية واغلب الافراد الاخرين هم يعملون عمال اهليين او باعة في الاسواق ووعيهم الاجتماعي يدور في فلك مجموعاتهم التي يتعصبون لها، فهم يشككون في مواقف الاخرين التي تستهدفهم وتريد النيل منهم، ان الاخرين يحالون خداعهم في البيع والشراء وهذا ما يظهر ايضا من خلال تضامنهم في السوق وممارسة سلوك التغالب اتجاه من يعاكسهم. وعند تحليل شخصية الام التي لم تستجب لشكوى جارتها (ام الطفل) اتضح انها ايضا لاتخرج عن دائرة وعي العائلة وتعتبر ان ذلك السلوك الذي مارسته يعبر عن الشجاعة والقوة دون النظر الى شرعيته اولا، وان هذا السلوك بكامله يعود الى تاثير الثقافة الريفية لهذه الاسرة التي ترى ان يكون ابناءها غالبين ثانيا.

جدول (٢٧)

يبين اجابة المبحوثين عن رؤيتهم في سلوك التغالب كتعبير عن الشطارة والقوة المستمدة من المجموعة التي ينتمي اليها

البيان	العدد	%
نعم	٦٧	%٦٧
لا	٨	%٨
الى حد ما	٢٥	%٢٥
المجموع	١٠٠	%١٠٠

يتضح من الجدول (٢٧) ان اغلب افراد العينة يؤيدون ان سلوك التغالب هي تعبير عن الشطارة او القوة بين الجماعة التي ينتسبون اليها، كما انهم يرون في الشطارة او القدرة على المخادعة اسلوبا للتغلب على الاخرين وقد بلغت نسبة المؤيدين (٦٧%) في حين من يؤيد ذلك الى حد ما (٢٥%) اما الذين يعارضون ذلك (٨%)

جدول مرتبي رقم (٢٨)

يبين اظهار التغالب في محيط الجماعات دون الاعتبار لبعض القيم

البيان	العدد	%
١- من دون اعتبار لعلاقة الصداقة	٦٧	%٦٧
٢- من دون اعتبار لعلاقة الجيرة	٥٨	%٥٨
٣- من دون اعتبار لقيم الجماعة وتقاليدهم	٥٤	%٥٤

يتضح من جدول (٢٨) ان اغلب افراد العينة يرون ظهور التغالب في محيط الجماعات في مجتمع الدراسة كالجماعات القرابية او جماعة الاصدقاء وغيرها، دون اعتبار لبعض القيم، فالمهم ان يكونوا غالبين، اذ بلغت نسبة من يرى ذلك (٦٧%) في حين بلغت نسبة الذين يرون ذلك دون اعتبار لعلاقات الجيرة (٥٨%)، اما نسبة الذين يرون ذلك دون اعتبار لقيم الجماعة وتقاليدها (٥٤%) وبناءا على ذلك يتضح امتداد ثقافة البدو الى المدينة لتظهر في سلوكيتهم بصيغ تعبر عن قوة الفرد ازاء غيره، دون الاعتبار الى طبيعة العلاقات السابقة. وقد ذهب (الوردي) اي ذلك حينما رأى ان المدينة العراقية تخضع الى نمطين من الثقافة، النمط التقليدي يستمد ثقافته من البادية ومن تقاليد المدينة العراقية القديمة ونمط حديث يستمد اصوله من الحضارة الاوربية الوافد الى المجتمع العراقي، ولاسيما بعد الحرب العالمية الاولى. وعن آراء افراد العينة حول عدم وضع اعتبار لعلاقات الجيرة او لعلاقات الصداقة او بعض القيم حينما يسعى الفرد الى غلبة غيره بهدف الحصول على منافع على حساب الاخرين، انما يتفق مع ما توصل اليه (الوردي) عندما راى ان هل البدو حينما يتعاطون الغزوا او النهب او الثأر او العصبية لا يدركون انهم في ذلك يعصون الله ويخالفون اوامر الدين. وينقل الوردي عن الدكتور (فاضل الجمالي) انه عند زيارته لقبيلة غيرة في بادية الشام اخذ يناقشهم طويلا حول ما اعتادوا عليه من نهب وغزو وهل ذلك يرضى الله عنه ام لا؟ فكان جوابهم انهم لم يقلقوا انفسهم بالتفكير في ذلك[١].

---

[١] د. الوردي، علي: المصدر نفسه، ص٢٩٣.

جدول مرتبي (٢٩)

يبين آراء المبحوثين عن اهداف التغالب في محيط الجماعات

البيان	العدد	%
١- انه يعمل على تحقيق الحاجات من خلال شطارة الغاب	٦٥	%٦٥
٢- تعلمت ان اكون غالبا لا مغلوبا حتى يشار لي بالبنان	٦٣	%٦٣
٣- حتى اكون متقدم على الغير (نجاح شخصي)	٥٩	%٥٩

يتضح من الجدول (٢٩) ان (٦٥%) من افراد العينة يرون ان التغالب يعمل على تحقيق الحاجات من خلال شطارة الغالب، بينما يرى (٦٣%) انه يعمل على ان يكون غالبا لا مغلوبا حتى يشار له بالبنان، بينما (٥٩%) يرى ان التغالب يعمل على ان يكون متقدما على الغير (نجاح شخصي).

ج- التغالب في المجتمع المحلي

يرى الدكتور علي الوردي ان مركبات الثقافة البدوية هي ثلاث (العصبية و الغزو والمروءة) والملاحظ ان طابع (التغالب) يوجد في جميع هذه المركبات، فالفرد القبلي يريد ان يغلب بقوة قبيلته اولا، وبقوة شخصيته ثانيا، وبمروءته ان يتفضل على الغير ثالثا، حتى سيطرت على شخصيته نزعة التغالب فانه يرغب ان يكون ناهبا لا منهوبا، معتديا لا معتدى عليه، معطاءا لا معطي له، مقصودا لا قاصدا، طالبا لا مطلوبا، مغيثا لا مستغيثا، مجيرا لا مستجيرا، قادرا لامقدورا عليه، حاميا لا محميا، مسئولا لا سائلا، مرجوا لا راجيا، مشكورا لا شاكرا[١] وقد انتقلت سمات بعض هذه الثقافة الى المدين العراقية، فاغلب المدن العراقية اقيمت على ضفاف الانهر، كما ان كثيرا من سكناهم من القبائل المجاورة. فضلا عن يعض السكان الغرباء الذين جاؤوا بدافع التجارة والاسترزاق، كما ان طابع ثقافة المحلات الشعبية المتنازعة في المدينة الواحدة قد تنسى خلافاتها واحقادها اذا اذا هدد المدينة خطر عام، فهي تتحد ضد عدوها المشترك مطبقة المبدأ البدوي القائل (انا واخي على ابن عمي وانا وابن

(١) د. الوردي، علي: المصدر نفسه، ص٣٨-٤٢.

عمي على الغريب)[١]. وقد لاحظنا خلال العمل الميداني كيف اتحد سكان مجتمع الدراسة اتجاه الفوضى الذي عمّ المجتمع بعد سقوط النظام عام (٢٠٠٣م)، متناسين خلافاتهم الشخصية وكأنهم اصبحوا مجموعة قرابية واحدة اتجاه من يتحداهم من المناطق الاخرى. مستمدين ذلك من اصول ثقافتهم الريفية المشار اليها، وقد جاءت بيانات جدول (٣٠) متفقة مع ذلك، حينما ايد (٧٥%) من افراد العينة تأثير الثقافة الريفية في اظهار العصبية بينهم من اجل التغلب من يتحداهم، وقد رأى ذلك الى حد ما (٢٠%)، اما الذين عارضوا هذا الرأي (٥%).

جدول (٣٠)

يوضح مرجعية التغالب الى الثقافة الريفية

البيان	العدد	%
نعم	٧٥	%٧٥
لا	٥	%٥
الى حد ما	٢٠	%٢٠
المجموع	١٠٠	%١٠٠

جدول رقم (٣١)

يوضح مدى تاثير الثقافة الشعبية السائدة في المجتمع كي يكون الافراد غالبين لا مغلوبين

البيان	العدد	%
نعم	٨٢	%٨٢
لا	٣	%٣
الى حد ما	١٥	%١٥
المجموع	١٠٠	%١٠٠

(١) د. الوردي، علي: المصدر نفسه، ص١٨٤،١٦٣.

يتضح من جدول (٣١) ان غالبية افراد العينة يرون الثقافة الشعبية السائدة في مجتمع الدراسة تنظر الى الافراد الغالبين بعين الاحترام والتقدير باعتبارهم اصحاب عصبية ومنعة، اذ بلغت نسبة الذين يرون ذلك ٨٢% فحين بلغت نسبة الذين يرون ذلك الى حد ما (١٥%) اما المعارضين فكانت نسبتهم (٣%) ونستنتج من ذلك ان الاشخاص الذين ينضمون الى اقاربهم ويتعصبون لهم انما هم افراد متضامنين اتجاه الغير، يسعون الى غلبتهم كي يوصفوا من قبل الغير بالشجاعة والاقدام، اما الذي يتعاطى مع آراء الجماعة او ينظر الى الامور بموضوعية وعين الحق ويرفض الاصطفاف مع مجموعته القرابية يوصف وفق الثقافة السائدة بالضعيف او متخاذل عن الالتحاق بقيم جماعته، وقد لاحضنا خلال العمل الميداني ان التعصب للمجموعة القرابية امر متعارف عليه في مجتمع الدراسة فتراهم يهبون لنصرة بعضهم ازاء جماعة اخرى، بغض النظر ان كانوا على حق ام لا.

جدول رقم (٣٢)

يبين مدى وضوح صور التغالب في مجتمع الدراسة في ظل الظروف الطارئة اليوم اكثر من الماضي

البيان	العدد	%
نعم	٥٣	%٥٣
لا	١٧	%١٧
الى حد ما	٣٠	%٣٠
المجموع	١٠٠	%١٠٠

يتضح من بيانات الجدول (٣٢) ان اغلب افراد العينة يؤيدون بروز وضوح صور التغالب في مجتمع الدراسة في ظل الظروف الطارئة اليوم اكثر من الماضي، اذ بلغت نسبتهم (٥٣%) في حين بلغت نسبة الذين يرون ذلك الى حد ما (٣٠%)، اما المعارضون لهذا الرأي (١٧%). وكذلك اشارة واضحة الى غياب سلطة القانون وقوع المجتمع تحت ظروف الفوضى بعد عام ٢٠٠٣م، جعل الافراد اكثر استعدادا باستخدام قوتهم اتجاه الاخرين، او تعصبهم لجماعتهم القرابية مستمدين منه القوة

للتغلب على الاخرين، وقد ظهرت صور التغالب واضحة حينما برزت بعض المجموعات القرابية محاولة فرض ارادتها على غيرها بالقوة او قيام بعض الافراد بالاستيلاء على اراضي تعود للحق العام واعتبروها حقا لهم. ولحالة رقم (٣) توضح ذلك

الحالة الثالثة

احد الاشخاص استولى على ارض غير مفروزة، واخذ يشيد عليها مسكناً مستغلا حالة الفوضى وغياب السلطة، فانطلق وكأنه يمارس سطوا يظهر شجاعته وكذلك شطارته في اختيار الارض المناسبة، وهو لا ينظر بعد ذلك في شرعية ذلك ام لا. وعند التقصي عن حالته الاجتماعية وجد انه متزوج ولديه سبع اولاد وانه يمتلك مسكن خاص به، اما حالته الاقتصادية متوسطة ويعمل في اعمال حرة كالبيع والشراء كما انه يمارس اسلوبا تغالبيا في السوق، وبعد فترة قصيرة عرض الدار التي شيدها على تلك الارض المسلوبة للبيع وكان ذلك حقا مشروعا له. وعند اخضاع هذه الحالة الى الدراسة من خلال توجيه بعض الاسئلة اليه خلال فترة الدراسة بشكل مباشر او غير مباشر من خلال اختياره كاحد افراد العينة، وبعد مقابلات عدة اتضح انه راضي عن سلوكه وانه اخذ حقا قد حرمته الدولة منه سابقا و بالاستفادة من خيرات البلد وهو بذلك ياخذ حقه بيده، وعند مراجعة تاريخ صاحب هذه الحالة من الذين يعرفونه اتضح انه يمارس السرقة في الماضي، وقد تعرض جراء ذلك الى السجن عدة مرات وهو من الذين اطلق سراحهم في العفو الذي اصدره النظام السابق قبيل سقوطه، واتضح ايضا من خلال مقابلة بعض الناس الذين يعرفونه عن قرب انه يعاني بعض الاضطرابات النفسية، كما انه يحتال على الناس بشتى المواقف ويعتبر ذلك شطارة وتفوق على الاخرين دون ان يبالي بتعاليم الدين او القيم الأخلاقية.

جدول رقم (٣٣)

يوضح اجابة المبحوثين عن السؤال

س/ هل وجد سلوك التغالب مجالا له عندما حلت القبيلة او ثقافة المنطقة الشعبية محل سلطة القانون؟

البيان	العدد	%
نعم	٧٠	%٧٠
لا	١٠	%١٠
الى حد ما	٢٠	%٢٠
المجموع	١٠٠	%١٠٠

يتضح من الجدول (٣٣) ان نزعة التغالب وجدت لها مجالا رحبا عندما حلت ثقافة القبيلة او العشيرة او ثقافة المناطق (المحلات) الشعبية محل سلطة القانون بعد سقوط النظام، وقد ايد ذلك (٧٠%) من عينة الدراسة، بينما بلغت نسبة الذين يرون ذلك الى حد ما (٢٠%)، اما نسبة الذين عارضوا ذلك فبلغت (١٠%)، وفي ذلك اشارة واضحة على اهمية الثقافة الريفية وامتداداتها الى سكان المنطقة المدروسة، حيث يتميز اغلبهم بانهم ذات اصول ريفية.

جدول رقم (٣٤)

يبين عدم متابعة الوالدين لاطفالهم وهم يلعبون في الشوارع لكونهم غالبين لا مغلوبين

البيان	العدد	%
نعم	٥٢	%٥٢
لا	١٥	%١٥
الى حد ما	٣٣	%٣٣
المجموع	١٠٠	%١٠٠

يتضح من جدول (٣٤) ان عدم اهتمام الوالدين في متابعة ابنائهم وهم يلعبون في ازقة المنطقة، انما يعود الى ثقتهم بانهم غالبين لا مغلوبين، وقد ايد هذا

الرأي (٥٢%)، في حين يرى ذلك الى حد ما ما نسبته (٣٣%)، اما الذين عارضوا هذا الرأي فبلغت نسبتهم (١٥%). وهذا يؤشر في احدى جوانبه على غياب اساليب التنشئة الحديثة في الاسرة العراقية التقليدية التي غالبا لا تهتم بالحوار بين افرادها. لذا فان معظم افرادها يجدون في ثقافة الازقة سلوكا يشبه الى حد ما يتصف به سلوك ابناء الريف، وفي ذلك دلالة واضحة على ان التقدير الاجتماعي يكون من نصيب الغالبين في شتى المواقف، وهو ما ترسمه الثقافة السائدة.

جدول رقم (٣٥)

يوضح اجابة المبحوثين عن السؤال

س/ هل تجد في مجتمعك هناك من يلتزم بسلوك الوقار والمثل العليا، الا انه في موقف (مثل مصلحة شخصية او بدافع العصبية لجماعته) آخر يسعى الى غلبة غيره وقهره؟

البيان	العدد	%
نعم	٥٧	%٥٧
لا	٢٠	%٢٠
الى حد ما	٢٣	%٢٣
المجموع	١٠٠	%١٠٠

يتضح من بيانات الجدول (٣٥) ان اغلب افراد العينة يؤيدون وجود ازدواجية في شخصية الفرد العراقي حيث يظهر في المجتمع من هو يلتزم بسلوك الوقار والمثل العليا، الا ان هذا الفرد نجده في موقف آخر يسعى الى غلبة غيره وقهره، وقد بلغت نسبة الذين يؤيد ذلك (٥٧%) من افراد العينة، في حين بلغت نسبة من يرى ذلك الى حد ما (٢٣%)، اما الذين عارضوا ذلك فبلغت نسبتهم (٢٠%) وقد لاحظنا خلال الدراسة الميدانية ان هناك بعض الافراد الذين يظهرون على هذه الشاكلة، وحينما يشار الى (ابو فلان) بالوقار والاحترام بين ابناء المنطقة نجد هذا الشخص في موقف آخر يقف الى جانب اقربائه بعصبية دون وجه حق، او انه يظهر في موقف آخر حينما تكون مصلحته الشخصية تدفعه الى غلبة غيره للحصول على بعض المنافع التي يكون في احيان كثيرة لا حاجة له بها.

جدول رقم (٣٦)

يوضح مدى شعور المبحوثين عند تعاملهم مع الناس ان هناك من يحاول انتزاع فرصهم بالقوة او المراوغة

البيان	العدد	%
نعم	٦٧	%٦٧
لا	١٢	%١٢
الى حد ما	٢١	%٢١
المجموع	١٠٠	%١٠٠

يتضح من جدول (٣٦) ان اغلب افراد العينة يشعرون وهم يتعاملون مع الاخرين في مواقف مختلفة كالبيع والشراء مثلا او عندما تتاح لهم بعض الفرص بان هناك آخرين يحاولون انتزاع تلك الفرص منهم، او يحاولوا خداعهم في معاملة البيع او الشراء، فقد بلغت نسبة من يرى ذلك (٦٧%) في حين بلغت نسبة من يرون ذلك الى حد ما (٢١%)، اما الذين يعارضون ذلك فبلغت نسبتهم (١٢%).

خاتمة الفصل

انتهى الفصل الى تحليل البيانات الخاصة بالتعاون والتغالب كثنائية بغية التوصل الى حقائق ميدانية تنطوي على فائدة علمية عن احد المجتمعات المحلية الحضرية، اذ لا يزال التعاون يميز البناء الاجتماعي الثقافي كسلوك وكقيمة اساسية في الثقافة السائدة، يقابلها سلوك التغالب مستمدا اصوله من عمق الثقافة البدوية بعد ان انتقلت الى الريف ومن ثم الى المدينة، لتظهر في السلوك الاجتماعي اليومي، دون ان يفطن اهل المدن الى مصادرها الاصلية. وقد لعبت التربية الاجتماعية على تعزيز هذه النزعة كونها تعبر عن الشجاعة والبطولة لنصرة المجموعة القرابية. وقد زادت حدتها تحت الظروف الطارئة التي مر بها المجتمع خلال مرحلة الفوضى التي اعقبت سقوط النظام عام ٢٠٠٣م، ان دراسة هذه الثنائية (التعاون والتغالب) قد اعطت بعدا علميا من خلال الوقوف على عليها ميدانيا، فضلا عن معرفة ما جرى من تغير ثقافي واجتماعي مس البناء الاجتماعي.

الفصل السابع

الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات

(مناقشة ختامية)

التمهيد

يتضمن هذا الفصل مبحثين اساسين، اختص المبحث الاول باجراء مناقشة عامة. تم خلالها مقابلة بعض ما جاء في التراث النظري مع ما توصلت اليه الدراسة الميدانية من حقائق، وتبيان نقاط الاتفاق والاختلاف بينهما. اما المبحث الثاني تضمن عرض الاستنتاجات العامة للدراسة الميدانية مع تقديم التوصيات والمقترحات بناءا على ما افضت اليه الدراسة الحالية من استنتاجات.

المبحث الأول

مناقشة عامـــة

تمكنت الدراسة الميدانية من الاجابة عن التساؤلات التي اثيرت في مشكلة البحث واتضح، ان التعاون والتغالب كثنائية انما تظهر في المجتمعات البسيطة الاقل تطورا، مع وجود عوامل مؤثرة في هاتين السمتين افرزتها المرحلة الراهنة، والتي بدورها ادت الى تكوين ادوار في مواقف مختلفة مارسها الافراد تحت تأثير الظروف المتغيرة في المجتمع، بعد غياب السلطة والقانون ورجوع السكان الى الاستعانة بمرجعياتهم الثقافية كالعشيرة او الاسرة الممتدة الكبيرة مستمدين منها القوة في الدفاع عن انفسهم. ولعل ذلك يدخل في اطار محاولة بناء تصور نظري جديد عن احد المجتمعات المحلية الحضرية، ولاشك ان ذلك يتفق مع اهتمام علماء الانثروبولوجيا بدراسة الثقافة بكونها الوعاء الواسع الذي يضم كل ما يتعلق بالجنس البشري، حتى عدت بالنسبة للأنثروبولوجي بمثابة القلب من الجسد، وقد اهتمت الدراسة الحالية بدراسة العلاقة بين الانسان والبيئة، ومن ثم وصف مجتمع الدراسة وصفا ايكولوجيا واجتماعيا وثقافيا، واظهار العلاقة بين هذه الجوانب ومدى علاقتها مع بعضها البعض، مستبعدة فكرة الحتمية الجغرافية التي لم يعد لها مكانا في المجتمعات الحديثة، اذ بات الانسان يستخدم اذرع التقنية في تعديل البيئة بما يتلاءم وظروفه المستحدثة، واتفقت الدراسة الحالية مع ما ذهب اليه الانثروبولوجين باقرار العلاقة التبادلية بين الانسان والبيئة ودورها بانتاج سلوك اجتماعي مرتبط بذلك، فكانت العلاقات القرابية ببيئتها الجديدة هي المؤشر الاساس الذي تم به توزيع السكان في المنطقة على اساس الجوار القائم على عامل القرابة كلما سمحت ظروف الانسان بذلك، فظهرت في مجتمع الدراسة جماعات قرابية متجاورة مكونة ما يشبه تجمع العشيرة بشكل مصغر وباختلاف الاليات في ذلك، ليظهر بينها تعاون وتواصل مستمر، وفي الوقت ذاته تميزت بعصبيتها وتعمل على غلبة من تتقاطع معه، يضاف الى ذلك تفاعل السكان القادمين من مناطق (او حارات) شعبية من

مناطق بغداد القديمة، ليتفاعل هؤلاء السكان الحضريين مع جماعة قادمة من مرجعيات ثقافية ريفية، مكونين مجتمع الدراسة الحالي. فظهر التعاون في هذا السياق كسلوك يعبر عن تفاعل ابناء المجتمع من اجل اشباع حاجاتهم المختلفة، وفي الوقت نفسه تظهر الحدود الفاصلة بين تلك الجماعات عندما يكون التغالب سلوك او نزعة يتعاطها افراد المجموعة القرابية ازاء غيرها. وقد اتفقت الدراسة الحالية مع ما ذهب اليه (ابن خلدون) من ان التضامن الداخلي يولد صراعا خارجيا وهو ما يمكن لمسه بشكله المحلي من خلال ما كان يظهر في مجتمع الدراسة من جماعات تتضامن داخليا ازاء غيرها من الجماعات حينما يحصل بينها تنازع، كما يظهر على مستوى المنطقة ككل حينما يتضامن السكان عندما تظهر عناصر تحدي ثقافي من مناطق حضرية اخرى في بغداد. ويظهر ذلك حينما تكون نظرتهم ازاء تلك المناطق ان سكانها يتميزون بسلوك اجتماعي يفتقر في اغلب الاحيان الى الياقة الاخلاقية او يصفونهم بالمخادعين حينما يتعاملون معهم بالاسواق، وفي الوقت ذاته ينظر سكان المناطق المتحضرة ألى مجتمع الدراسة كمجتمع شعبي يتميز بالخشونة والثقافة الشعبية التقليدية. كما اتفقت الدراسة مع رأي (ابن خلدون) في كون العامل الاقتصادي عاملا يؤثر تأثيرا مباشرا في تغيير المجتمع، وهو ما اكده كثير من الاخباريين حول تغير الاحوال عما كان سائدا في الماضي بفعل تأثير العوامل الاقتصادية والظروف المعيشية الصعبة في الوقت الحاضر. كما اتفقت الدراسة ايضا مع ما ذهب اليه (ابن خلدون) من ان التغالب يحصل بعصبية، وان العصبية تجتمع في النسب الخاص اكثر من النسب العام (انظر الفصل الثاني: التراث النظري للدراسة)، وهو ما يمكن ملاحظته في مجتمع الدراسة وعلى مستوى الجماعات القرابية، فتكون العصبية ظاهرة بين ابناء العمومة اوسع منها عند الاقرباء الاخرين من المجموعة القرابية الكبيرة، لذا كانت ثقافة الغلبة تظهر حينما تكون المجموعة القرابية بنسبها الخاص تختصم مع بعض الافراد من المجموعة القرابية الكبيرة او مع مجموعة قرابية اخرى في المنطقة نفسها، وهو ما رآه الدكتور (علي الوردي) عندما تكلم عن حياة اهل المدن المتأثرة بنمط الثقافة البدوية او الريفية، فتظهر نزعة التغالب في تربية الاطفال في الازقة عندما يشار الى من يمارس القوة على اقرانة

بالبنان) ومن ثم يحصل على زعامة باعتباره صاحب شجاعة وحمية، وهو ما كشفته الدراسة الحالية حينما وصفت حالات السلوك الاجتماعي وما يمكن ان تؤديه من دلالات تصب في مجرى واحد هو غلبة الغير سواء بالقوة او المخادعة التي يحترم الافراد ويقدرون على اساسه وحسب منظور الثقافة السائدة كونهم غالبين لا مغلوبين، ودون النظر الى نتائج ذلك هل يكون مشروعا ام لا. كما اتفقت الدراسة الحالية مع بعض آراء اصحاب النظرية التطورية الانثروبولوجية الكلاسيكية واختلفت مع آرائها في مواطن كثيرة، وهذا الاختلاف مرده الى اختلاف الدلالات الثقافية في كل مجتمع والتي صيغت من وجهة نظر تلك النظرية بصيغة واحدة، حينما رأت ان المجتمع البشري مرّ بخط تطوري ارتقائي واحد استمر من المرحلة البدائية الاباحية حتى ظهور المجتمع الاوربي الصناعي الحالي، وفي ذلك تعسف اتجاه خصائص الثقافات الاخرى، والتي نشئت خلال ظروفها المحلية، وفي هذا الجانب كانت الدراسة الحالية تتفق مع البنائية الوظيفية في هذا الاتجاه. والشيء الذي كان يصب في مجرى واحد مع النظرية التطورية القديمة هو ان عملية التطور ما كانت تتم لولا وجود حالة تعاون بين المجتمعات البسيطة كحالة تجعلها قادرة على تلبية حاجاتها الانسانية الاساسية، وباعتبار ان عملية التطور بحد ذاتها هي عملية اجتماعية ميزت المجتمع البشري عن غيره وانها قامت في احد جوانبها على التعاون كوسيلة لاشباع الحاجات الانسانية وهو ما يمكن ان يميز حياة المدينة عن الريف او البادية، وهذا ما يمكن ظهوره على نحو ما في سكان المدينة العراقية الحديثة، التي تضم مرجعيات ثقافية متعددة كالثقافة الريفية وثقافة الحارات الشعبية، والثقافة الوافدة، كما يمكن ان تضم عدة مكونات ثقافية تعيش متجاورة مع بعضها البعض، وهذا هو حال المجتمع العراقي خلال تاريخه الطويل.

وكما يمكن القول ايضا في هذا الصدد ان بعض نتائج الدراسة الحالية قد اتفقت ما جاء في سياقات النظرية البنائية من كون المجتمع يتكون من انساق متضامنة ومتفاعلة، ومع بروز هذه الحقيقة فان مجتمع الدراسة ايضا شهد تداخلا ثقافيا بين النمط الريفي والحضري وهو ما كشفته دراسة الدكتور (علاء البياتي) في منطقة شتاته حينما رأى الباحث في سياقها العام، ان المدينة العراقية مدينة مختلطة

الثقافة تتداخل فيها الثقافة الريفية والحضرية، ومن ثم فان ذلك يفرز سلوكيات متصلة ومنبعثة من مكامن هاتين الثقافتين. كما كشفت الدراسة الحالية ان هناك اختلافا في دلالات التنافس و التغالب الذي رأته الدراسة الدراسة الحالية انه تختلف عن التنافس في شكله ومضمونه. فالتغالب صفة تميز المجتمعات البسيطة ذات العصبية، بينما التنافس يظهر في المجتمعات الاكثر تقدما في الوقت الذي كان التغالب ينبع من صميم الثقافة البدوية القائمة على العصبية وغلبة الغير، وعد ذلك يمثل حالة شجاعة دون النظر الى ما يسببه التغالب من قهر او نهب وسلب وبغض النظر عما كان ذلك يرضي الله ويرضي مبادئ الدين. فسلوك التغالب في هذا الجانب انما تعبر عن قوة القبيلة، كما هي في الصحراء، ويعبر عن قوة المجموعة القريبة او الفرد كما هو في حياة المدينة التقليدية. والشيء الذي يمكن ان يظهر واضحا ومتفقا مع ما توصلت اليه الدراسة الحالية من حقائق في الميدان هو اتفاقها مع دراسات الدكتور (علي الوردي) في المجتمع العراقي في هذا الصدد ونظرته الموضوعية ازاء طبيعة الثقافة العراقية السائدة، سواء ما يتصل منها بسلوك التعاون او التغالب.

وقد تمكنت الدراسة الميدانية من تحقيق اهدافها بالوقوف على ماهية التعاون والتغالب في مجتمع الدراسة، لوضع تعاريف اجرائية عن ذلك كما تمكنت من تحقيق هدف فهم طبيعة التعاون والتغالب في مجتمع الدراسة خلال المرحلتين وفهم طبيعة التغيرات التي حصلت على سلوك التعاون والتغالب في المرحلة الراهنة.

المبحث الثاني

الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات

اولا: الاستنتاجات العامة للدراسة الميدانية

أ- الاستنتاجات الخاصة بالبيانات الشخصية

١- اتضح من الدراسة الميدانية ان افراد العينة يتوزعون حسب النوع، اذ بلغ عدد الافراد من الذكور (٦٠) ذكراً، في حين بلغ عدد الاناث (٤٠) انثى.

٢- اتضح من الدراسة الميدانية ان اغلب افراد العينة يتوزعون في الفئة العمرية (٤١-٥٠) وبنسبة (٢٨%)، ثم تلتها الفئة (٣١-٤٠) وبنسبة (٢٣%)، اما اقل نسبة ظهرت ضمن الفئة (٦١- فاكثر) اذ بلغت (٥%). وهذا يؤشر على ان معظم افراد العينة هم من الشباب او في سن العمل.

٣- اتضح من نتائج الدراسة الميدانية تدني المستوى التعليمي في مجتمع الدراسة، اذ بلغت اعلى نسبة للذين حصلوا على الشهادة الابتدائية اذ بلغت (٤٣%)، ثم تلتها من يقرؤن ويكتبون فقد بلغت نسبتها (٢١%) ثم تضمنتها حملة الشهادة الاعدادية وقد بلغت نسبتها (١٦%). اما حملة الشهادة الجامعية والشهادات العليا فقد بلغت نسبتهما على التوالي (١٥% و(١%).

٤- اتضح من الدراسة الميدانية ان كثيراً من افراد العينة متزوجين وبنسبة (٣٤%)، تلتها فئة العزاب اذ بلغت نسبتها (٣٣%) ثم تلتها نسبة الارامل وبلغت (٢٣%)

٥- اتضح من الدراسة الميدانية ان التوزيع المهني في مجتمع الدراسة ينحصر في اكثره من (موظفين لدى الدولة)، اذ بلغت نسبتهم (٢٣%)، ثم تلتها عامل اهلي وقد بلغت نسبتهم (٢٥%)، ثم تلتها ربات البيوت وقد بلغت نسبتهى (١٨%)، اما نسبة اعمال حرة فكانت (١٥%). كما ظهر هناك من اشر بلا عمل دون ان يوضح مهنته الاصلية وقد بلغت نسبتهم (١٠%).

٦- اتضح من الدراسة الميدانية تدني المستوى المعيشي الا قتصادي في مجتمع الدراسة، وهذا ما يؤشره مستوى الدخل الشهري للافراد، والذي يعيل بعضهم عوائل كبيرة، بحيث اصبح هذا المستوى لا يتفق ولا يتلاءم مع المتطلبات الحياة اليومية المتزايدة، اذ بلغ اعلى مستوى دخل شهري للافراد ضمن فئة الدخل (١٥٠-٢٤٩) الف دينار عراقي وبنسبة (٢٣%)، ثم تلتها فئة الدخل (٥٠ - ١٤٩) الف دينار عراقي وبنسبة (١٩%)، ثم تلتها فئة الدخل (٣٥٠-٤٤٩) الف دينار عراقي وبلغت نسبتها (١٧%) اما اقل فئة الدخل نسبة هي (٦٥٠- فاكثر) الف دينار عراقي، وقد بلغت (٧%).

٧- اتضح من نتائج الدراسة الميدانية ان الحالة السكنية تتوزع في ثلاث اصناف، ملك صرف، وسكن للايجار، ومشاع، اذ بلغت نسبها على التوالي (١٩% ، ٢٦%، ٥%). وتمثل الحالة السكنية مشكلة قائمة نظرا لتكدس كثير من الاسر في مسكن واحد، فضلا عن ما يعانيه سكان المنطقة من مشكلات عديدة ابرزها نقص الخدمات وتدني مستوى الشروط الصحية للمسكن اما ما يتعلق بفئة المشاع فقد انحصرت في سكن بعض الاسر باراضي مشاعة قد تعود للدولة اطلق عليها سكان المنطقة (الحواسم).

ب- الاستنتاجات الخاصة بالتعاون

التعاون في الاسرة

٨- اتضح من الدراسة الميدانية ان التعاون سلوك اجتماعي تميز المجتمعات البسيطة، وطالما ان مجتمع الدراسة مجتمع بسيط، فقد ظهر التعاون فيه على نطاق واسع وقد انحصر مفهوم التعاون لدى افراد العينة على انه يعني مساعدة الغير والوقوف الى جانب الجيران في المناسبات المختلفة، والتعاون في حماية المنطقة وتبادل الحاجات بين الناس، فضلا عن حالات اخرى يسعى الناس من خلالها الى اشباع حاجاتهم المختلفة بطريقة تعاونية، سواء في مجال الخدمات او حل بعض المشكلات التي تحصل في المنطقة.

٩- اتضح من الدراسة الميدانية ان اكثر صور التعاون وضوحا كما في محيط الاسرة، ولاسيما في المشاركة في حمايتها ضد الخطر الخارجي، اذ بلغت نسبة من يرى ذلك (٨٥%) وتلتها نسبة الذين يرون التعاون يظهر في المشاركة بالمناسبات المختلفة، وقد بلغت (٨١%)، بينما بلغت نسبة التعاون عند الذين يرونه يظهر في مساعدة الوالدين (٥٧%). اما الذين يرونه يظهر في المشاركة بميزانية الاسرة فبلغت (٥١%).

١٠- اتضح من الدراسة الميدانية ان حالة التعاون لم تعد كما كانت عليه في الماضي، انما اصابها الكثير من التغير، وقد ظهر ذلك من خلال آراء الاخباريين وهو الشيء الذي ايده (٤٧%) من افراد العينة ورآه الى حدما (٣٨%)، وعارضه (١٥%).

١١- اتضح من نتائج الدراسة الميدانية ان كثير من افراد العينة لايزال يؤمن بان التعاون هو الطريق الافضل نحو تحقيق طموحات الاسرة، اذ بلغت نسبة ذلك (٦١%)، في حين بلغت نسبة الذين يرون ذلك الى حد ما (٣٢%)، اما الذين لا يرون ذلك ضروريا (٧%)، اما عن تأثير الظروف المعيشة الصعبة التي مرت بها الاسرة في اضعاف حالة التعاون عما كانت عليه في الماضي فبلغت نسبتها (٤٠%)، والذين يرونه الى حد ما (٣٩%)، اما المعارضين لهذا الرأي فبلغت (٢١%).

١٢- اتضح من الدراسة الميدانية ان وسائل الاتصال الحديثة ومنها البث الفضائي والموبايل، اسهمت في تعزيز الفردية واضعفت من التعاون الجماعي، بلغت نسبة المؤيدين لهذا الرأي (٦٠%) ونسبة المؤيدين لحد ما (٢٧%) والمعارضين (١٣%).

التعاون على مستوى الجماعات

١٣- اتضح من الدراسة الميدانية ان اغلب افراد العينة يرون ان التعاون يحصل بين افراد المجتمع بشكل تلقائي، أي انه جزء من طبيعة العلاقات السائدة، اذ بلغت نسبة المؤيدين لذلك (٥٥%)، والذي يرونه الى حد ما (٣٤%)، والمعارضين لذلك (١١%). كما اتضح ان صور التعاون تلك لم تعد كما هي في الماضي وهذا ما يراه (٦٢%) من افراد العينة، والذين يرون ذلك الى حد ما (٢٨%)، ونسبة الذين لا يتفقون مع هذا الرأي (١٠%).

١٤- اتضح من الدراسة الميدانية ان الظروف الطارئة التي مرت على المجتمع في الوقت الراهن، ادت في احيان كثيرة وخلال تلك الازمة وغياب السلطة قد عززت من وحدت الجماعة وتعاونها، اذ بلغت نسبة من ايد ذلك (٦٣%)، وبلغت نسبة من عارض ذلك (٣٧%).

١٥- اتضح من بيانات الدراسة الميدانية ان (٥١%) ابدوا عن رضاهم على حالة التعاون تحت الظروف الطارئة بعد عام ٢٠٠٣م و (٢٧%) عبروا عن عدم الرضى اما (٢٢%) منهم اكدوا عن رضاهم الى حد ما.

التعاون في المجتمع المحلي

١٦- تبين من دراسة الميدانية ان مستوى التعاون في المجتمع هو اقل مما كان عليه في الماضي قبل، وبلغت نسبة من يرى ذلك (٥٧%)، وبلغت نسبة من يؤيد ذلك ألى حد ما (٣٤%)، اما الذين عارضوا هذا الرأي (٩%).

١٧- اتضح من الدراسة الميدانية، ان كثير من افراد العينة وبنسبة (٥٣%) يرون التعاون يظهر بشكل كبير في اعمال خيرية وفي مساعدة الغير في مواقف مختلفة، وفي تعاون ابناء المنطقة في الحراسات اثناء حالة الفوضى بعد عام ٢٠٠٣م، في حين الذين يرون ذلك الى حد ما (٣٣%) اما نسبة الذين لا يؤيدون ذلك (١٤%).

١٨- اتضح من نتائج الدراسة الميدانية، ان حالة التعاون الواضحة تظهر بشكل كبير في اوقات الازمات، وبلغت نسبة من يرى ذلك (٧١%)، اما (٢١%) من العينة فيرون ان حالة التعاون لا تقتصر فقط في مجتمعهم على الازمات بل هي تظهر في كل الاوقات.

ج- الاستنتاجات الخاصة بالتغالب

التغالب في محيط الاسرة

١٩- اتضح من الدراسة الميدانية ان معظم افراد العينة يرون ان سلوك التغالب يعود في اصولها الى جذور الثقافة البدوية التي انتقلت الى المدينة بصيغ جديدة، وظهرت في سلوك ابناء المدينة التقليدية وانضمام هؤلاء الافراد الى جماعات قرابية او جماعة اوسع تمثل تلك المنطقة الشعبية لتمارس قهرها ضد جماعات اخرى، كما ان التغالب ظهر في سلوك الافراد عن طريق المخادعة للحصول على منافع دون الالتفات الى شرعيتها.

٢٠- اتضح من الدراسة الميدانية ان صور التغالب في محيط الاسرة ضعيفة ولا تظهر الا نادرا، وبلغت نسبة من يؤيد ذلك (٥٥%). ومن يؤيد الى حد ما (٢٣%)، ومن لا يتفق مع هذا الرأي (١٧%).

٢١- اتضح من الدراسة الميدانية ان اغلب افراد العينة يرفضون ان تكون الظروف الطارئة التي يمر بها المجتمع اليوم، قد افرزت نزعة التغالب ليس بين افراد الاسرة، اذ بلغت نسبة هؤلاء (٦٠%) في حين بلغت نسبة من يؤيد ذلك الى حد ما (٢٦%)، وبلغت نسبة من يعارض ذلك (١٤%).

التغالب على مستوى الجماعات

٢٢- اتضح من الدراسة الميدانية ان صور التغالب في الوقت الراهن اكثر وضوحا من الماضي، ولاسيما بعد غياب القانون حتى بات التغالب سلوك يمارسه الفرد او الجماعة القرابية للحصول على منافع على حساب الاخرين، وبلغت نسبة من ايد ذلك (٥٣%)، ومن يراه أي حد ما (٣٧%)، وبلغت نسبة من لا يؤيد هذا الرأي (١٠%).

٢٣- اتضح من الدراسة الميدانية ان تربية الازقة تعمل على زيادة نزعة التغالب بين الاطفال، اذ بلغت نسبة من يرى ذلك (٧١%)، ونسبة من يؤيد ذلك الى حد ما

(١٨%) وبلغت نسبة من لا يجد لذلك اثرا (١١%) وهذه النتيجة تتفق مع ما ذهب اليه الدكتور علي الوردي في دراسته عن طبيعة المجتمع العراقي.

٢٤- اتضح من الدراسة الميدانية، ان اغلب افراد العينة يرون في شطاره بعض الافراد وقدرتهم على خداع الاخرين مظهر من مظاهر التغالب، اذ بلغت نسبة من يؤيد هذا الرأي (٦٧%)، ومن يراه الى حد ما (٢٥%)، ومن يعارض ذلك (٨%).

٢٥- اتضح من الدراسة الميدانية ان من يمارس التغالب من افراد الجماعات على غيره لا يبالي لاعتبارات الصداقة، اذ بلغت (٦٧%)، او علاقة الجيرة وبلغت (٥٨%) ولقيم الجماعة (٥٤%).

التغالب في المجتمع المحلي

٢٦- اتضح من الدراسة الميدانية، ان التغالب في مجتمع الدراسة يعود الى الثقافة الشعبية التي تقدر وتحترم الغالب، وتريد من الافراد ان يكونوا غالبين لا مغلوبين، وقد ايد هذا الرأي نسبة (٨٢%)، وايده الى حد ما بنسبة (١٥%)، في حين رفضه (٣%).

٢٧- اتضح من الدراسة الميدانية ان صور التغالب قد زادت في منطقة الدراسة حينما رجع السكان الى مرجعياتهم العشائرية تحت الظروف الطارئة التي يمر بها المجتمع اكثر مما كان عليه في الماضي، اذ بلغت نسبة من يرون ذلك (٥٣%)، ونسبة من يراه الى حد ما (٣٠%)، ونسبة (١٧%) من يرفض هذا الرأي.

٢٨- اتضح من الدراسة الميدانية، ان اهمال الوالدين لابنائهم وهم يلعبون في الازقة نابع من كون ابنائهم غالبين لا مغلوبين، اذ بلغ من يرى ذلك (٥٢%)، في حين من ايد هذا الرأي الى حد ما (٣٣%)، ومن رفضه (١٥%).

٢٩- اما عن ازدواجية الشخصية في مجتمع الدراسة، حينما يؤشر سلوك بعض الاشخاص على دلالات متناقضة في نتائجها، واذ يظهر من يتصف بالوقار والورع ويقدم المساعدة والرشد للاخرين، نجده في موقف اخر ينزع الى التغالب

حينما يمس خط مجموعته القرابية او عندما تظهر له مصلحة ما وقد بلغت نسبة من يرى ذلك (٥٧%)، ومن يراه الى حد ما (٢٣%)، ومن لا يجد لذلك في ذلك اثراً (٢٠%).

٣٠- اتضح من الدراسة الميدانية، ان هناك شعور ينتاب كثير من الافراد بان الاخرين يتربصون بهم محاولين انتزاع الفرص المتاحة لهم، ومستخدمين عصبية مجموعتهم القرابية او اسلوب المخادعة، وبلغت نسبة من يؤيد (٦٧%)، ونسبة من يؤيد ذلك الى حد ما (٢١%)، وبلغت نسبة من لا يجد لذلك اثرا (١٢%).

ثانيا: التوصيات

بناءاً على ما توصلت اليه الدراسة الميدانية من استنتاجات ينبغي تقديم بعض التوصيات لتكون بمثابة اعلان يستفيد منه مخططي التنمية والجهات ذات العلاقة وهي:-

١- ينبغي على مخططي التنمية في المجتمع ان يضعوا تصورات علمية تكون بمثابة اطار نظري حول امكانية تغير المجتمع وتبين اساليب انتاج جديدة تتوافق مع ثوابت الثقافة العراقية وقادرة في الوقت نفسه على التفاعل مع ثقافة العصر بصورة اكثر فاعلية.

٢- ينبغي على المعنيين بدراسة الثقافة، توسيع دراساتهم وابحاثهم حول الثقافة، وتوجيه طلبة الدراسات العليا على تبني مشاريع بهذا الشأن، وتوفير الدعم اللازم لهم.

٣- ينبغي دراسة الشخصية العراقية بموضوعية وحياد وبحث العوامل الكامنة فيها، وكشف مميزاتها الايجابية الى جانب نقاط الضعف فيها، وهذا الجهد من شأنه ان ينير الطريق امام اصحاب القرار حينما يشرعون باتخاذ القرارات المتعلقة بتنمية وتحضر المجتمع.

٤- ضرورة توجيه وسائل الاعلام المختلفة على ترسيخ قواعد السلوك على اساس الحوار، واشاعة العلاقات الايجابية بين الشباب التي تعزز العمل الجماعي الانتاجي وتنبذ ثقافة العنف والتغالب.

٥- ضرورة الاهتمام بالمرأة في مجالات الحياة كافة ووصفها في مكانها الطبيعي في المجتمع كمنتجه ومربية ومشاركة في الحياة السياسية من خلال تعزيز مفهوم النوع الذي ينظر اليها كانسان فاعل في الحياة العملية.

٦- ضرورة الاهتمام بالجيل الجديد وتوجيهه نحو تبني ثقافة وطنية ترسم ملامح ولائهم للوطن اكثر من ولائاتهم الفرعية، ويتم ذلك عن طريق توفير فرص عمل لهم ملائمة، ومن خلال دمجهم في عملية البناء والانتاج بغية انشاء المجتمع الحضري المنتج.

٧- ينبغي على مؤسسات الدولة المعنية السعي الى تقديم الخدمات الاساسية للسكان من كهرباء وماء ومجاري وهواتف وشوارع منتظمة، وخلق بيئة نظيفة.

٨- ضرورة تعزيز القيم والمبادئ الاخلاقية وحقوق الانسان عن طريق المراكز الدينية ومدارس التعليم الاساسية والمرشدين والباحثين الاجتماعين في مؤسسات الدولة المختلفة.

٩- ضرورة توفير مراكز تسويقية مدعومة من قبل الدولة للفئات المحدودة الدخل وبمختلف المواد الغذائية والملابس وكل ما تحتاجه الاسرة الامر الذي يساعد على اضعاف التغالب لدى افراد المجتمع.

١٠- ضرورة التوعية بابعاد ثقافة القبيلة او العشيرة القائمة على اساس التغالب، مع العمل على ترسيخ اسس المواطنة الصالحة من تفعيل بنود الدستور الضامنة لحقوق الانسان في العيش الكريم، والافادة من ثروات البلاد حاضرا ومستقبلا.

١١- كل هذا لا يمكن ان يجد له صدى الا في ظل بناء دولة القانون والمؤسسات، وتحقيق الامن والاستقرار ونبذ العنف بكل اشكاله، وتحقيق اجواء ايجابية تفسح المجال للانسان العراقي في بناء ذاته وشعوره بحقوقه وواجباته.

ثالثا: المقترحات

١- ضرورة اجراء دراسات مسحية وميدانية عن الثقافة العراقية في مناطق اخرى من العراق.

٢- ضرورة بلورة مشروع علمي عريض يقوم بدراسة الثقافة والشخصية العراقية، تساهم فيه مراكز البحوث المختصة والجامعات ويحظى برعاية الدولة ومؤسسات المجتمع المدني، بغية الكشف عن افرازات ونتائج التغير الكبير الذي حصل بعد سقوط النظام ٢٠٠٣م.

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة بغداد
كلية الاداب
قسم الاجتماع / الدراسات العليا
اسم الباحثة/ ذكرى عبد المنعم ابراهيم
اسم المشرف/ أ.د قيس النوري

م/ استمارة استبيان / التعاون والتغالب في المجتمع العراقي/ دراسة انثروبولوجية في مدينة بغداد حي الجزائر أنموذجا

يرجى من المبحوثين ملاحظة ما يأتي

١- تهدف هذه الدراسة الى الكشف عن ماهية التعاون والتغالب في المجتمع العراقي، وما طرأ عليهما من تغير، وما يتركه من اثار على الشخصية العراقية.

٢- ان مفهوم التعاون مفهوم واسع، وفي هذه الدراسة نعني به ما يأتي:-التعاون سمة ثقافية تظهر في المجتمعات البسيطة، مثل الجماعة القرابية او علاقات الجيرة. وبه تتآزر الجماعة بعلاقاتها الاجتماعية القوية من اجل الحصول على حاجاتها الاساسية وحماية ابنائها من الاخطار، كما يظهر واضحا في الازمات والمناسبات المختلفة التي يمر بها المجتمع، ويأخذ في اكثر الاحيان طابعا جماعيا، ويظهر على اشكال عدة منها مساعدة الغير واعانة الضعفاء والقيام بالاعمال المشتركة كالخدمات او الحراسات وغيرها.

٣- مفهوم التغالب: التغالب هو من الغلبة، ولايقوم الا بعصبية من اجل السطو على حقوق الاخرين، فهو منبعث من اصل الثقافة البدوية ليمتد ويصل الى المجتمعات الريفية والحضرية البسيطة، ليتخذ قالبا سلوكيا يظهر فيه منافسة غير شرعية سواء بين الجماعة القرابية او الافراد، ليكون صاحب الغلبة يتميز في نظر الثقافة السائدة بقدرته على الانتصار على الغير أي غلبة او يتميز بالشطارة والمراوغة للحصول على حاجة ما.وهذه الغلبة تظهر بصور مختلفة منها القوة في المشاجرات في المنطقة الشعبية والقدرة على النهب والاغتصاب كذلك في المصارعات البدنية وفي القدرة على خذاع الغير، والضحك على الغير والاستهزاء به.

٤- يرجى الاجابة على اسئلة الاستبيان بالصراحة التامة وبالقدر المستطاع من الوضوح والدقة، خدمة لاغراض البحث العلمي.

٥- ان البيانات التي نحصل عليها لن يطلع عليها احد، وانما هي لغرض البحث العلمي فقط.

٦- يرجى عدم ذكر الاسم.

اولا: البيانات الشخصية

س١/ النوع ذكر ( ) انثى ( )

س٢/ العمر (سنة)

س٣/ المستوى التعليمي: امي ( ) يقرأ ويكتب ( )

ابتدائية ( ) متوسطة ( ) اعدادية ( ) جامعية ( ) عليا ( )

س٤/ الحالة الاجتماعية: اعزب ( ) متزوج ( ) منفصل ( ) مطلق ( ) ارمل ( )

س٥/ المهنة ( )

س٦/ الدخل الشهري : ( ) الف دينار

س٧/ الحالة السكنية: ملك ( ) ايجار ( ) مشاع ( )

ثانيا: البيانات الخاصة بالدراسة

١- البيانات الخاصة بالتعاون

أ- التعاون في محيط الاسرة

س٨/ كيف تفهم التعاون .....

س٩/ ما هي صور التعاون الموجودة في محيط اسرتك :

١- ٢- ٣-

س١٠/ هل تلمس ان هناك تغيرات قد حصلت على صور التعاون في اسرتك

نعم ( ) لا ( ) الى حد ما ( )

س١١/ اذا كان الجواب بنعم، فما هي العوامل التي اثرت في ذلك

١-

٢-

٣-

س١٢/ هل هناك شعور بين افراد اسرتك بان التعاون لا يزال الطريق الافضل نحو تحقيق طموحات الاسرة؟

نعم ( ) لا ( ) الى حد ما ( )

س١٣/ هل ترى ان الظروف المعيشية الصعبة التي تمر بها الاسرة في مجتمعك اليوم قد اضعفت من حالة التعاون

نعم ( ) لا ( ) الى حد ما ( )

س١٤/ هل ترى ان وسائل الاتصال الحديثة مثل البث الفضائي والموبايل وغيرها ادت الى اضعاف حالة التعاون في محيط اسرتك

نعم ( ) لا ( ) الى حد ما ( )

س١٥/ هل ترى ان انشغال افراد الاسرة في مجتمعك اليوم بشؤون الحياة وسعيهم الى تحقيق اهدافهم الخاصة قد اضعف من حالة التعاون.

نعم ( ) لا ( ) الى حد ما ( )

س١٦/ هل تجد ان صور التعاون تظهر اكثر وضوحا في

١- في المناسبات فقط

٢- في حالة تعرض اسرتك الى خطر

٣- مساعدة الغير

٤- اخرى تذكر:-

ب- التعاون على مستوى الجماعات

س١٧/ هل تجد ان هناك تعاون تلقائي بين جماعة الاصدقاء او جماعة العمل وغيرها.

نعم ( ) لا ( ) الى حد ما ( )

س١٨/ هل ترى ان التعاون بين الجماعة التي تنتمي اليها قد ضعف عما كان عليه في الماضي

نعم ( ) لا ( ) الى حد ما ( )

س١٩/ هل ترى ان الظروف الطارئة في مجتمعك اليوم بعد غياب القانون قد اضعف من التعاون ( ) ام ادت الى تآزر الجماعة في مجتمعك ( ).

س٢٠/ هل أنت راضي عن مستوى التعاون بين الجماعة التي تنتمي اليها سواء كان من جماعة قرابية او اصدقاء وغيرهم في مجال مساعدة الغير ونصرة الضعفاء تحت الظروف الطارئة.

نعم ( ) لا ( ) الى حد ما ( )

ج- التعاون في المجتمع

س٢١/ هل كان التعاون في الماضي اوسع ظهورا في مجتمعك من الوقت الحاضر

نعم ( ) لا ( ) الى حد ما ( )

س٢٢/ هل تجد اليوم في مجتمعك ان هناك مساعدات في اعمال خيرية للمحتاجين او الوقوف الى جانبهم في شتى المواقف.

نعم ( ) لا ( ) الى حد ما ( )

س٢٣/ هل ترى ان صور التعاون لا تزال فعالة في كل الظروف ( )، ام انها تظهر فقط في الازمات.( )

٢- البيانات الخاصة بالتغالب

أ- التغالب في محيط الاسرة.

س٢٤/ ما هو مدلول التغالب من وجهة نظرك؟

س٢٥/ هل ترى ان هناك صور للتغالب في محيط اسرتك؟

نعم ( ) لا ( ) الى حد ما ( )

س٢٦/ هل ترى ان صور التغالب اصبحت واضحة تحت الظروف الطارئة وغياب القانون بين افراد اسرتك؟

نعم ( ) لا ( ) الى حد ما ( )

س٢٧/ هل ترى ان العوامل الاقتصادية والمعيشية الصعبة لها ادوار في اظهار عامل الغلبة على الاخرين من اجل الحصول على الحاجات؟

نعم ( ) لا ( ) الى حد ما ( )

ب/ على مستوى الجماعات

س٢٨/ هل ترى ان صور التغالب اليوم بين جماعات الاصدقاء او جماعات العمل او الجماعات القرابية اكثر وضوحا من الماضي؟

نعم ( ) لا ( ) الى حد ما ( )

س٢٩/ هل ترى ان تربية الازقة تلعب دورا مهما في جعل الفرد يحترم عندما يكون غالبا لا مغلوبا.

نعم ( ) لا ( ) الى حد ما ( )

س٣٠/ هل ترى التغالب سمة تعبر عن الشطارة او القوة بين الجماعة التي تنتمي اليها؟

نعم ( ) لا ( ) الى حد ما ( )

س٣١/ هل وجدت ان غلبة الغير في محيط الجماعات داخل مجتمعك تظهر

١- من دون اعتبار لعلاقة الصداقة.

٢- دون اعتبار لعلاقة الجيرة.

٣- دون اعتبار لقيم الجماعة وتقاليدها.

٤- اخرى تذكر:

س٣٢/ ما هي برأيك الاهداف التي يحققها التغالب في محيط الجماعات في مجتمعك:

١- انه يعمل على تحقيق الحاجات من خلال شطارة الغالب.د

٢- تعلمت ان اكون غالبا لا مغلوبا حتى يشار لي بالبنان

٣- اخرى تذكر

ج/ التغالب في المجتمع

س٣٣/ هل ترى ان التغالب سمة جاءت من الثقافة الريفية التي تريد من ابن العشيرة او ابن المحلة او ابن المجموعة القرابية ان يكون غالبا لا مغلوبا.

نعم ( ) لا ( ) الى حد ما ( )

س٣٤/ هل ترى ان الثقافة الشعبية تشجع الافراد ان يكونوا غالبين لا مغلوبين والا وصفوا بالجبناء؟

نعم ( ) لا ( ) الى حد ما ( )

س٣٥/ هل ترى اليوم ان صور التغالب في مجتمعك اصبحت اكثر وضوحا في ظل الظروف الطارئة التي يمر بها المجتمع من صورة في الماضي؟

نعم ( ) لا ( ) الى حد ما ( )

س٣٦/ هل وجد سلوك التغالب مجالا له عندما حلّت القبيلة او ثقافة المنطقة الشعبية محل سلطة القانون.

نعم ( ) لا ( ) الى حد ما ( )

س٣٧/ هل ترى ان عدم متابعة كثير من الوالدين لاطفالهم وهم يلعبون في الشوارع كونهم غالبين لا مغلوبين (اسباع ما ينخاف عليهم)

نعم ( ) لا ( ) الى حد ما ( )

س٣٨/ هل تجد في مجتمعك هناك من يلتزم بسلوك الوقار والمثل العليا الا انه في موقف آخر (مثل مصلحة شخصية او بدافع عصبية لجماعته) يسعى الى غلبة غيره وقهره؟

نعم ( ) لا ( ) الى حد ما ( )

س٣٩/ هل شعرت وانت تتعامل مع الناس ان هناك من يحاول انتزاع احقيتك في الفرصة المتاحة لك بالقوة او المراوغة؟

نعم ( ) لا ( ) الى حد ما ( )

المصادر العربية

١- ابن خلدون، عبد الرحمن: المقدمة، منشورات مكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٦,

٢- د. ابو زيد، احمد: محاضرات في الانثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨,

٣- ـ : البناء الاجتماعي، مدخل لدراسة المجتمع، ج١، ط٧، المفهومات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، ١٩٨٠,

٤- د. ابو علي، محمد عبد الله: مدارس اجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الاسكندرية، ط١، ١٩٧٨,

٥- ابو جادو، صالح محمد علي: سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٨، ص٢٥٦,

٦- د. اسماعيل، قباري محمد: المدخل الى علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، بلا تاريخ.

٧- بلاندية، جورج: الانثروبولوجيا السياسية، ترجمة جورج ابي صالح، منشورات مركز الانماء القومي، ط١، بيروت، ١٩٨٦,

٨- د. بركات، حليم: المجتمع العربي المعاصر، بحث استطلاعي اجتماعي، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، بلا تاريخ.

٩- د. البياتي، علاء الدين جاسم: علم الاجتماع بين النظرية والتطبيق دار التربية، بغداد، ط١، ١٩٧٥,

١٠- د. البيومي، محمد احمد: تاريخ الفكر الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٨,

١١- بيرج، ماكيفر تشارلز، هـ: المجتمع، ج١، ترجمة علي احمد عيسى، مكتبة النهضة، المصرية، ١٩٧٢، ص٣٢٢,

١٢- تماشيف، نيقولا: نظرية علم الاجتماع، طبيعتها وتطورها، ترجمة محمود عودة وآخرون، دار المعارف، ط٨، القاهرة، ١٩٨٣,

١٣- الجميل، مكي: البداوة والبدو في البلاد العربية، مركز تنمية المجتمع في العالم العربي، مطبعة النصر بشبرى، مصر، ١٩٦٢,

١٤- جمهورية العراق، مجلس الوزراء الجهاز المركزي للاحصاء، هيئة التخطيط، نتائج التعداد العام للسكان محافظة بغداد (حي الشعب) لعام ١٩٧٧. (بيانات غير منشورة)

١٥- د. احمد، حبيب: دراسات في جغرافية العراق الصناعية، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٥,

١٦- د. الحسن، احسان محمد: التصنيع وتغيير المجتمع، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١,

١٧- ـ: رواد الفكر الاجتماعي، دراسة تحليلية في تاريخ الفكر الاجتماعي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، ١٩٩١,

١٨- ـ: تنظيم المجتمع، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٦٢,

١٩- د. حسن، عبد الباسط محمد: اصول البحث الاجتماعي، مكتبة وهبة، ط٦، مصر، ١٩٧٧,

٢٠- د. حجازي، محمد فؤاد: الاسرة والتصنيع، مكتبة وهبة، مصر ١٩٧٥,

٢١- د. جابر، سامية محمد: منهجية البحث في العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٣,

٢٢- د. الجابري، خالد: الضبط الاجتماعي، محاضرات للمرحلة الثالثة قسم الاجتماع، كلية الاداب، جامعة بغداد، بلا تاريخ.

٢٣- د. الخشاب، مصطفى: دراسة المجتمع، مكتبة الانجلو المصري ، القاهرة، ١٩٧٧,

٢٤- ـ: علم الاجتماع ومدارسه، الكتاب الثاني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧,

٢٥- د. الدقس، محمد: التغيير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط٢، ١٩٩٢,

٢٦- رالف. ل.بللزهاري هولجير: مقدمة الانثروبولوجيا العامة، ترجمة د. محمد الجوهري وآخرون، ط١، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٦,

٢٧- د. زكريا، فؤاد: التغير الاجتماعي، ط٦، منشورات جامعة دمشق، مطبعة الداوودي، دمشق ٢٠٠٠,

٢٨- د. سليم، شاكر مصطفى: قاموس الانثرومولوجيا، ط١، جامعة الكويت، ١٩٨١,

٢٩- ـ: الجبايش، دراسة انثروبولوجية لقرية في اهوار العراق، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٠,

٣٠- د. سلمان عبد علي: المجتمع الريفي في العراق، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠,

٣١- د. الشرابي، هشام: مقدمات لدراسة المجتمع العربي، المكتبة الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٧,

٣٢- عثمان، سعد محمد: الاسس النظرية للتطبيق الاشتراكي في العراق، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١,

٣٣- د. عبد الرزاق، سعدي فيضي: المدخل الى علم الانسان، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة بغداد، بيت الحكمة، ١٩٨٩,

٣٤- د. علام، اعتماد محمد: دراسات في علم الاجتماع التنظيمي، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، ١٩٩٤,

٣٥- د. العمر، معن خليل: تاريخ الفكر الاجتماعي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٥,

٣٦- ـ: علم اجتماع المعرفة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٩١,

٣٧- د. العيسى، جهينة وآخرون: موجز في تاريخ الفكر الاجتماعي، سلسلة علم الاجتماع (الكتاب الثاني). مطبعة الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠١,

٣٨- د. العاني، عبد اللطيف وآخرون: المدخل الى علم الاجتماع، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، دار الكتب للطباعة، بلا تاريخ.
٣٩- د. شكارة، عادل: المدخل الى علم الاجتماع، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، دار الكتب للطباعة، بلا تاريخ.
٤٠- د. غامري، محمد حسن: مقدمة في الانثروبولوجيا العامة، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية، ١٩٨٩,
٤١- ـــ: المناهج الانثروبولوجية، المركز العربي للنشر والتوزيع، الاسكندرية، بلا تاريخ.
٤٢- د. غانم، عبد الله عبد الغني وآخرون: المدخل الى علم الانسان، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ١٩٩٨,
٤٣- د. غيث، محمد عاطف: علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٦,
٤٤- ـــ: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٩,
٤٥- ـــ: المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٩,
٤٦- د. فهيم، حسين: قصة الانثروبولوجيا، سلسلة عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون، الاداب، الكويت، ١٩٨٨,
٤٧- فوكاياما، فرانسيس: التصدع العظيم، ترجمة عزة حسين كبة، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٤,
٤٨- د. فيصل، عباس: الشخصية في ضوء التحليل النفسي، ط١، دار المسيرة بيروت، بيروت، ١٩٨٢,
٤٩- د. محمد، علي محمد: علم الاجتماع والمنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية، ط٢، الاسكندرية، ١٩٨٠,
٥٠- ـــ: تاريخ علم الاجتماع، الرواد والاتجاهات المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٦,
٥١- د.المهيني، غنيمة يوسف: الاسرة والبناء الاجتماعي في المجتمع الكويت، مطبعة الفلاح، الكويت، ١٩٨٠,

٥٢- د. ميشيل، وينكشن: معجم العلوم الاجتماعية، ترجمة د. احسان محمد الحسن، دار الطليعة، بيروت، ط١، ,١٩٨١

٥٣- د. مناف، متعب: تاريخ الفكر الاجتماعي، محاضرات في علم الاجتماع (كتاب غير منشور).

٥٤- د. النوري، قيس: مدارس الانتروبولوجيا، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ,١٩٩١

٥٥- ـــ: الحضارة والشخصية، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ,١٩٨١

٥٦- ـــ: الانثروبولوجيا الاقتصادية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، مطبعة جامعة الموصل ,١٩٨٩

٥٧- ـــ: الانثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية للنشر والتوزيع، اربد، الاردن ,٢٠٠١

٥٨- ـــ: الاسرة مشروعا تنمويا، سلسلة آفاق وزارة الثقافة والاعلام، مديرية الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ,١٩٩٤

٥٩- ـــ: محاضرات في علم الاجتماع والتغير الاجتماعي، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ١٩٦٨-,١٩٦٩

٦٠- د. هاشم، جواد وآخرون: تقييم النمو الاقتصادي في العراق، ١٩٥٠-١٩٧١، ج١، وزارة التخطيط، ط٢، بغداد، ,١٩٧٠

٦١- د. الهيتي، هادي نعمان: الاتصال والتغير الثقافي، الموسوعة الصغيرة (٢٣)، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، سلسلة دراسات (٣١٤). بغداد، ١٩٨٢.

٦٢- د. الوردي، علي: طبيعة المجتمخع العراقي، (محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع الاكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث)، مطبعة العاني، بغداد، ,١٩٦٥

٦٣- ـــ: شخصية الفرد العراقي، (بحث في نفسية الشعب العراقي في ضوء علم الاجتماع الحديث، مطبعة الرابطة، بغداد، ,١٩٥١

٦٤- ـــ: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٢، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٧١.

الرسائل الجامعية

١- الدليمي، صالح سمير نصار: اثر النظام السياسي في تنمية المجتمع العراقي، اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الاداب وهيئة الدراسات العليا في جامعة بغداد لنيل درجة الدكتوراه في علم الاجتماع، ١٩٩٠ (رسالة غير منشورة).

٢- سلمان، محمود محمد: الماوردي والاجتماع السياسي، (اطروحة دكتوراه) في علم الاجتماع، المقدمة الى مجلس كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩٧,

٣- العينجي، منى محمود: التحضر في المجتمع العراقي في ضوء فرضيات الدكتور علي الوردي في الانتقال من البداوة الى الحضارة، اطروحة دكتوراه مقدمة الى مجلس كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩٨، رسالة غير منشورة.

٤- عزيز، ماهر عبد الواحد: التطور الحضري في مدينة اربيل، رسالة ماجستير في علم الاجتماع، كلية الاداب، جامعة بغداد.

٥- الطائي، صادق شهيد هادي: الاستقرار والتغير في طائفة الصابئة المندائيين، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الاداب والدراسات العليا، جامعة بغداد، رسالة غير منشوره، ٢٠٠٥,

٦- طعماس، يوسف يحيى: التوزيع السكاني لاستعمالات الارض المدينة في بغداد، اطروحة دكتوراه، مقدمة الى كلية الادب جامعة بغداد، ١٩٩٧.

الدوريات

١- د. البكري، اياد شاكر، مخاطر القنوات الفضائية الاجنبية الوافدة على الوطن العربي، مجلة بحوث اعلامية، العدد ٤٨٠، بنغازي ليبيا،١٩٩٧ تصدر عن مركز التوثيق الاعلامي للجماهيرية الليبية

٢- د. البياتي، ياس خضير: الفضائيات: الثقافة الوافدة وسلطة الصورة، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٦٧، ٢٠٠١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت

٣- د. الغضبان، نجيب: صدام الحضارات واعادة صياغة النظام العلمي، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٢٦، ١٩٩٧، تصدر عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

٤- د. مدبولي، جلال: القيم الاجتماعية والتنمية بين الريف والحضر، بحث ميداني عن الخرطوم العاصمة، السودان، المجلة الاجتماعية القومية، العدد ٢٣، يصدرها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، مصر، ١٩٨٦,

٥- د. النوري، قيس: جوانب من فكر الدكتور علي الوردي، مجلة دراسات اجتماعية، العدد ١٢، ١٩٩٧، البحرين.

٦- ــ: الهوية العراقية والتبادل الاجتماعي، مجلد دراسات اجتماعية، العدد ١٧، السنة الخامسة، ٢٠٠٥، تصدر عن بيت الحكمة، بغداد.

٧- ــ: الاتجاه النفسي في الانثروبوبوجيا، بحث منشور في مجلة كلية الاداب، جامعة بغداد، العدد ١١، ١٩٦٨.

المصادر الأجنبية

1- Frans – Pritchard, E,E, the Nuer-Oxford, 1940, PP,56.

2- Fridle & John P, feiffer, Anthropology: Harper & Row publishers: New York, 1977, PP.304.

3- International Encyopdia of Social sciences? Vol, 7 and 8, New York , 1978, P,329.

4- Mark, K, and Engels, the communist manifesto, London, 1848, PP, 32-37.

5- Mclennan, John. Primititve marriage, London, (1865), PP 5-20.

6- Molinowski, Bron is law – the Dynamics of chlthure chang: An Inquiry in to Race relations in Africa- New Haven = Yale University, Press, 1945, PP.165.

8- Moors, Wilbert, Social change, New Jersey, Prentice Hell INC. Engle wood Cliffs, 1963, P.2.

9- Nelson, Lowry, and others community struature and change, the Mauillance, New York, 1960.

10- Peter, Owen, dictionary of anthropology, Londomswy, Printed, U.S.A, P.10.

11- Parsons. T. and Bales, R.F Family social Ication and int wraction in teraction process-6 lencofree pass, 1959.

12- Radeliffe – Brown, A,R, Structue and function in society, London, 1952, PP,35.

13- Red, field, Peasonnt society and culture, second eddition by Chicago press, in U.S.A, 1961, P.151.

14- Red field, the little community, serth, impressin, chicugo, prese, A,S,A, 1964, P,P 26-29.

15- Smelser, N Social changeh tue indusstrial Revolution 1955.

16- Ogburn, W and Nimkoff, M the chnologg and changing family, 1955.

17- htt//www.darislam.com/homel/alreker 14-15-2004

ABSTRACT

The thesis investigates the subject of cooperation and rivalry in an Iraqi community. It attempts to shed light on two important historical periods: the first extended between 1958 till the out - break of the Iraq - I ran war. The second period stretched from 1980 to 2003 when the fromer regime collapsed.

The writer collected field data, in addition to the material obtained from several pertinent sources. Statistical data were utilized for further documentation and verification.

This study tries to show the progressive decrease of the dependence and trust among local communities, on the other hand rivalry has become widespread, leading to diminishing mutual cooperation & reciprocity.

The research also analyzes the effect of the economic embargo imposed on Iraq during 1990-203. The several economic difficulties thereby created have been discussed in connection with the declining sense of cooperation

COOPERATION AND RIVALRY IN THE IRAQI SOCIETY AN ANTHROPOLGICAL STUDY IN THE CITY OF BAGHDAD

{AL- JAZAER DISTRICT AS A MODEL}

A Thesis Submitted By

Thkrra Abd Almenim Ibrahim

To the council of the College of Arts, University of Baghdad in A Partial fulfillment for the Requirements of M.A Degree in Sociology

Supervisor

Prof. Doctor

Qais N. AL- Nouri

1427 A.H **Baghdad** **2006 A.C**